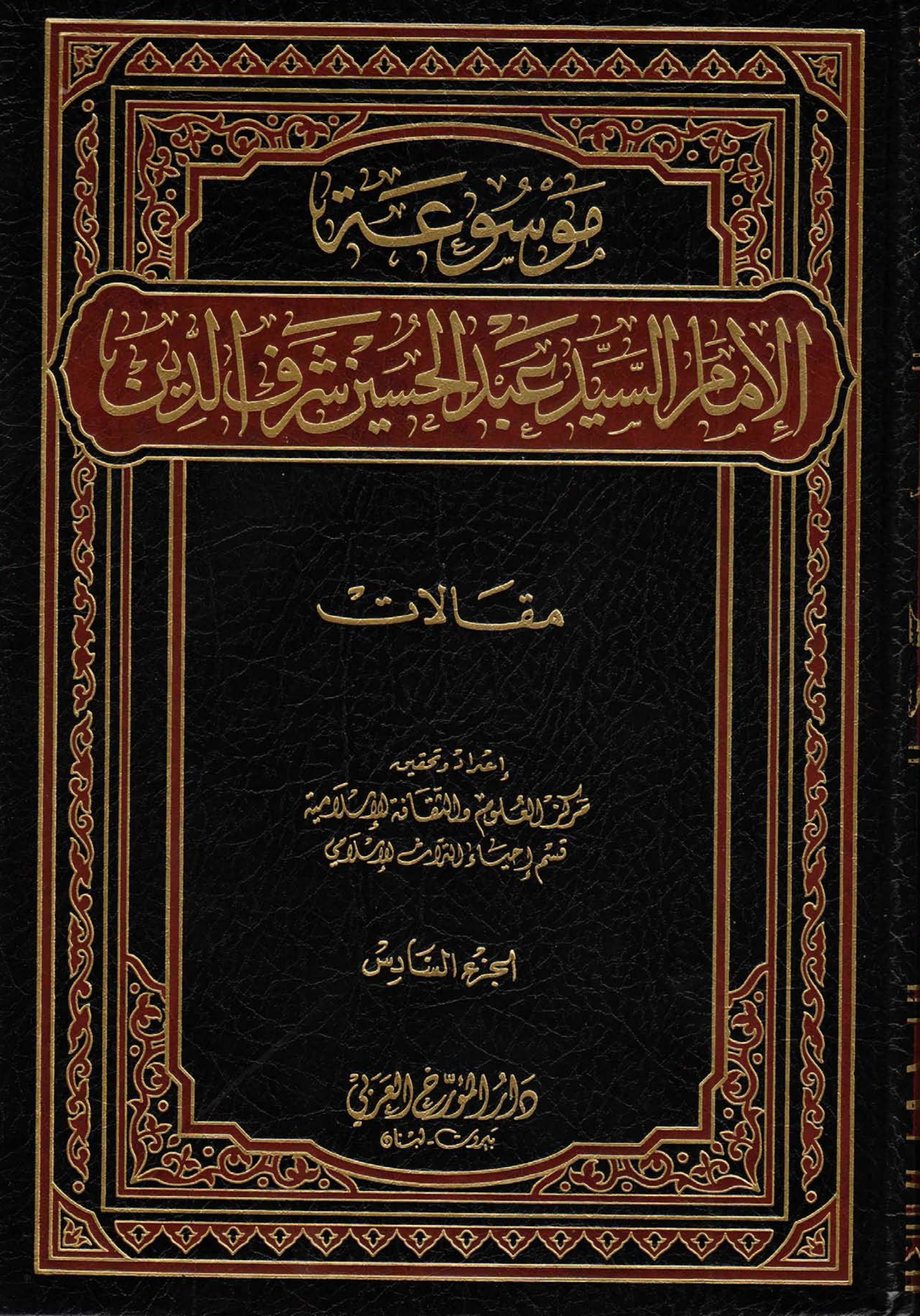

موسوعة
الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين
مقالات
إعداد وتحقيق
مركز العلوم والثقافة الإسلامية
قسم إحياء التراث الإسلامي
الجزء السادس
دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

# موسوعة
# الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

## مقالات


إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية

قسم إحياء التراث الإسلامي


الجزء السادس


دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة الثانية

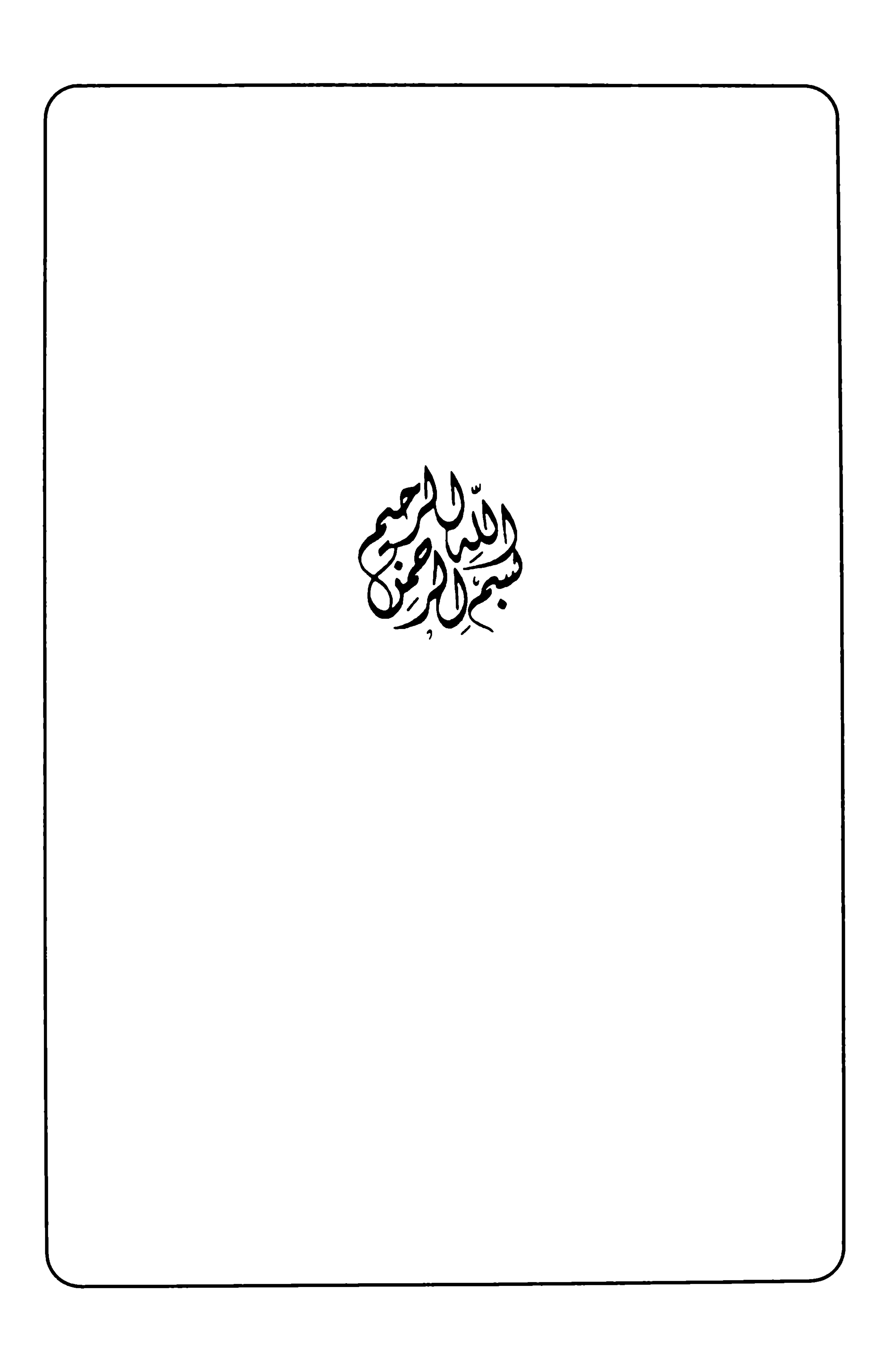
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م




دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥

Email: al_mouarekh@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

# دليل
# موسوعة الإمام شرف الدين

## المدخل

حياة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي

## الجزء الأوّل

١ . المراجعات

## الجزء الثاني

٢ . النصّ والاجتهاد

## الجزء الثالث

٣ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

٤ . أبوهريرة

## الجزء الرابع

٥ . كلمة حول الرؤية

٦ . فلسفة الميثاق والولاية

٧ . أجوبة مسائل موسى جار الله

٨ . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق

٩ . مسائل فقهيّة

## الجزء الخامس

١٠ . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

١١ . السجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

## الجزء السادس

١٢ . تأليف الأُمّة

١٣ . مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٤ . عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب

١٥ . الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة

١٦ . ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام بنصّ الكتاب

١٧ . بيّنة الوحي وشهادتها بأنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة

١٨ . فريضة ما أدّاها إلّا عليّ عليه السلام

١٩ . عقيلة الوحي زينب بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

٢٠ . صلح الحسن عليه السلام

٢١ . زكاة الأخلاق

٢٢ . بغية الفائز في جواز نقل الجنائز

٢٣ . ثبت الأثبات في سلسلة الرواة

٢٤ . تحفة المحدّثين

٢٥ . الفضائل الملفّقة

٢٦ . مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام

## الجزء السابع

٢٧ . بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين

## الجزء الثامن

ملحقات بغية الراغبين

## الجزء التاسع

الوثائق، الخطب، المراسلات، الإجازات والتقريظات

## الجزء العاشر

الفهارس

# تصدير

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، والصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، سيّد الأنبياء محمّد المختار وآله البررة الخيرة.

يعتبر الإمام السيّد عبدالحسين شرفالدين الموسوي من الرجال النوادر، وقد امتاز بمواهب شتّى جعلته نجماً لامعاً ومناراً شامخاً في العالم الإسلامي والعربي، وبذكائه ونبوغه المتميّز أصبح فذّاً بين الأفذاذ، وعَلَماً من أعلام الصحوة الإسلاميّة، حيث دان لعظمة هذا الشخص الكبير القاصي والداني، والمخالف والمؤالف.

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تكون هذه الشخصية نجم هداية يطلّ في سماء العالم الإسلامي والعربي أكثر من نصف قرن، ليُهتدى به من ظلمات الجهل والحيرة إلى رحاب العلم والمعرفة، وليُنتهل من علومه ما ينقشع به رين القلوب، وما يزيح غشاوة الشكوك، وما ينير بنور اليقين والهداية.

وإذا أردنا أن نعطي لهذه الشخصية البارزة منزلتها التأريخية، جعلناها في عِداد سلسلة أئمّة وروّاد إصلاح الفكر الديني النيّرين الذين برزوا وتألّقوا عبر العصور والأزمنة بأفكارهم الغنيّة المعطاءة للمسلمين إلى زماننا الحاضر.

فقد كان ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ في سيرته الذاتية وعمله الرسالي الذي اضطلع به طوال حياته المباركة قدوة مثلى للإسلاميّين، فهو لم يكن إلّا انعكاساً لظلال أئمّة أهل البيت عليهم السلام في جهادهم وجهودهم، ومدافعاً صلباً لإمامتهم ومنهجهم، حيث أخذ على

نفسه ما أخذ آباؤه الكرام عليهم السلام على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف، والقيام بما يفرضه الواجب الديني من التبليغ بمبادئ الإسلام المحمّدي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام السويّ.

كان الإمام شرف الدين في جميع الميادين ـ السياسية والاجتماعية والعلمية ـ فارسها المجلّى وبطلها المغوار. وحسبك شاهداً على بطولته آثاره الخالدة التي تركها غرّة في جبين الدهر، لا تفتأ تشعّ بالخير والجمال والنور، تحمل مشعل الهداية ساطعاً وهّاجاً في غمرة من الظلمات الحالكة، تضيء السبيل لمن ضلّ السبيل، وتكشف غياهب الشكوك والشبهات عن آفاق الحقّ والحقيقة، وتهدي التائهين إلى موطن الأمن والسلامة.

وقد جرى على يراعه من الدلائل والبيّنات والبراهين النيّرات ما يجعله آية من آيات اللّه الباهرة، وينبوعاً من ينابيعه الزاخرة، التي لا ينضب معينها الفيّاض ما بقي في دنيا الإسلام اسم للإسلام، وما بقي على وجه هذه البسيطة ظلّ للحقّ والإيمان.

وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ قسماً كبيراً من كتبه ومؤلّفاته ضاع ونهب وأحرق في هجوم الاستعمار الفرنسي على بيته ومكتبته.

غير أنّ المتبقّى من كتبه ـ كان ولا يزال ـ فيه كلّ الخير والبركة والعطاء المستمرّ للأجيال التي عاصرته وتلته حتّى يومنا هذا.

ولو أردنا أن نقف عند أهمّ هذه الآثار الموجودة ـ التي طبع أكثرها في حياته أو بعد وفاته ـ لقلنا إنّ ما أنتجه يراع هذا المفكّر العبقري هو مشروع فكريّ كامل، وإنجاز رساليّ جدير بالاهتمام.

## مشروع تحقيق موسوعة الإمام شرف الدين

وحيث إنّ هذه الآثار كانت متفرّقة بعيدة عن أيدي القرّاء والباحثين من جهة، وقد طبع كثير منها مراراً طبعات غير محقّقة، مليئة بالأخطاء المطبعية من جهة أُخرى، مضافاً إلى التغييرات غير المناسبة التي قام بها بعض الناشرين على النصوص الأصلية، لهذا قرّر قسم إحياء التراث الإسلامي التابع لمركز العلوم والثقافة الإسلاميّة نشر مؤلّفات وتراث السيّد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي واكب حياة جيلنا الإسلامي المعاصر، وذلك ضمن مشروعه الكبير المتضمّن نشر تراث العلماء الذين عاشوا في قرننا الحالي والقرون القريبة التي سبقته والذين أسّسوا حركة الإصلاح في الفكر الديني المعاصر.

ولا يخفى على علمائنا الأجلّة وقرّائنا الكرام أهميّة وفائدة نشر هذه الموسوعات الشاملة المحقّقة والمنقّحة واللائقة بمنزلة هؤلاء الروّاد، حيث سيتمّ نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ شخصيّةٍ علميّة في مجموعةٍ متكاملة، تسهم في الاطّلاع على آرائه العلمية، وعلى ما جدّ في زمنه من المسائل التي لم يبتلِ بها السلف الصالح، وعلى مدى تطوّر العلوم الاسلاميّة في ذلك الحين، وفوائد أُخرى كثيرة لا تخفى على الباحثين في حقل التراث الإسلامي.

## عملنا

منذ أن تقرّر البدء بمشروع تحقيق تراث الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين وكتبه كلّها في موسوعة شاملة، قام قسم إحياء التراث الإسلامي بالخطوات التالية:

١. جمع كتب السيّد شرف الدين المطبوعة، ولا سيّما الطبعة الأُولى لكلّ كتاب والطبعات التي تتميّز فيها طبعة عن طبعة، مثل: الطبعة الأُولى للمراجعات والطبعة الثانية لها، حيث تختلف الطبعة الثانية عن الطبعة الأُولى في بعض الألفاظ والعبارات، وكلّها من ثمرات قلم السيّد شرف الدين وفي حياته.

ويدخل ضمن مهمّة جمع كتبه ﵀ التواصل مع أُسرة السيّد شرف الدين في لبنان حيث حصلنا منهم على بعض صور المخطوطات وبعض الإجازات التي لم تنشر من قبل، فضلاً عن المقالات المنشورة في مجلّة العرفان وغيرها.

ومع هذا فقد بقي من آثار السيّد شرف الدين ما لم تصل أيدينا إليه، وسنظلّ نتابع آثاره وتراثه وننشر ونصحّح ما استجدّ لنضيفه في الطبعات القادمة إن شاء اللّه تعالى.

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار وما يحتاج إلى توثيقه.

٣. ضبط النصّ مع ملاحظة بعض الاختلافات فيما بين طبعات الكتاب الواحد، ووضع

أصحّها في المتن، وشرح الألفاظ الصعبة، وتوزيع النصّ، وتنظيم الهوامش.

٤. مقابلة المطبوع على الحاسوب مع النسخة المقوّمة النصّ.

٥. المراجعة الفنّيّة، حيث يلاحظ المطبوع على الحاسوب فنّيّاً من حيث حجم المكتوب في الصفحة، ووضع رؤوس الأسطر، والعناوين داخل المتن، والعناوين في أعلى الصفحات، وما شاكل ذلك.

٦. المراجعة النهائيّة، حيث يلاحظ الكتاب ملاحظة كاملة من كافّة النواحي: الإملائيّة والنحويّة واللغويّة، وما شاكل ذلك.

٧. الفهرسة حيث تفهرس الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال والأعلام والأماكن وما إلى ذلك، والفهارس كما هو معروف مفاتيح الكتب.

٨. علّق السيّد شرف الدين على كلّ كتاب من كتبه بتعليقة يفسّر بها الغامض ويفصّل المجمل ويزيد في الاستشهاد بالحديث وغيره. وعلّق محقّقونا ما حصل من عمليّة التحقيق والتخريج وما قاموا به من توضيح وبيان.

وقد جعلنا متن الكتاب أوّلاً ووضعنا تحته خطّاً قصيراً، وتحت ذلك الخطّ تعليقة المؤلّف ﷺ، ثمّ جعلنا خطّاً أطول تحته هوامش محقّقينا. وميّزنا أعداد علامة هوامش شرف الدين بأن جعلناها بين قوسين، بينما أوردنا أعداد علامة هوامش المحقّق خالية من الأقواس.

هذا وقد رتّبنا الآثار الخالدة للإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين على حسب الأهميّة موضوعاً ودراسة ومنهجاً في مجلّدات، بحيث يشتمل بعضها على كتابين أو أكثر، ومجلّد يختصّ بالمقالات، ومجلّد يختصّ بالخطب والرسائل والإجازات والتقريظات.

وفرزنا كتاب بغية الراغبين عمّا ألحقه به ولده العلّامة السيّد عبدالله شرف الدين، فجعلنا الأصل مجلّداً، والملحقات مجلّداً مستقلاً، وجعلنا مجلّداً خاصّاً بالفهارس.

## شكر وثناء

يتقدّم مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة إلى جميع الإخوة المحقّقين في قسم إحياء التراث الإسلامي المشاركين في تحقيق وإخراج موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين

بالشكر الوافر والثناء الجميل، مثمّناً جهودهم الكبيرة الجادّة، وداعياً الله عزّ وجلّ لهم بالتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

وقد رتّبنا أسماء الذوات العاملين في هذه الموسوعة حسب حروف المعجم، وذكرنا أمام اسم كلّ منهم العمل الذي قام به:

**مجموعة المحقّقين:**

أسعد الطيّب، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، المراجعة النهائيّة.

إسماعيل بيك المندلاوي، عضو لجنة المقابلة.

جواد الفاضل، عضو مساعد في تخريج بغية الراغبين.

السيّد حسين بني هاشمي، تحقيق كلمة حول الرؤية، عضو لجنة المقابلة.

السيّد خليل العابديني، سكرتير اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وفلسفة الميثاق والولاية.

رضا المختاري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وله شرف اقتراح تحقيق موسوعة شرف الدين.

طه النجفي، عضو لجنة المقابلة.

عباس المحمّدي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وتحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، وتقويم وتكميل تخريجات بغية الراغبين وملحقاته.

السيّد عبدالرسول الحامدي، عضو لجنة المقابلة.

عبدالرسول المهاجر، عضو مساعد في مقابلة النصّ وتخريج بغية الراغبين.

علي أوسط الناطقي، مسؤول قسم إحياء التراث الإسلامي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، والمراجعة النهائيّة، والمراجعة الفنيّة.

السيّد علي الحسيني لرگاني، عضو مساعد للمحقّقين.

غلامحسين قيصريه‌ها، تحقيق الفصول المهمة، وأجوبة مسائل موسى جار الله.

غلام رضا النقي، تحقيق المجالس الفاخرة، والمساعد في تخريج المجاهيل.

محمّد إسلامي پناه، تحقيق ثبت الأثبات.

محمّد الباقري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

محمّدحسين المولوي، تحقيق مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام.

محمّد الربّاني ﷺ، تحقيق مسائل فقهيّة.

محمّد مهدي عادل‌نيا، المساعد في تخريج بغية الراغبين.

منصور الإبراهيمي، تحقيق المراجعات، وأبوهريرة، والكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، وقسم من المجالس الفاخرة، وستّة من المقالات.

السيّد مهدي الطباطبائي، المسؤول السابق لقسم إحياء التراث الإسلامي، وعضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

السيّد منذر الحكيم، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تأليف حياة الإمام شرف الدين، ومقدّمات التحقيق لأجزاء الموسوعة. وله شرف التواصل مع أُسرة شرف الدين.

نعمة الله الجليلي، تحقيق خمسة من المقالات، والمراجعة النهائيّة.

ولي الله القرباني، عضو لجنة المقابلة.

محسن النوروزي، المراجعة الفنّيّة قبل النشر.

**مجموعة الإخراج الفنّي:**

رمضان علي القرباني ومحمّد الخازن.

## مسك الختام

ويسرّنا هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص إلى كافّة مسؤولي مكتب الإعلام الإسلامي خصوصاً مدير المكتب فضيلة السيّد حسن الربّاني، ومسؤولي مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة خصوصاً فضيلة الشيخ محمّدتقي السبحاني وفضيلة الشيخ محمدحسن النجفي، حيث جعلوا هذا العمل المبارك نصب أعينهم، ومنحوه جهدهم ووقتهم وقدّموا ما في وسعهم من عون منذ كان بذرة صغيرة أيّام اقتراحه ليكون أحد أعمال قسم إحياء التراث الإسلامي إلى أن أصبح بحمد اللّه تعالى شجرة باسقة وارفة الظلال تسرّ الناظرين.

**مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة**

**قسم إحياء التراث الإسلامي**

# مقدّمة التحقيق

هذا الجزء من موسوعة الإمام شرف الدين يشتمل على مجموعة متنوّعة من المقالات والرسائل، كلّها بقلم الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين، طُبع بعضها في مجلّة العرفان، ونُشر البعض الآخر بصورة مستقلّة، في حين يختصّ هذا الكتاب بنشر اثنتين منها لأوّل مرّة.

وفي المقال التالي نحاول تسليط الضوء على هذه المقالات، وذلك في فصول:

# ١ ـ تأليف الأُمّة

صُدّر هذا الجزء بمقالٍ حول تأليف الأمّة الذي يعتبر منطلق شرف الدين في مجموع نشاطه الاجتماعي والتأليفي، وهو تعبير عن الخطّ العامّ الذي يتحكّم في نشاط الإمام شرف الدين رغم تناوله لموضوعات خاصّة كالإمامة والخلافة، والحديث النبوي، والردّ على التخرّصات والتحرّشات التي عاصرها طيلة خمسة عقود ونصف من العمل الاجتماعي الدؤوب.

وهذا المقال الذي نشرته مجلّة العرفان العامليّة في سنتها الأُولى[1] كان فاتحة بحوث الإمام شرف الدين التي تألّف منها فيما بعد كتابه الوحدوي القيّم والذي سمّاه الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة.

وتأليف الأُمّة هو الهمّ الأساس الذي استقطب جهوده، واعتبره بمنزلة القطب من الرحى في ما تحتاجه الأُمّة الإسلاميّة في عصرها الراهن، بعد تجارب مريرة وضرائب باهضة قدّمتها الأُمّة الإسلاميّة من الأرواح والأعراض والطاقات، من جرّاء الاختلاف الذي حاول الأعداء تعميقه في جسم الأُمّة؛ لئلّا تتحقّق أهداف الرسالة الخاتمة، إذ صدع القرآن قائلاً: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[2]، رغم علمه وتصريحه بأنّهم

---

١. المجلّد الأوّل، الجزء ٨: ٣٨٩ ـ ٣٩١، شعبان ١٣٢٧.

٢. التوبة (٩): ٣٣؛ الفتح (٤٨): ٢٨؛ الصفّ (٦١): ٩.

يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم، ولكنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون وأذنابهم.

إنّ تأليف الأُمّة وتوحيدها ودعوتها للاعتصام بحبله تعالى هو الذي يقيها من شرور مخطّطات أعدائها، وينجيها من مغبّة كلّ صراع ونزاع.

## الإسلام دين المجتمع

إنّ فهم الدين على أنّه منهج حياة شامل للإنسان الفرد وللمجتمع الإنساني هو الأمر الجوهري في الاسترشاد بتعاليم الدين الحنيف، وهو الأمر الذي يخشاه أعداء الدين القدامى والمحدثون.

وينطلق الإمام شرف الدين في رؤيته الاجتماعيّة للدين الحنيف من بديهيّات العقل وضروريّات الشرع، ويعتبرها عصب الحياة وعصب التطوّر الذي جاء الدين من أجل ترشيدهما، ولا يتحقّق الإعمار للحياة الدنيا ولا الحياة الآخرة إلّا إذا انطلق الإنسان من منطلق الدين الشامل للفرد والمجتمع. بل لا يمكن أن نتصوّر الإنسان يحيا مفرداً في هذه الدنيا، ولا تستمرّ الحياة ولا تستقيم بلا مجتمع، كما لا يستقيم أمر الدين إذا أهمل الاهتمام بالمجتمع، والنظام الاجتماعي الذي هو ضرورة لكلّ مجتمع.

ومن هنا نقف على قطب الرحى في اتّساق نظام المجتمع وهو الأُلفة والتآلف، فإنّه سلّم النجح والترقّي.

ويتشعّب هذا الركن إلى شعب الإخاء والوئام والوداد والرأفة والتعاضد والتوازر والتناصح والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر كما أرشدت إليه نصوص الذكر الحكيم.

## الاجتماع من معالم الدين

وهذه كلمة الفصل التي يغيب عنها كثير ممّن يقرأ نصوص الكتاب والسنّة بمعزل

عنها، ولا يلتفت إلى التشريعات الاجتماعيّة الكثيرة التي سنّها هذا الدين للإنسان وسار عليها الأنبياء والرسل.

فالجُمع والأعياد، وصلوات الجماعة في الفرائض الخمس، وصلوات الآيات والجنائز، وفريضة الحجّ وما تتضمّنه من قيم اجتماعيّة راقية ـ كالمساواة التي تفرّدت بها شريعة خاتم المرسلين ـ لهي أدلّ دليل على الاتّجاه المجتمعي لهذا الدين، وأنّ توجيه الفرد ضمن حياته الاجتماعيّة هو الأمر المهمّ الذي قد خطّط له الدين، ليستوعب كلّ مرافق الحياة ويعبّئ الفرد في كلّ فرصة للانضمام إلى أبناء مجتمعه، فلا يشعر بالتفرّد والانحياز، وإنّما يشترك في العبادة الفرديّة أيضاً مع غيره ليقول لله تبارك وتعالى وهو منفرد بعبادته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾[1] بصيغة الجمع، الذي يشعر من خلاله الفرد بالانضمام إلى غيره، وهو يمارس عبادة فرديّة محضة ولكنّ الروح التي تسيطر عليه هي روح الجمع والاجتماع، وبذلك يُترجم الدين للإنسان الحقيقة التي نصّ عليها القرآن الكريم حينما قال بكلّ صراحة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] إنّها العبادة التي يجتمع عليها الإنس والجنّ جميعاً بلا استثناء.

## تأليف الأُمّة في الفصول المهمّة

وهذه المقالة لعلّها كانت مطلع كتابه القيّم المسمّى بـ الفصول المهمة قبل أن يتمّ نشره. ولكنّا نلاحظ انصراف شرف الدين عن هذا المقال الأدبي البديع وإخراجه بشكل مقتضب في مقدّمة كتابه المذكور. وبذلك نكون قد وقفنا على نصّين أدبيّين وعلميّين قيّمين في مجال مبدأ الألفة والاجتماع وبقلم الإمام شرف الدين نفسه.

---

١. الفاتحة (١): ٥ ـ ٦.

٢. الذاريات (٥١): ٥٦.

وقد اشتمل الكتاب على أُطروحة كاملة ومضامين راقية حتّى جعلته في القمّة ممّا كتب في هذا المجال، بل لا نجد مثيلاً له في موضوعه ومنهجه. وبذلك يتفرّد الإمام شرف الدين ويتقدّم على من عاصره أو سبقه أو لحقه في هذا المجال الخصب والحيوي، الذي يعبّر عن نقطة جوهريّة في الدين وفي إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع الإسلامي والإنساني دون تردّد أو ريب، كما يعبّر عن الخطّ العامّ الذي سار عليه شرف الدين في ريادته للإصلاح طوال نصف قرن على أقلّ تقدير.

# ٢ ـ أهل البيت عليهم السلام

## مودّتهم ـ عصمتهم ـ الصلاة عليهم

### سبيل المؤمنين

هو عنوان كتاب كبير في ثلاثة مجلّدات بقلم الإمام شرف الدين، موضوعه الإمامة العامّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان حصرها في الأئمّة الاثني عشر، استناداً إلى الأدلّة التي لا يجحد الجمهور صحّة أسانيدها.

أثبت فيه عصمتهم، وتوسّع في الكلام على هديهم وسيرتهم بما يكتشف منه عصمتهم وانتهاجهم منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذو القذّة بالقذّة.

وقد عضده بكتابه النصوص الجليّة في إمامة العترة الزكيّة المشتمل على ثمانين نصّاً من طريق الجمهور ومن طريق الإماميّة.

وأكمل هذين الجهدين بجهد علميّ ثالث هو: تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة في مجلّد واحد يشتمل على مائة آية قرآنيّة نزلت فيهم عليهم السلام، من طريق الجمهور.

والكتابان الثاني والثالث مقتبسان من الأوّل وهو سبيل المؤمنين.

ومن هنا نعرف أنّ سبيل المؤمنين هو الكتاب الجامع في الإمامة العامّة والخاصّة، المشتمل على نصوص الكتاب والسنّة من طريق الجمهور والإماميّة، يجمع بين موضوعي الإمامة والأفضليّة بشكل موضوعي علمي حسبما يقتضيه التحقيق والاعتدال والإنصاف كما هو دأبه في سائر كتبه.

ومن المؤسف فقدان هذا الجهد الكبير ضمن ما أُحرق أو سُرق من كتبه، التي لم تطبع في أيّام الثورة العامليّة ضدّ الاستعمار الفرنسي.

غير أنّ رشحات من هذا الكتاب المهمّ قد زانت مجلّة العرفان العامليّة، حيث

نشرت بعض ما اختاره الإمام شرف الدين من كتابه هذا لهذه المجلّة الفتيّة في أيّام نهضته الثقافيّة في جبل عامل.

ونقف عند ثلاث مقالات مقتبسة من سبيل المؤمنين حول أهل البيت عليهم السلام، وهي بعض ما يجب على المؤمنين تجاههم.

والبحث عن عصمتهم يستلزم وجوب التسليم لهم وقبول ما يصدر عنهم، وبالتالي ضرورة الاستنان بسنّتهم التي لا تعدو سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

## ١ ـ مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

ممّا افترضه المولى سبحانه على المؤمنين من عباده مودّة قربى الرسول صلى الله عليه وآله وهم أهل بيت الرسالة، وقد عبّرت الآية عن هذه الفريضة بالأجر الذي ينبغي للمؤمنين تقديمه لصاحب الرسالة.

والمودّة هي حسنة تستتبع الحسنات وتنتهي نتيجتها إلى الإنسان نفسه.

واستنباط الفريضة من هذا التعبير الحصري حول أجر الرسالة لم يختصّ بأتباع أهل البيت عليهم السلام، بل هو استنباط صرّح به الإمام الشافعي ومحيي الدين بن العربي.

وأمّا سبب تشريع المودّة لأهل البيت عليهم السلام وإلزام المؤمنين بها فهو باعتبار أنّهم مناهل الشرائع السائغة، والأُمناء على الوحي، وأولياء الله في أمره ونهيه. فحبّهم حبّ لله وبغضهم بغض له، فحبّهم دين وبغضهم كفر، وقربهم منجى ومعتصم.

وأمّا تفسير القربى بأهل بيت الرسالة وقرابة الرسول صلى الله عليه وآله فللنصوص المتظافرة من طريق الفريقين.

وقد ذكر الإمام شرف الدين في بحثه هذا خمسة إشكالات أُوردت على الاستدلال بالآية المباركة الواردة في سورة الشورى (٤٢): ٢٣، لصرفها عن أهل البيت عليهم السلام.

وقد ردّ عليها بما يشفي الغليل ويبرئ العليل.

وقد كتب عن هذه الآية في كتابه الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام بحثاً قريباً من هذه المقالة مع تفاوت في نظم البحث واستدراكاته فلاحظ واغتنم.

## ٢ ـ عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب

وهذا البحث أيضاً من اختصاصات أهل البيت عليهم السلام في الأُمّة الإسلاميّة، وقد تعرّض له الإمام شرف الدين في كتابه «الكلمة الغرّاء» ـ في الفصل الثاني منه ـ بشكل يتفاوت يسيراً مع منهجه ها هنا، وإن كانت المضامين والمحتويات متقاربة.

والمنهج العامّ لشرف الدين في هذه البحوث القرآنيّة هو الاستناد إلى الآيات الكريمة وتفسيرها، مع ملاحظة سبب النزول وما ورد من نصوص الفريقين حول تعيين المقصود بها.

وآية التطهير هي الآية الوحيدة التي تضمّنت مصطلح «أهل البيت عليهم السلام» والذي يراد منه أهل بيت الرسالة الخاتمة.

وقد حاول أعداء أهل بيت الرسول والرسالة صرف هذه الآية عن مرماها بتفسير «أهل البيت» بمن حرمت عليهم الصدقة، أو بنساء النبيّ، لئلّا يكون مفادها مختصّاً بالعترة الطاهرة التي ميّزها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّن سواهم وأفردهم بأحكام خاصّة، كما لاحظنا في آية القربى بعد أن أطلق عليهم مصطلح القربى، وأراد منه «قربى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم». فهم لهم المودّة الواجبة ودرجة العصمة الرفيعة.

ولئن تعرّض شرف الدين لعكرمة في بحثه عن آية المودّة، فإنّه قد تعرّض لبيان حال مقاتل في بحثه عن هذه الآية، وأوضح أنّ هذين الراويين نظراً لعداوتهما وانحرافهما عن أهل البيت عليهم السلام، قاما بدور تحريفي وإعلامي لصرف الآيتين عن مرماهما الذي أكّدته نصوص نبويّة كثيرة ازدانت بها كتب الفريقين.

وإذا ثبتت عصمة المذكورين في هذه الآية، وثبت إرادة العترة دون غيرهم حسب النصوص الحاصرة لهذا العنوان فيهم، ثبت الاختصاص بأهل بيت الرسول أو أهل بيت الرسالة، وهم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وسائر الأئمّة المعصومين،

ولا يضرّ عدم حضور سائر الأئمّة حين نزول الآية في أن يكونوا مقصودين بالخطاب، كما مرّ بيانه في دفع ما أُشكل على آية المودّة لصرفها عن العترة الطاهرة، حيث يكون المولى قد أخبر عنهم بعنوان جامع يشملهم ويختصّ بهم، دون غيرهم من أبناء عليّ وفاطمة من نسل آل الرسول ﷺ.

## ٣ ـ الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة

لقد لمس رقباء أهل البيت عليهم السلام من الصحابة وجود تمييز مدروس لأهل البيت عليهم السلام في عمق أحكام الرسالة الإسلاميّة وتشريعاتها حينما افترضت على المؤمنين الصلاة على النبيّ ﷺ وعلى آله.

واعتبر النبيّ ﷺ فصل أهل البيت عنه حين الصلاة عليه مخلّاً بالواجب، والذين قاموا بهذا الفصل لم يقوموا بأداء الواجب المفروض عليهم من الصلاة عليه. بل قد صرّح بأنّ الصلاة عليه بلا إشراك أهل البيت معه يجعل الصلاة بتراء ناقصة.

وزاد الأمر إعضالاً في نفوس هؤلاء الأنداد والحسّاد أنّ المولى قد فرض على المؤمنين أن يصلّوا على النبيّ ﷺ في الصلاة الواجبة، وكانت الآية الكريمة تحمل أمراً صريحاً بذلك، وقد قرنت الصلاة عليه بالتسليم المطلق له، إيذاناً بالموقع الرسمي في الشريعة الإسلاميّة حسب النصّ القرآني الذي يحمل سمة الخلود وتخلد الرسالة بخلوده.

فالنصّ القرآني تضمّن تشريع الصلاة على النبيّ ﷺ ووجوبها، والنصوص النبويّة المتظافرة قد أشركت آل النبيّ في هذه الفريضة التي تبطل الصلاة بتركها، فكانت الصلاة عليهم فريضة من الفرائض التي شُرّعت للمسلمين تجاه أهل بيت نبيّهم.

وهكذا شرّعت الرسالة لأهل بيت الرسالة وسدنتها وأُمنائها ما ينبغي لهم؛ تكريماً وإعظاماً، وتدبيراً حكيماً يحفظ لهذا الموقع الرسالي قداسته وحرمته، ويعود بالنفع العميم على المسلمين حينما يحفظون لهذا الموقع كرامته وقداسته في نفوسهم وعند

تعاملهم وفي مشاعرهم تجاه آل الرسول ﷺ.

ولو لم ينحرف المسلمون عن هذا الترشيد الربّاني، لما حلّ بالمسلمين ما حلّ بهم من ويلات ودمار هائل كاد أن يقضي على الإسلام والمسلمين حينما تجاوز الأُمويّون وأضرابهم هذه الحدود المرسومة، وعرّضوا أهل بيت الرسالة لكلّ هتك وقتل وتشريد، حسداً واستئثاراً بالموقع الرسالي، وانتقاماً لما حلّ بعتاة قريش في عصر الرسول ﷺ.

ولنقرأ ما كتبه شرف الدين في هذا المضمار بأناة ودقّة لنستلهم ممّا كتبه الدروس والعبر. والله من وراء القصد.

# ٣ ـ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نصوص الكتاب
## إمامته ـ أفضليّته

ظاهرة الإمامة ومصطلح الإمام قد تناولهما القرآن الكريم بشكل ملفت للنظر. كما تناول جوانب هذا الموضوع الحيوي للإنسان الذي خلقه ليكون خليفة له، وجعله ينطلق وينمو ويتكامل في بيئة اجتماعيّة تتكوّن من عدد من الأفراد تربطهم علاقات وحقوق متبادلة.

إنّ إمامة الإسلام لحياة الإنسان تشكّل روح رسالة الإسلام للإنسان، فهو يريد للإنسان أن يأتمّ بهذه الرسالة ويحيا في ظلّ قيمها وتعاليمها ويتكامل من خلال إمامتها له في الحياة.

ومن هنا فمن غير المعقول أن يتغافل الإسلام عن مبدأ الإمامة وعن حقيقتها، ويترك الأُمور فوضى أو شورى بين أُناس يحتاج كلّ منهم إلى هداية ورعاية وعناية تسديديّة، لتجري عليه تعاليم وقيم الإسلام، وليتكامل في ظلالها ويتحقّق لهذا الوجود أهدافه المُثلى.

فالقرآن الكريم سواء صرّح بهذا المبدأ أو لم يصرّح، وسواء استعمل مصطلح الإمام والإمامة أو لم يستعمل، فإنّه يمارس هذه الإمامة للإنسان، ويريد تركيزها في حياته ونظام مجتمعه، حيث لا يمكن للإسلام أن يتجاوز هذا المبدأ إلّا إذا تنازل عن أهدافه كدين يريد للإنسان الهداية الشاملة باتّجاه قيم الكمال وقممه.

فالذين ينكرون تطرّق القرآن الكريم لهذا المبدأ أو يتغافلون عنه، إنّما ينكرون رسالة هذا الدين العظيم، وينحرفون عن أهدافه، ويستسيغون تحقّق الأهداف الكبرى بلا وسائط ولا وسائل معقولة وصحيحة، ويتوقّعون من الإنسان الطفرة في ارتقاء سلّم الكمال.

إنّ الهداية الربّانيّة للإنسان إنّما تأتي عبر الترشيد بالإمامة التي لم تخل منها برهة من الزمن، ولا تعدمها الأجيال منذ خلق الله الخلق وحتّى اليوم الذي يرث الله الأرض ومن عليها.

والباحث الجادّ والمحقّق الحصيف يلاحظ نظريّة متكاملة للهداية الربّانيّة للإنسان قد عرضها القرآن الكريم للإنسانيّة، وجعل الإمامة مبدأً أساسيّاً في صُلب هذه النظريّة، وتناول شؤونها ومصاديقها بالذكر والتفسير والتوضيح.

فإمامة الرسل الذين تواتر إرسالهم منذ خلق الله آدم عليه السلام، بدءاً بآدم الذي اصطفاه ثمّ نوح ثمّ إبراهيم وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله، وسائر الرسل الذين توسّطوا بين أُولي العزم والذين جمعوا بين الإمامة والرسالة، قد ذكر القرآن قسماً منهم وترك ذكر الآخرين ﴿ورُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيكَ﴾[1]، واستعمال مصطلح الإمام لمثل إبراهيم الخليل بشكلٍ خاصّ: ﴿إنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾[2] واستعمال مفردة الأئمّة لهؤلاء الرسل الذين لا يمكن الاستغناء عن إمامتهم للحياة، في أكثر من مورد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[3] لهو دليل صريح وواضح على اهتمام القرآن الكريم بمبدأ الإمامة أيّما اهتمام.

## الإمامة العامّة والخاصّة

ومصطلح الإمامة العامّة يُراد به عند المتكلّمين أصل مبدأ الإمامة أو ظاهرة الإمامة. فالبحث عن إمامة الأئمّة الذين تولّوا المهمّة الأساسيّة في هذه الحياة لترشيد حياة الإنسان يكون بحثاً منطلقاً من فهم مبدأ الإمامة ونظريّتها بشكلٍ عامّ.

ويتناول بحث الإمامة العامّة أركان نظريّة الإمامة، وهي: أصل ضرورة الإمامة

---

١. النساء (٤): ١٦٤.

٢. البقرة (٢): ١٢٤.

٣. الأنبياء (٢١): ٧٣.

للإنسان، ومواصفات مَن يحتلّ هذا الموقع، وخصائصه التي لا يتسنّى له ارتياد هذا الموقع بدونها، كالعلم والعصمة والنصّ، والأفضليّة على سائر من يأتمّون به ويسترشدون بهديه، وينضوون تحت لواء إمرته ورعايته وقيادته.

كما يتناول الطرق العامّة لإثبات أو لمعرفة إمامة من يدّعي الإمامة، ويتصدّى لهذا الموقع الأكبر في رسالات السماء التي تستهدف إمامة الحياة الإنسانيّة وإيصالها إلى قمم الكمال.

كما يمكن إضافة بحث عن فلسفة الإمامة وعلل تشريعها، وهو ما يمكن استفادته من البحوث التي تناولها المتكلّمون في مقام بيان ضرورة الإمامة، وضرورة التواصل في الهداية، وعدم الانفلات في مجال الترشيد من خلال استمرار الإمامة في كلّ الأجيال البشريّة ما دامت أهداف الرسالات، لا استثناء فيها لجيل دون جيل أو لمجتمع دون مجتمع.

وتطبيق هذا المبدأ العامّ على المصاديق والنماذج ـ يعني تخصيص الإمامة بفرد خاصّ ـ هو مجال البحث عن الإمامة الخاصّة، التي تكفّلت بحوث الإمامة العامّة البحث عن أُصولها وطرقها وكيفيّة الوصول إليها.

والقرآن الكريم قد طبّق هذا المبدأ على أفراد نصّ على إمامتهم، ليُعلم أنّ هذا المبدأ يحتاج إلى ترجمة عمليّة وواقعيّة، وأنّ نصب الأئمّة الهداة هو من مهامّ الربوبيّة الإلهيّة للإنسان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾[1] وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[2].

فكيف يشرّع الإسلام للإنسانيّة هذا المبدأ الذي لا يشذّ عنه مجتمع، ويترك الأمر فوضى أو شورى في الرسالة الخاتمة، التي اتّسمت بالكمال والشمول، وتناولت كلّ الأجيال والمجتمعات بالعناية والهداية؟!

ومن هنا لم يغفل عنه أيّ جيل من الأجيال في تأريخ الإسلام، فكيف غفل عنه

---

١. الأنبياء (٢١): ٧٣.

٢. البقرة (٢): ١٢٤.

الرسولﷺ أو تغافل عنه وتركه إلى شورى، لم يتبيّن حدودها ولا ثغورها ولا كيفيّة تحقيقها لمهامّ الإمامة في الحياة؟!

وهذا الوضوح في طرح مبدأ الإمامة في القرآن الكريم هو الذي لا يستسيغه الطامعون في مصادرة هذا الموقع الربّاني، حين ينطلقون من منطلق الحسد والكمد والاستئثار بأعلى موقع قيادي في الأُمّة، زاعمين سكوت الرسول والرسالة؛ لأنّه لم يذكر اسم خاصّ في نصوص الكتاب الكريم.

علماً بأنّ القرآن الكريم كتاب تشريع وتقنين وهداية لكلّ الأجيال، وليس من دأبه أن يتدخّل في كلّ أمر ببيان جزئيّاته ومصاديقه، بعد أن يعطي المنهج ويرسم الطريق، ويذكر المواصفات التي تبيّن القيم والحدود والأبعاد التي يريدها المشرّع في كلّ تشريع، ولا سيّما حين ينصّ القرآن بأنّ على الرسول بيان ما في الكتاب، والرسول يتكفّل بيان ذلك بكلّ وضوح وجلاء.

فهل نصّ الكتاب على إمام أو أئمّة بعد الرسول؟ وهل نصّ الرسول على ذلك بوضوح؟

## إمامة أهل البيت عليهم السلام

إنّ «أهل البيت» عنوان خاصّ يشير إلى أعيان أشخاص خصّوا بهذا العنوان في الذكر الحكيم والحديث والتأريخ.

وعرفنا تخصيص أهل بيت الرسالة بالذكر في كتاب الله، كما عرفنا ذكره لمواصفات هي من مستلزمات الإمامة ومن شروطها، مثل العصمة، ومثل العلم الجامع بالكتاب حين قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، ثمّ نصّ على المطهّرين وعرّفهم بأنّهم أهل البيت، مريداً بذلك أهل بيت الرسالة، مشيراً إلى الحسد الكامن في النفوس

---

١. الواقعة (٥٦): ٧٩.

تجاه هذا الموقع ومن يتصدّى له بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[١].

إنّ الإشارة إلى وجود من يحسد آل إبراهيم ـ الذين استمرّت فيهم الإمامة وتجلّت في رسول الله ﷺ الذي ينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل ـ لهي إشارة مفهمة إلى السرّ في عدم ذكر أسماء خاصّة بعد الرسول ﷺ، فإذا كان الحسد قد أدّى إلى ابني آدم إلى أن يقتتلا، فكيف بالطامعين بالإمامة والحاسدين لآل إبراهيم؟

وقد أفصح التأريخ عن هذه الظاهرة التي وسمت بها الخلافة بعد الرسول ﷺ طيلة قرون متتالية، ولم تسمح هذه النفوس الحاسدة ليتبوّأ أهل البيت هذا الموقع رغم جهود الرسول وأبنائه لإرجاع الحقّ إلى نصابه. ومن هنا كانت دولة أهل البيت آخر الدول؛ إذ ينتهي الحقّ إلى نصابه ويرجع الأمر إلى محلّه بعد أن يستنفذ الحاسدون أغراضهم، وبعد أن ينفضح الباطل ويظهر للناس جميعاً المحقّ من المبطل، وتنجلي غياهب الجور، ويؤوب الناس إلى الحقّ والعدل، وتصبح قيمة الحقّ وقيمة العدل هي المعيار الأساس في كلّ التصرّفات والنشاطات في المجتمع الإنساني المتكامل.

## تفسير النبيّ ﷺ لمفهوم ومصاديق أهل البيت عليهم السلام

والآيات الكريمة تكفّلت ببيان موقع أهل البيت في الرسالة الإسلاميّة، وهو موقع المرجعيّة العلميّة، والمرجعيّة السياسيّة التي تتجسّد في ولاية الأمر، والتي تمتاز بالعصمة الشاملة، والتي اختصّ بها أهل البيت حسب آية التطهير.

وقد جاء التحذير الإلهي أيضاً بالتوجّه إلى تحريف الكلم عن مواضعه، كما جاء التحذير الربّاني بأنّ الافتتان والامتحان إنّما هو سنّة إلهيّة شاملة لا تستثنى منها هذه الأمّة، وبهذا يصبح انفتاح باب الامتحان بقضيّة الإمامة لمعرفة مدى الانصياع من الأمّة

---

١. النساء (٤): ٥٤.

للأئمّة الهداة، الذين أُوكلت مهمّة تحديد أشخاصهم إلى الرسول ﷺ، وتكفّل القرآن الإشارة للأوصاف المتوفّرة في الأئمّة الهداة، وهم المصاديق الحقيقيّة للإمامة الرائدة، كما جاء ذلك في آية الولاية[١] وآيتي كمال الدين والتبليغ[٢].

وبذلك يكون القرآن قد نصّ عليهم بالخصوص من خلال تحديد أوصاف لا تنطبق إلّا عليهم؛ مراعاة لقضيّتي الحسد والافتتان.

## منهج شرف الدين لبيان الإمامة الخاصّة

لقد اختصر شرف الدين الطريق في هذا البحث حين اهتمّ بما ذكره المفسّرون من شأن نزول الآيات الناصّة على الولاية التي هي حقيقة الإمامة وروحها والتعبير الكاشف عن مهمّة الإمام المتجسّدة في الولاية ـ ولاية الأمر ـ والولاية الشاملة على النفوس والقلوب والعقول.

كما تصدّى لدفع ما أُشكل على الآية التي استعملت لفظ الجمع وأرادت الفرد باستعراض ما يماثله من مصاديق في آيات الذكر الحكيم.

والاعتناء بنصوص النبيّ ﷺ المفسّرة للآيات اعتناء بالنصّ الذي يتقدّم على كلّ ظهور.

ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا أصرّ الصحابة ـ الذين تجاوزوا هذه النصوص ـ على عدم تدوين السنّة النبويّة، وعدم السماح بالتحديث بهذه الأحاديث التي تبيّن اهتمام النبيّ ﷺ ببيان مقاصد الكتاب وتفسيره، في الوقت الذي كانوا يرفعون فيه شعار الاعتناء بالكتاب بشكلٍ خاصّ. وكأنّهم كانوا يريدون الكتاب من دون تفسيره ليكون قابلاً لحمله على كلّ محمل أحبّوه، أو تركه دون تفسير حينما يتمّ تغييب النصوص النبويّة المفسّرة لآيات الكتاب.

---

١. المائدة (٥): ٥٥.

٢. المائدة (٥): ٣، ٦٧.

وفي هذه المقالات القرآنيّة الثلاث تعرّض شرف الدين لإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهي الإمامة الخاصّة؛ مستدلاً على ثبوتها بآية الولاية مع بيان شأن نزولها، وبيان كيفيّة الاستدلال بها عليها.

وقد تعرّض في كتابه المراجعات إلى آيات أُخرى دلّت على الإمامة الخاصّة، فضلاً عن آيات أُخرى ذكرت أوصاف أهل البيت عليهم السلام بأنّهم حبل الله، وأنّهم الصادقون، وأنّهم الصراط المستقيم، وأنّهم الهداة، وأنّ إمامتهم هي الإمامة المعروضة على السماوات والأرض، وأنّ إمامتهم وولايتهم هي النعيم الذي تُسأل عنه الأُمّة، وغيرها من الأوصاف والسمات المعبّرة عن هذا الموقع الرسالي ومستلزماته وآثاره، التي غفل عنها وتغافل من تنزّل بالإمامة إلى مستوى الحكم، وخصّها بالأمر والنهي الذي قد يصدر من آحاد الناس.

وفي المقال الثاني تصدّى لإثبات أنّ بيّنة الوحي في سورة البيّنة قد شهدت بأنّ عليّاً خير البريّة، وعضد ذلك بأحاديث العترة الطاهرة وأحاديث غيرهم ممّا ورد في الصواعق المحرقة وشواهد التنزيل، وأردفها بشواهد من كتب الجمهور تشهد بما في مضمون هذه البيّنة المباركة.

وفي المقال الثالث اختصّ البحث بفضيلة لعليّ عليه السلام لم يشركه فيها أحدٌ من الصحابة، فكان أفضل الصحابة على الإطلاق. وهي الفريضة التي لم يعمل بها سوى عليّ بن أبي طالب حين أمر المولى سبحانه المسلمين المؤمنين أن يقدّموا صدقة بين يدي نجواهم مع الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد كان فيهم صحابة موسرون، لكنّهم أحجموا عن التصدّق؛ لأنّهم لم يريدوا النجوى بعد أن وجب التصدّق قبلها. وبهذا يكون الوحي قد امتحن الصحابة وكشف عن مدى حرصهم على الاهتمام بنجوى النبيّ صلى الله عليه وآله ومدى حرصهم على طلب العلم النبويّ.

فاتّضح للناس جميعاً وأثبت التأريخ للأجيال بأنّ عليّاً ـ في كلّ بُعد من وجوده ـ

لا يقاس به أحد من الصحابة الذين تركوا نجوى الرسول ﷺ لمجرّد أنّ هذه النجوى أصبحت ذات ضريبة، وكانت تكلّفهم ثمناً بسيطاً، حيث نكّرت الآية تلك الصـدقة؛ ليتمّ تحقّقها بأدنى صدقة كانت تُبذَل.

فهل يقاس أحد بمن يبذل كلّ ما لديه من مال لطلب العلم، بينما يكفّ عن طلبه من كان يملك أضعافه؟!

إنّ هذه الأفضليّة لا ينكرها أحد، ولا يمكن تأويل هذه الآية التي لم يعمل بها أحد سوى عليّ بن أبي طالب؛ لأنّ الآية قد نسخت فيما بعد وفوّتت الفرصة على أصحاب المطامع، الذين ما كانوا يظنّون أنّ الوحي يخطّط لمباراة يوازن فيها بين عليّ وغيره، لئلّا يقول المرجفون: إنّا قد شُبّه علينا ولم نفهم كيف فضّلت الأحاديث المجعولة فيما بعد عن لسان الرسول ﷺ غير عليّ على عليّ!

وهكذا تتوالى الحجج عـلى النـاس وإن اسـتغفلهم الجـهّال وأصـحاب المـطامع في الحكم، فللّه الحجّة البالغة، ولئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسـول، إنّـه عليم حكيم.

# ٤ ـ عقيلة الوحي في تراث الإمام شرف الدين

التمس الحاجّ مهدي البهبهاني من العلّامة الإمام شرف الدين كلمة قيّمة بمناسبة وضع الضريح الرائع الذي صنعه الإيرانيّون لمرقد العقيلة زينب الكبرى ابنة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكتب الإمام هذه الرسالة وأوصى بأن يلقيها ابن عمّه الأكرم السيّد رشيد مرتضى، إن لم يوفّق هو لإلقائها على جمهور المحتشدين لإحياء هذه الذكرى العطرة التي يُراد فيها إحياء معالم ومقامات أهل بيت النبوّة بشكلٍ عامّ ومعالم شخصيّة زينب الكبرى بشكلٍ خاصّ.

**بحوث الرسالة:**

١ ـ أهل البيت عليهم السلام في نصوص الثقلين.

٢ ـ سرّ جلالة العترة الطاهرة.

٣ ـ مشاهدهم ودورها في توثيق العلاقة بهم.

٤ ـ مشهد العقيلة زينب عليها السلام.

٥ ـ تعلّق المؤمنين بمشهد العقيلة زينب عليها السلام.

٦ ـ مؤمنو إيران وخصائصهم.

٧ ـ بشائر الذكر الحكيم بمؤمني إيران.

٨ ـ ترجمة عقيلة الوحي عليها السلام.

أ ـ الأُسرة والبيئة الطاهرة: أبوها، أمّها، جدّها لأمّها، جدّتها لأُمّها (خديجة الكبرى)، جدّها لأبيها (أبو طالب عليه السلام)، جدّتها لأبيها (فاطمة بنت أسد).

ب ـ تأريخ ولادتها.

ج ـ معالم شخصيّتها.

د ـ مواقفها الجهاديّة:

١ ـ موقفها في الكوفة من الطاغية ابن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٢ ـ موقفها مع أهل الكوفة.

٣ ـ مواقفها في الشام.

٤ ـ محن العقيلة زينب.

٥ ـ دور زينب في حفظ بقايا الوحي والنبوّة.

وهذا الفهرس يكشف عن أُطروحة لكتابٍ قيّم في ذهن شرف الدين بحيث عرضه ضمن مقالٍ مقتضبٍ أو كُتيّب صغير للغاية.

## مرقد العقيلة وكراماتها

ويدلّ المقال ضمناً على رأي الإمام شرف الدين في أنّ هذا القبر المعروف في قرية الستّ من ضواحي دمشق هو قبر زينب ابنة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلّا لناقش في ذلك ولأشار إلى خلافه إن كان يرى ذلك.

وتأمّل في قوله هذا:

كان مشهدها منذ حلّت في رمسه كلّ سنة هو أفخم وأعظم منه في سابقتها حتّى بلغ اليوم أوج العظمة والعلاء.

وبهذا فهو يؤيّد الكرامات التي أُثرت وتؤثر عن زائري هذا المرقد الشريف والمشهد الزاهر بأنوارها، التي جعلته من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. وهذه الكرامات إنّما هي لمن يعظّم شعائر أهل البيت التي هي من شعائر الله وللمخلصين في حفظ رسول الله في عترته من بعده.

## الإيرانيّون في منظار شرف الدين

وأمّا إشادته بالإيرانيّين وشعب إيران فتراها في النصّ التالي:

وما أدراك ما إيران، شعب أخلص لله عزّ وجلّ في طاعته، وانقطع إلى رسول الله

وأهل بيته في ولائه، ينهج في الدين سبيلهم ويقفو فيه أثرهم، ولا يُطبع إلّا على غرارهم، وله في تعظيم شعائرهم ومشاعرهم ـ التي أذن الله أن تُرفع ـ بالقيام عليها غاية تتراجع عنها سوابق الهمم. ولا سيّما ما كان منها في العراق وخراسان.

ولم يكتفِ في الإشادة بهم بما ذكر، بل أتبعه بثلاث آيات من الذكر الحكيم قد فسّرها الرسول ﷺ بأبناء فارس الذين سيحملون راية الدين في مستقبل حياة الأُمّة الإسلاميّة.

ثمّ يختصر الوصف فيهم بكلمة في غاية البلاغة وهي: أنّهم ممّن لا يجاذبهم بحبل الإيمان أحد، ولا يكايلهم بصاعه بشر، فطوبى لهم وحسن مآب.

## المنهج التحليلي عند شرف الدين

ومن الطريف في هذه الرسالة: دقّة التحليل وكثرة التعليل الذي تطفح به بحوث الرسالة في مختلف مجالاتها، مثل:

١ ـ السرّ في جلالة العترة الطاهرة.

٢ ـ دور المشاهد المشرّفة في توثيق العلاقة بأهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ سرّ الإشادة بالإيرانيّين.

٤ ـ السرّ في عظمة السيّدة زينب العقيلة سلام الله عليها.

٥ ـ سلسلة المحن التي عاشتها وتعايشت معها، والظروف التي خلقت منها نموذجاً فريداً للصبر ورباطة الجأش، حتّى أصبحت تضرب الأمثال بصبرها وجلدها واستقامتها أمام المصائب الجليلة، فللّه درّها وعلى الله أجرها وللمؤمنين حُسن التأسّي بها.

# ٥ ـ صلح الحسن عليه السلام = كتاب في مقال

صلح الحسن عليه السلام موضوع تاريخي سياسي ديني عقائدي وفقهي في غاية الأهمّيّة لمن يريد دراسة تأريخ وسيرة أهل البيت عليهم السلام ، دراسةً موضوعيّة علميّة وتحليليّة ليخرج منها بنتائج واضحة ذات مستندات قيّمة.

وإنّ ما حفظته المكتبة الإسلاميّة لنا في هذا المضمار هو الكتاب القيّم الذي جادت به قريحة الإمام المجاهد آية الله الشيخ راضي آل ياسين قدس سره.

وقد صدر الكتاب وصُدّر بكلمة قيّمة للإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين قدس سره.

وهذه الكلمة يمكن أن نسمّيها «كتاب في مقال» من دون أن نبخس أصل الكتاب حقّه وقيمته، فإنّه أحسن كتاب صدر لحدّ الآن في هذا الموضوع من حيث العمق والدقّة والاستيعاب، وهو في موضوعه ـ حسب تصريح شرف الدين ـ فصل الخطاب.

كما صرّح شرف الدين بقيمة الموضوع الذي تناوله، حيث يرى بقاء الناس في عشواء وجهل تجاه حقيقة هذا الصلح، ويستغرب من هذا الجهل الذي يكشف عن عدم وجود معالجة موضوعيّة مستوفاة ببيانها وبيّناتها العقليّة والنقليّة.

كما أنّ شرف الدين كان ممّن يحاول أن يرتاد هذا الموضوع المهمّ، وهو الذي كان قد كتب عن سيّد الشهداء ما هو حريّ بالدراسة والدقّة في مجالسه الفاخرة والمقدّمة الزاهرة. ولكنّه لم يوفّق لذلك حتّى شاء الله بحكمته أن يختصّ بهذه المكرمة من كان يراه أولى منه بها وأحقّ بكلّ فضيلة، وهو آية الله الشيخ راضي آل ياسين طاب ثراه.

وقد ترجمه إلى الفارسيّة آية الله السيّد علي الخامنئي قائد الثورة الإسلاميّة قبل نجاح الثورة بسنوات وأطراه كلّ إطراء يستحقّه.

## منهج شرف الدين في هذا المقال

وباعتبار أنّ المقال هو تصدير لكتاب صلح الحسن عليه السلام وتعريف بموضوعه وبمؤلّفه ومؤلَّفه تنقسم بحوث المقال إلى ما يلي:

١ ـ التعريف بأهمّيّة الموضوع وهو ما نعبّر عنه بمحنة صلح الإمام الحسن عليه السلام، وكيف يعتبر هذا الصلح ظلامة من ظلامات الإمام، التي لم يفهمها حتّى كثير من شيعة الإمام عليه السلام، حتّى اتّهموه بالإخلاد إلى الدعة بدل التضحية في سبيل الله وهو سيّد شباب أهل الجنّة.

ومدى حاجة شيعة أهل البيت عليهم السلام لكشف القناع عن هذا الموضوع المهمّ.

٢ ـ بيان خصائص الكتاب البالغة ١٤ ميزة.

٣ ـ بيان خصائص المؤلّف التي لا تقلّ عن ١٤ ميزة أيضاً.

٤ ـ تباين الأخلاق والتربية المحمّديّة عن الأمويّة.

٥ ـ موقف النبيّ الحكيم من الطلقاء والمؤلّفة قلوبهم من بني أُميّة.

٦ ـ سيرة معاوية العامّة.

٧ ـ التخطيط الأُموي لدفن الرسالة الخاتمة.

٨ ـ تباين سيرة الخليفة الثاني مع عمّاله ودوره في فسح المجال لطغيان معاوية.

٩ ـ الدور الحرج والظرف الخدّاع حين قرّر معاوية هدم الإسلام باسم الإسلام.

١٠ ـ المقارنة بين نتائج التضحية والاستماتة وتصفية الكوادر المؤمنة وخلوّ الميدان لمعاوية من جهة، وبين إعطاء الفرصة لمعاوية لفضح نفسه من خلال غطرسته وتماديه في الغيّ، وبقاء من يحاسبه على تصرّفاته، ويكشف للناس معايبه وخططه الشيطانيّة في محاربة الإسلام باسم الإسلام.

١١ ـ التفريق بين الانتصار للذات والانتصار للحقّ.

١٢ ـ اعتماد الحسن عليه السلام على سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٣ ـ كيفيّة غرس الحسن عليه السلام قنابل موقوتة في شروط الصلح لتنفجر في أوّل يوم من نشوة معاوية بالنصر.

١٤ ـ سياسة معاوية بعد الصلح ومجمل إنجازاته.

١٥ ـ استتباب مقدّمات الثورة العارمة على يزيد خليع معاوية المهتوك، فشهادة الحسين حسنيّة في منطلقاتها ونتائجها.

١٦ ـ جهاد الحسن الصامت في ذلك الظرف يعادل استشهاد الحسين عليه السلام في ظرفه أو يفوقه؛ إذ الحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين بأسخى منه بنفسه في سبيل الله.

١٧ ـ انكشاف حقيقة العلاقة بين الأُمويّين والإسلام.

والمقال غنيّ بمادّته، وجميل في أُسلوبه وبلاغته، وهو تعبير عن أُطروحة كاملة قد قدّمها الإمام شرف الدين بأوجز عبارة وأجزل تعبير، ويمكن إضافته إلى المجالس الفاخرة ليكون بحثاً في المجال المناسب الذي خصّصه لبيان فلسفة ثورة الحسين عليه السلام.

والكتاب ليس كتاباً في أحوال الإمام الحسن عليه السلام بمقدار ما هو كتاب في مواقفه السياسيّة. ومن هنا قدّم له فصلاً واحداً عن حياة وسيرة الإمام الحسن عليه السلام بشكلٍ موجز، بينما عقد ثلاثة عشر فصلاً في الموقف السياسي، وتسعة فصول في الصلح بشكلٍ خاصّ، وختمه بالموازنة بين ظروف الحسن وظروف الحسين عليهما السلام.

واستند فيه إلى مصادر الفريقين، فأصبح كتاباً علميّاً رائداً فريداً في بابه وموضوعه سعةً ودقّةً وسلاسةً، يفهمه الباحث والدارس والطالب والمثقّف العادي، وينهل منه كلّ حسب مستواه واستعداداته.

فللّه درّ مؤلّفه ودرّ مصدِّره وهو وليّ التوفيق.

# ٦ ـ في رحاب زكاة الأخلاق

زكاة الأخلاق عنوان اختاره شرف الدين لكتاب في علم الأخلاق، أخذ ينشره في حلقات متسلسلة على صفحات مجلّة العرفان العامليّة[١] منذ بزوغها، وقد نشرت له ستّ مقالات متوسّطة، بإمكانها أن تكشف عن توجّهات كاتبها، واهتماماته ومنطلقاته الأخلاقيّة والتربويّة في سلوكه الاجتماعي وتعامله الإنساني والإسلامي مع أبناء نوعه وأبناء جَلدته وبلده وأبناء وطنه ودينه ومذهبه.

ولا نكاد نحصر تراث شرف الدين الأخلاقي والتربوي في زكاة الأخلاق، وإنّما نقف على تراثه الأخلاقي والتربوي في جلّ آثاره المكتوبة من كتب ورسائل وخطابات، موجّهة لأبنائه أو للرؤساء من معاصريه أو لمحاوريه، وفي كتبه الحواريّة كالمراجعات، أو كتبه التي تشكّل ردّاً علميّاً على تقوّلات البعض، كما في كتابه إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، أو كتابه أجوبة مسائل موسى جار الله، أو سائر ما خلّفه من تراث تاريخي طافح بالقيم والمثل الإسلاميّة والإنسانيّة التي تتجلّى في أدبه الرفيع وقلمه المليح.

## محور البحث وفصوله

الأخلاق أو علم الأخلاق هو المحور الأساس في هذا البحث. والموضوعات التي تناولها بالدراسة والبحث هي كما يلي:

١ ـ التعريف بمكارم الأخلاق.

٢ ـ تعريف الأخلاق.

١. وهي الأعداد ٩ ـ ١٢ من المجلّد الأوّل منذ شهر رمضان إلى ذي الحجّة سنة ١٣٢٧.

٣ ـ طبيعة الملكات الأخلاقيّة ومدى إمكان تغييرها.

٤ ـ الأدلّة على إمكان تغيير الملكات الأخلاقيّة.

٥ ـ مناقشة القائلين بعدم إمكان التغيير.

٦ ـ تعريف علم الأخلاق.

٧ ـ غاية علم الأخلاق.

٨ ـ موضوع علم الأخلاق.

٩ ـ شرف علم الأخلاق وأهمّيّته.

١٠ ـ ضرورة الاهتمام بتزكية الأخلاق قبل الانهماك بطلب العلم.

١١ ـ ضرورة الاهتمام بما يستجدّ من العلوم إلى جانب الاهتمام بالتزكية.

١٢ ـ ضرورة تهذيب النفس من سيّئات الأخلاق.

١٣ ـ ضرورة الاهتمام بتربية الأولاد.

١٤ ـ ضرورة انتقاء الأصحاب والرفاق.

## منهج شرف الدين في زكاة الأخلاق

بالإمكان أن يتنبّأ الإنسان من خلال عنوان البحث بطبيعة الاتّجاه الذي يريده شرف الدين في هذا البحث؛ فإنّ الزكاة بمعنى النموّ، وبذلك نفهم أنّه يتّجه للتربية والإنماء الخلقي من خلال هذا البحث، ولا يريد الاقتصار على الجانب العلمي البحت فيما طرحه على صفحات مجلّة إسلاميّة عامّة.

ويشهد لاتّجاهه العملي التربوي ما بدأ به بحثه من التعريف بمكارم الأخلاق من خلال مصاديقها، وعدم التركيز على المفهوم، والتعريف بالماهيّة كما هو دأب علماء الأخلاق عادة.

وقد استوعب المصاديق والنماذج العمليّة لمكارم الأخلاق في مقاله الأوّل واعتبرها هدف الشريعة الإسلاميّة وروحها، بدءاً بتوحيد الله وتعظيمه بأنواع العبادات. وبذلك

قرّر منهجاً شموليّاً للأخلاق لا ينحصر في جملة من الأفعال أو الصفات والملكات، وإنّما يستوعب المعتقدات وأنواع السلوك إلى جانب الصفات والملكات.

وقد يكشف لنا تعريفه في المقال الثاني للأخلاق عن سبب الرؤية الشموليّة التي جسّدها في مقاله الأوّل. فالتعريف بالمصداق هو أقرب إلى تحقّق التربية من الاقتصار على المفاهيم أوّلاً.

والموائمة بين منهج الشريعة وأهدافها التي تلخّصت بإكمال مكارم الأخلاق[1] هي نقطة جوهريّة في المنهج التربوي لشرف الدين.

وتأتي نصوص الكتاب والسنّة الشريفة لتدعم جملة من بحوثه، ولعلّ الاستشهاد على كلّ دعوى بنصوص من الكتاب والسنّة والأدب يؤدّي إلى التطويل الذي لا ينسجم مع مطلع البحث هذا.

وقد لمسنا نموذجاً من هذا المنهج في البحث السادس الذي خصّصه بالاهتمام بالأصدقاء والأصحاب.

## آراء وأدلّة

١ ـ اعتبر شرف الدين التنزّه من مساوئ الأخلاق وسفاسفها من مكارم الأخلاق التي بُعث النبيّ الخاتم ﷺ بها، وبذلك قدّم تفسيراً عمليّاً لمقولة النبيّ محمّد ﷺ: «بُعثتُ لأُتمّم مكارم الأخلاق»[2].

كما بيّن لنا أنّ كلّ ما في الشريعة من قوانين للسلوك ـ بما فيها من واجبات ومحرّمات ـ تستوعب مكارم الأخلاق حينما تأمر بالخير والمعروف، وتنهى عن الشرّ والمنكر، فالانتهاء من مساوئ الأخلاق يُعدّ مكرمة مهمّة للإنسان.

وبالاستقراء نلاحظ استيفاؤه لـ ٨٥ مكرمة من مكارم الأخلاق في مقاله الأوّل.

---

١. فقد روي عن النبيّ الأعظم ﷺ أنّه قال: «إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق».

٢. أُنظر كنز العمّال ٣: ١٦، ح ٥٢١٧؛ مجمع البيان ١٠: ٣٣٣؛ بحار الأنوار ١٦: ٢١٠.

٢ ـ على الرغم من قلّة استشهاده بالآيات البيّنات ومضامين نصوص المعصومين في هذا المقال لكنّه طافح بالتعليل والتحليل المستفاد من النصوص الشريفة مثل قوله ﷺ: «وإصلاح السرّ، فإنّ من أصلح سرّه أصلح الله له علانيته».

وتبلغ هذه الموارد ٢٥ مورداً.

٣ ـ تعريف الأخلاق: ملكات في النفس تقتضي صدور الأفعال بسهولة.

٤ ـ تعريف علم الأخلاق: علم تُعرف به سعادة النفس وشقاؤها.

٥ ـ غاية علم الأخلاق: إكمال الإنسان.

٦ - موضوع علم الأخلاق: النفس الناطقة.

٧ ـ شرف علم الأخلاق: هو أشرف العلوم؛ لأنّ شرف العلم بشرف موضوعه أو غايته، والنفس الناطقة هي أشرف أنواع الأكوان.

٨ ـ وظيفة علم الأخلاق: بيان صحّة الروح بمكارم الأخلاق ومرضها برذائل الصفات وتفصيل الأدواء وأقسام العلاج.

٩ ـ مبادئ علم الأخلاق: إنّ أهمّ قضيّة يتوقّف علم الأخلاق عليها هي الإيمان بإمكان تغيير ملكات الإنسان بالاختيار.

وأهمّ مانع يحجب الإنسان عن التكامل أو التطوّر هو اقتناعه بعدم إمكان تغيير صفاته وملكاته التي انطوى عليها.

وقد عالج شرف الدين هذه القضيّة في مقاله الثاني واعتبره مدخلاً أساسيّاً لهذا العلم الشريف، واستدلّ على إمكان التغيير بالعقل والنقل كتاباً وسنّة، وبالتجربة الحسّيّة للإنسان بل حتّى في الحيوان، كما ردّ على من زعم عدم إمكان التغيير وكشف عن السبب الكامن وراء هذا الزعم السخيف.

## تاريخ علم الأخلاق

١ ـ وقدماء الفلاسفة سمّوه بالإكسير الأعظم، ولم يطلقوا العلم حقيقةً إلّا عليه.

٢ ـ لقد صدع الرسل والأنبياء بحقائق هذا العلم الشريف.

٣ ـ وجاءت شريعة الإسلام فاضمحلّ في جنبها كلّ ما قرّره الحكماء أو صدعت به الرسل والأنبياء.

٤ ـ ما زال في كلّ خلف من علماء الإماميّة من يرفع منار هذا العلم ويصدع بوظائفه.

٥ ـ وفي العصر الحاضر نُبذ هذا العلم وراء الظهور، وترفّعوا عنه بما يدّعون من معارف، منهمكين في جمع المال، وغافلين عن سوء المآل.

## ضرورة تهذيب النفس قبل الانهماك بطلب العلم

إنّ اكتساب المعارف قبل تهذيب النفس بصالح الأعمال لا ينفع الإنسان المتعلّم إذا كان المتعلّم ذا ملكات ذميمة يتردّى بها في هوّة العمى والضلالة؛ لأنّه يملك أعظم صارف عن المعارف الإلهيّة والفيوضات الربّانيّة.

## كيف نربّي الأبناء على الأخلاق الفاضلة؟

قال ﷺ:

١ ـ انشطوا لتربية أولادكم في حداثتهم؛ فإنّ نفوسهم خالية من كلّ ملكة قابلة لانطباع الأخلاق فيها بسهولة.

٢ ـ مرّنوهم على عبادة الله تعالى والخوف من أليم عذابه.

٣ ـ أدّبوهم بآداب الكتاب والسنّة.

٤ ـ شوّقوهم إلى ما أعدّ الله تبارك وتعالى لأهل الجنّة.

٥ ـ أبعدوهم عن أهل العقائد الفاسدة والأخلاق السيّئة.

٦ ـ ومتى تفقّهوا في الدين ورسخت فيهم عقائد المؤمنين فلا جناح أن يتعلّموا الفلسفة وسائر الفنون المرغوبة في هذا العصر.

## الحداثة المشروعة

يرى شرف الدين ضرورة تعلّم العلوم الحديثة ليكون المعلّمون لها من العلماء الملتزمين المهذّبين لئلّا تتضرّر الشبيبة بالانبهار بها، لا سيّما إذا عرفوا أنّ الكتاب والسنّة وكلام أئمّة الهدى تشكّل بحراً زاخراً من المعارف التي لا تنضب.

## المنهج العامّ للتربية

١ ـ المجاهدة العظيمة بالتفرّغ للعمل النافع.

٢ ـ المراقبة الدائمة.

٣ ـ المحاسبة بكلّ دقّة.

٤ - التحلّي بزينة الخشوع.

٥ ـ انتقاء الأصحاب الصالحين.

وإذا سلك السالك الطريق على هذا المنهج تفجّرت له ينابيع الحكمة، وتفتّحت له أبواب الهداية، واتّضحت له سُبل المعرفة.

ونأسف كلّ الأسف لعدم إتمام هذا الكتاب الذي استنرنا بأنواره البهيّة. وإن كانت سائر آثار شرف الدين لا تخلو من تأثير تربوي بليغ على من يديم مطالعتها ويستشفّ من خلالها ملكاته الفاضلة ونفحاته القدسيّة.

فللّه درّه وعلى الله أجره فيما كتب وألّف، إنّه وليّ التوفيق.

# ٧ ـ بغية الفائز

هي رسالة قد كتبها العلّامة شرف الدين ردّاً على مقالين نشرهما آية الله السيّد هبة الدين الشهرستاني في مجلّة العلم[1] التي كان هو مؤسّسها. وهذا الردّ قد نشر في مجلّة العرفان العامليّة[2].

والسيّد هبة الدين الشهرستاني (١٣٠٨ ـ ١٣٨٦) هو أحد رموز الإصلاح في العراق في تلك الحقبة التي عاشها الإمام شرف الدين.

وكان الشهرستاني يحاول معالجة قضيّة نقل الأموات إلى المشاهد الشريفة من أقصى نقاط الأرض، ولا سيّما من إيران، حيث يؤمن أتباع أهل البيت بقداسة مشاهد الأئمّة ومراقدهم، وبوجود بركات تشمل الأحياء والأموات إذا زاروا أئمّتهم أو دفنوا إلى جنب مراقدهم، ولا سيّما في وادي السلام الذي ذكرت له خصائص وبركات يكون الميّت بأشدّ الحاجة إليها.

غير أنّ هذه الدواعي والمعتقدات جعلت النجف وكربلاء تستقبلان عشرات بل مئات الجنائز التي قد تفسّخ بعضها أو تعفّن؛ نتيجة بُعد المسافة بين بلد الميّت وبين بلد دفنه.

وكانت هذه الجنائز سبباً من أسباب شيوع الأوبئة والأمراض، وعاملاً من عوامل الهتك والتمثيل بهم، حيث منعت الحكومة العثمانيّة ذلك بعد أن طلبت من الشاه ناصر الدين حين زار العراق ليعينهم في حلّ هذه الأزمة ووعدهم الشاه بالتعاون الجادّ، ومُنعت الجنائز التي لم يمرّ عليها سنة من دفنها، حيث تكون بعد سنة قد تفتّت

---

١. مجلّة العلم، العددان الثاني والثالث.

٢. انظر مجلّة العرفان، ج ٣، الجزء ٢٢ و ٢٤.

اللحم وبقيت العظام وبالتالي سوف لا تكون عاملاً من عوامل نقل الأمراض في هذه الحال[١].

وحاول الشهرستاني في مقاله هذا أن يثبت لجمهور المؤمنين بولاية أهل بيت الرسالةعليهم‌السلام حرمة نقل الجنائز إلى هذه المشاهد بشكلٍ مطلق، وهو ينظر في بحثه إلى الحالة الاجتماعيّة والصحيّة القائمة آنذاك، ويعتبرها في نفسه قرائن حافّة بكلامه المطلق في بيانه. وكانت أدلّته التي استعرضها في المقال ذات دلالة خاصّة وليست مطلقة، وفي بعضها مناقشات علميّة حسب رأي الإمام شرف الدين.

ومن هنا انطلق شرف الدين ليردّ برسالة علميّة على ما زعمه السيّد هبة الدين الشهرستاني، من حرمة نقل الجنائز إلى المشاهد بشكلٍ مطلق، ودون تقييد بصورةٍ دون أُخرى، حسب ما نشره من كلام مطلق في هذا الصدد.

والشهرستاني كان ينظر إلى ما كان يحمله الواقع المعاش من أخطار، بينما كان ينظر شرف الدين إلى مدى صحّة الأدلّة والنتائج التي استنتجها الشهرستاني منها.

ومن هنا دارت معركة علميّة ساخنة ومساجلات جادّة وحادّة بين هذين العلمين، وسوف تقف على تفاصيلها في هذه الافتتاحيّة وفي مقالتيهما[٢].

وقد ردّ السيّد الشهرستاني على صفحات مجلّة العرفان أيضاً على مقال السيّد شرف الدين، مبيّناً هدفه ومنهجه والقرائن الحافّة بكلامه، وناقداً لأُسلوبه في الردّ الجارح لمشاعره.

غير أنّ السيّد شرف الدين قد تناول مقالة الشهرستاني وهي قيد الطبع في

---

١. انظر لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦١ (مشكلة نقل الجنائز).

٢. وقد كتب العلّامة الأميني في موسوعته الغدير ٥: ٩٣، بحثاً ضافياً عن هذا الموضوع أيضاً.

المطبعة، فذيّلها بما أراد من النقود، فنشرت العرفان الردّ وردّ الردّ في مكان وعدد واحد.

وهكذا أحدثت العرفان ثورة علميّة وأدبيّة على صفحاتها، وحظيت بمتابعة القرّاء لهذا الموضوع الحسّاس، حيث كان النشر له بشكل مثير أيضاً؛ إذ جاء الردّ في هامش مقال السيّد الشهرستاني ﷺ.

## منهج الشهرستاني في تحريم نقل الجنائز

١ ـ وتمهيداً للتعرّف على السرّ في موقف الشهرستاني السلبي من نقل الجنائز إلى العراق، يحسن أن نقف عند النصّ التاريخي الذي كتبه علي الوردي عن طبيعة المشكلة التي كانت في تصوّر الشهرستاني آنذاك، بقوله:

والواقع أنّ مشكلة نقل الجنائز كانت من المشاكل المستعصية التي أدّت إلى الضرر الفادح بالفرد والمجتمع. فقد كان الإيرانيّون يحرصون كلّ الحرص على نقل موتاهم إلى العراق لدفنها في النجف، فكانت الجثث تتعفّن في الطريق لطول المسافة، وكثيراً ما كانت سبباً في نقل الأمراض والأوبئة إلى العراق.

وقد تمّ الاتّفاق بين مدحت باشا والشاه على أن لا يُسمح بدخول الجنائز الإيرانيّة إلى العراق إلّا بعد مرور سنة واحدة على الوفاة.

وكان القصد من هذا الاتّفاق أن يجري دفن الموتى في المقابر المحلّيّة في إيران موقّتاً لمدّة سنة واحدة، وهو ما يعرف عندهم بالأمانة .... وقد وضعت الحكومة العثمانيّة على الحدود الإيرانيّة موظّفين صحّيّين يراقبون نقل الجنائز ويفحصونها لكي لا تكون طريّة.

إنّ بعض الإيرانيّين لجأوا إلى التهريب في نقل جنائزهم، فأدّى هذا إلى ظهور مشكلة ربما كانت أشدّ ضرراً من المشكلة الأُولى. ظهر في بعض المدن الإيرانيّة أشخاص اختصّوا بتهريب الجنائز وكأنّهم جعلوا ذلك مهنة لهم، فهم يأتون بجثّة الميّت فينتزعون

عنها اللحم بالسكّين والحجر، ثمّ يرشّون على العظام مقداراً من النورة والزرنيخ، ويتركونها معرّضة للشمس والهواء حتّى تصير كأنّها مدفونة تحت التراب مدّة طويلة. وتُحمل هذه العظام في صندوق خاصّ بها. أمّا اللحم فيُحمل في كيس حتّى إذا وصل أصحاب الجنازة إلى النجف جمعوا اللحم والعظام ودفنوها معاً في قبر واحد بعد أن يقرأوا الفاتحة والأدعية المناسبة طبعاً!

وفطن رقباء الحدود فأخذوا يتشدّدون في البحث عن مخابئ لحوم الموتى المراد تهريبها، وأخذ حملة الجنائز يتفنّنون في إخفائها عن عيون الرقباء، وتروى في ذلك نوادر عجيبة لا يزال بعض المسنّين يتحدّثون بها.

**منها**: أنّ رجلاً إيرانيّاً كان يحمل لحم أبيه في كيس وهو في طريقه إلى النجف، وشاءت الصدفة أنّ أحد رفاقه في السفر شعر بالجوع وأخذ يبحث عن شيء يأكله فوجد الكيس فاستخرجه وطبخه ثمّ أكله، غير أنّه لم يكد ينتهي من طعامه حتّى اكتشف أنّه إنّما أكل لحم الميّت، وصار ابن الميّت يلطم وجهه ويصرخ: يا ويلتاه أكلت أبي![1].

ونقل عن الإمام عليّ عليه السلام نهيه الشديد ومعاقبته على نقل الجنائز واعتبارها عادة غير إسلاميّة.

وأنّ استعمالها قد بدأ في القرن الرابع الهجري ثمّ استفحل أمرها في القرون الأخيرة[2].

٢ ـ ويبدو أنّ الشهرستاني كان يقصد من التحريم بشكلٍ مطلق هو التحريم بلحاظ ما قدّمناه من تمهيد يكشف عن طبيعة ما هو واقع في الساحة، مستشهداً بأدلّة تخصّ الوضع القائم آنذاك، وهو الذي يستلزم الهتك والإضرار بصحّة العموم، ولعلّه كان يريد به الحكم الثانوي في المسألة، أو الحكم حسب الظرف الذي بيّنّاه.

---

١. انظر المصدر عن هبة الدين الشهرستاني (تحريم نقل الجنائز) ٢: ١٦.

٢. المصدر ٢: ٢٦١.

٣ ـ لم يكتفِ شرف الدين بهذه القرائن ونظر إلى البحث بشكله العلمي المجرّد عن كلّ قرينة، وأصبح يناقش الشهرستاني في كلّ دعوى وكلّ دليل. وحتّى اللحن في الكلام الذي قد كان في كلام الشهرستاني أخذ يشير إليه ليُشعر القارئ بضعف الكاتب حتّى في هذا المستوى اللغوي.

## منهج شرف الدين في إثبات الجواز

ركّز شرف الدين على بطلان إطلاق القول بالتحريم، كما ركّز على الشواهد التي تبيّن عدم كون النقل للجنائز عادة غير إسلاميّة، بل استشهد لإثبات كونها أمراً مقبولاً لدى أرباب المذاهب بكثير ممّن نُقلت جنازته من مكان إلى مكان، فضلاً عن الإماميّة.

كما فصّل بين حالات أربع:

١ ـ النقل قبل الدفن إلى أحد المشاهد المشرّفة.

٢ ـ النقل قبل الدفن إلى غير المشاهد المشرّفة.

٣ ـ النقل بعد الدفن إلى أحد المشاهد المشرّفة.

٤ ـ النقل بعد الدفن إلى غير المشاهد المشرّفة.

وتعرّض لبيان الحكم الأوّلي لكلّ حالة، فذهب إلى استحباب النقل قبل الدفن إلى المشاهد المشرّفة، مستدلّاً بسيرة المسلمين من الإماميّة وغيرهم، ومستشهداً بالأحاديث العديدة الدالّة على الاستحباب صريحاً أو ضمناً.

وذهب في الثانية إلى الجواز على كراهة.

وذكر أنّ المشهور بين الإماميّة في المسألة الثالثة هو الحرمة، بينما ذهب إلى الجواز بمقتضى الأصل، وحصر الإجماع على الأفراد المتيقّنة وهذا الفرد ليس منها. واستظهر جوازه من عمل أهل السنّة.

وذهب إلى التحريم في الفرض الرابع عند الإماميّة وجوازه عند كثير من أهل السنّة.

ثمّ عرّج على نتائج القول بالتحريم مطلقاً واعتبر تحريم النقل متقاطعاً مع محبّة أهل البيت والاعتصام بهم.

كما أنّه أنهى مقاله بالردّ على أدلّة الشهرستاني واحداً بعد واحد وهي خمسة وجوه حيث أخضعها للمناقشة الجادّة والقاسية حسب رأي الشهرستاني.

ومن يقرأ كلا المقالين يدرك حسن نيّة المتحاوِرَيْن وإخلاصهما للعلم والدين والمجتمع، وهما من كبار روّاد الإصلاح وأعلامه في القرن الرابع عشر الهجري.

# ٨ ـ ثبت الأثبات في سلسلة الرواة

## كرامة الله للإنسانيّة

لقد تكرّم الله على الإنسان فأكرمه بنور الوحي، ليستوحي منه الفكر، ويوجّه به العقل وأحاسيس القلب ومكامن الضمير والسرّ والعلن، ويسترشد به في معارج الكمال حين تعصف به مرديات الهوى والضلال.

واشتركت رسالات السماء في هذه المهمّة الكبرى، وحقّقت أهمّ سنّة ربّانيّة أفصح عنها القرآن الكريم بقوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾[١].

وقد فتح القرآن الكريم أبواب المعرفة بوجه الإنسان، حين أرشده إلى مصادرها التي قد يستصغرها الناس لمعاصرتهم إيّاها وعدم غورهم في أعماقها. وهذه المصادر تتنوّع وتتوزّع بين خبايا الضمير الإنساني وأعماق التاريخ البشري وكنوز السنّة النبويّة الشريفة، ومستحدثات التجارب البشريّة المتنامية.

## الموقع المتميّز للسنّة الشريفة

وتحتلّ السنّة الشريفة التي فتح الله للإنسان أبوابها حين أمر النبيّ ﷺ أن يقوم بتبيان كتابه العزيز للإنسانيّة جمعاء بقوله عزّ من قائل ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[٢]، كما حثّ الخلق على التأسّي بالقائم على الرسالة الخاتمة ذي الخلق العظيم[٣]، وأمرهم بالالتزام التامّ بما يأتيهم به من عند الله العظيم بقوله عزّ من قائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

---

١. الليل (٩٢): ١٢ ـ ١٣.

٢. آل عمران (٣): ١٨٧.

٣. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب (٣٣): ٢١؛ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم (٦٨): ٤.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١].

وهكذا احتلّت السنّة الشريفة موقع الصدارة بعد كتاب الله من بين جميع مصادر التشريع والتثقيف الربّاني للإنسان على هدي الرسالات السماويّة المتكاملة والمتنامية.

وقد اقترنت السنّة الشريفة بالكتاب العزيز، وأخذ المسلمون يتوجّهون إلى عظمة هذا الكنز الذي بين أيديهم، وهو كنز الدرر التي يموج بها كلام سيّد المرسلين، وتترشّح من آيات سلوكه ومشاعره، ومواقفه مع الحقّ ومع الخلق ومع نفسه ومع الكون أجمع.

وجاءت إرشادات النبيّ الرحيم لضبط وتدوين سنّته ونشرها، ونقلها لمن يأتي من بعد؛ لترسم للأجيال التي سوف تطّلع على هذا الكنز العظيم من بُعد ولم تعاصر شخص الرسول الأعظم، فأصبحت طريقاً لهذا المصدر والينبوع الثرّ، لعلّه يعوّض شيئاً من نعم المعاصرة التي حظي بها جيل الصحابة، رغم أنّ الكثير منهم لم يعِ قيمة الصحبة ولا رعى حرمة المصاحبة لأعظم إنسان ولده آدم عليه السلام والأنبياء من ولده عليهم السلام.

## قيمة الاستناد الروائي

ومن هنا تسلسل الحديث وتعنعنت الروايات لتتّصل الأسناد وتنتهي إلى خاتم المرسلين وإمام الخلق أجمعين.

وأخذ الحديث النبوي يشقّ طريقه في واقع الأُمّة الإسلاميّة، رغم نشاط التيّار المعاكس الذي سعى لإيصاد كلّ الطرق والمنافذ أمام اختراق الحديث النبوي الشريف واقع الأُمّة ومنعه من أن يتخلّل تطوّرات الحياة، ويسيطر على عقول وقلوب الأبرار في كلّ الأجيال.

إنّ مؤامرة المنع من تدوين الحديث النبوي هي أكبر مؤامرة على الأُمّة الإسلاميّة، ولعلّها تفوق مؤامرة الاستئثار بالحكم، حيث إنّ الاستحواذ على الحكم جاء ليحقّق

---

١. الحشر (٥٩): ٧.

أهدافاً كبرى، ونرى أنّ في رأس القائمة والمخطّط الجاهلي الدنيء أن يمارس القائمون باسم الإسلام والرسالة والنبوّة، عمليّة الصدّ الموجّه والمنع المقنّن لضبط السنّة الشريفة ونشرها، بل قاموا بحرق ما دوّن منها، زاعمين حرصهم على القرآن الذي شرّع للسنّة موقعها وجعلها أهمّ مصدرٍ بعد كتاب الله.

يا للعجب من هذا التخطيط الذكي الذي يحارب السنّة باسم القرآن، ويحارب منهج القرآن باسم الدفاع عن القرآن.

ولقد حذا معاوية حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، حين حارب الدين باسم الدين، وقاتل خلفاء الرسول الشرعيّين باسم خلافة الرسول، فحارب عليّاً والحسن واغتالهم بالثأر لعثمان، وخطّط لحرب الحسين ولاغتياله، بتسليط خليعه الفاسق يزيد على ناموس الرسالة والإمامة، وتحكيمه في رقاب الأمّة ليتّخذ الأحرار عبيداً، ثمّ يقول بكلّ صلافة واستكبار:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[1]

## أهل البيت الفداء العظيم للسنّة الشريفة

نعم، رغم كلّ هذا التخطيط الواسع والبرنامج الخبيث الذي عبّر عنه القرآن الكريم بالشجرة الخبيثة... لم تستطع الأيدي الآثمة والحاسدة والباغية أن تقف أمام نور الرسول وأنوار الحديث الشريفة وسطوع بهاء السنّة النبويّة، حتّى اخترقت هذه السنّة الممنوعة كلّ هذه الحواجز المصطنعة وجابت شرق الأرض وغربها، واضطرّت الحكّام الذين تحزّبوا لمنعها وحظروا تدوينها ونشرها، لقد اضطرّتهم أنوار الحديث الشريف ليقوموا من جديد بالدعوة إلى تدوينها خوف الضياع والاضمحلال، بينما كانت تسير في طريق آمن، كما حصّنها بذلك رسول الله ﷺ حين أودعها عند الأُمناء من أُمّته

١. انظر مقتل الحسين: ٢٦٨.

وهم أهل بيته الأطهار. فقاموا بحراستها وصيانتها والدفاع عنها وإن كلّفهم ذلك نفوسهم وحياتهم.

نعم، رغم التيّار المعاكس والسيل الجارف الذي أجراه الحكّام باسم الإسلام طيلة قرن أو أكثر للوقوف أمام تيّار انتشار السنّة الشريفة، فإنّ الله متمّ نوره ـ والسنّة من نور الله تعالى ـ ولو كره المنافقون والحاسدون والحاقدون. وصدق الله العظيم حين صرّح لنبيّه الكريم في أُخريات أيّام حياته: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

لقد عصمه الله من الناس الذين قد تآزروا على طمس الرسالة وتغييب دور الرسول ورسالته من واقع الحياة، فقد كانوا ينتظرون بفارغ الصبر اغتياله أو موته ليخلو لهم الأمر كما حسبوا، فخطّطوا ما شاؤوا والله من ورائهم محيط.

وحين استيقن الحكّام أنّهم لا يستطيعون محاربة السنّة الشريفة أخذوا يجهدون في تحريفها عن مسيرتها اللاحبة، وبدأوا بتدوين الحديث بشكل انتقائي مدروس؛ لتتحقّق بعض أهدافهم الخبيثة حين تدوّن السنّة وتختلط أوراق الصحيح من السنّة بغير الصحيح، وحين تلتبس السنّة بالبدعة وحين تأخذ البدعة اسم السنّة والسنّة اسم البدعة.

إنّه لمخطّط رهيب لضرب السنّة في مواقعها وفي داخل أدمغة العلماء والمحدّثين. ويأتي الاهتمام باتّصال الأسناد وتقييم الأسناد وترجيحها كأُسلوب من أساليب الوصول إلى السنّة وتمييزها من غير السنّة.

## الإجازة والإجازات

إنّ إجازة رواية الحديث بدأت لتضمن للحديث مسيرته المفضّلة؛ لئلّا يقع في أيدي العابثين ولا يؤخذ من غير أهله. والإجازة تكشف عن أهليّة المحدّث والراوي لما يروي، كما أنّها سبب لاتّصال الأسناد ضمن مسيرة الأجيال المتلاحقة. وبذلك تتوفّر

---

١. المائدة (٥): ٦٧.

السبل اللازمة لحفظ السنّة من الضياع والانقطاع؛ لأنّ الذي يعطي للحديث أهمّيّة هو اتّصاله بالرسول ﷺ حامل الرسالة، والإجازة تقوم بهذا المهمّ خير قيام.

## الإمام شرف الدين مجُاز ومجيز

والإمام شرف الدين الذي يعدّ الحديث الشريف أهمّ مجال من مجالات نشاطه الإصلاحي قد وقع في سلسلة الإسناد الروائي إلى الرسول ﷺ وأهل بيته من خلال الإجازات الروائيّة التي حصل عليها من أساتذته، ومن خلال الإجازات التي أعطاها لمن استجازه ووجد فيه الكفاية لتحمّل الحديث الشريف.

ورسالة ثَبَت الأثبات أو ثَبَتُ الأثبات هي السند البيّن لموقع شرف الدين في سلسلة الإسناد الروائي المعاصر، حيث يعكس لنا في هذه الرسالة بعض من استجازهم من علماء الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة والشيعة الزيديّة وأهل السنّة، فيكون له طريق إلى الكتب الأربعة وغيرها وسائر الصحاح، فيكون حجّة ومعتمداً عند الفريقين. وهذه ميزة قلّما امتاز بها علماؤنا المعاصرون.

## محتويات ثبت الأثبات

١ ـ المقدّمة المشتملة على أهمّيّة الإسناد وشرائط الإجازة والكتب التي يجيزها.

٢ ـ مشايخه من الإماميّة، وقد اقتصر منهم على خمسة.

٣ ـ مشايخه من الزيديّة، فهو الشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني الصنعاني.

٤ ـ مشايخه من أهل السنّة، واقتصر على خمسة منهم.

٥ ـ الخاتمة، وقد اشتملت على الوصيّة بالاحتياط وبتقوى الله وبما أوصى به أميرالمؤمنين سيّدي شباب أهل الجنّة، ثمّ وصيّته بالاهتمام بشؤون المؤمنين وسائر المسلمين ولمّ شعثهم وجمع كلمتهم، وحثّهم على التمسّك بالثقلين والاستنان بسنّة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام.

كما أرّخ هذه الرسالة بـ ٢٥ محرّم الحرام سنة ١٣٥٦ في مدينة صور من مدن جبل عامل.

## مميّزات رسالة ثبت الأثبات

وهذه الإجازة رغم قصرها فإنّها غنيّة ومتميّزة بمميّزات يجدر الوقوف عندها، وهي كما يلي:

١ - فلسفة الاهتمام بالإجازة اقتداءً بسنّة أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ فلسفة صيرورة أهل البيت عليهم السلام أعدال الكتاب والسَفَرة عن الله، وعيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسفن النجاة وقادة الأُمّة وأمانها من الاختلاف.

٣ ـ استحباب الدخول في سلسلة الرواة.

٤ ـ انتهاء أسناد الروايات إلى ربّ العالمين.

٥ ـ من له أهليّة الاستجازة.

٦ ـ لزوم الإجازة لمن له أهليّة الرواية.

٧ ـ وجود مصادر أُخرى غير هذه الرسالة ذكر فيها مرويّاته وكتبه.

٨ ـ ضرورة مراعاة الشروط المعتبرة في الرواية.

٩ ـ تنوّع الطرق في مجال حصوله على الحديث ما بين قراءة وسماع وإجازة خاصّة وإجازة عامّة.

١٠ ـ تنوّع مشايخه من الخاصّة والعامّة، وفي جميع العلوم ولا سيّما كتب الحديث.

١١ ـ أهمّ مشايخه:

من الإماميّة: والده وأُستاذه السيّد يوسف شرف الدين. خاله وأُستاذه السيّد أبو محمّد الحسن الصدر. أُستاذه الميرزا محمّد هاشم الموسوي الإصفهاني. أُستاذه الميرزا حسين النوري. شيخه شيخ الشريعة الإصفهاني (الملّا فتح الله الشيرازي).

من الزيديّة: الشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني الصنعاني.

من السنّة : الشيخ سليم البشري المالكي . الشيخ بدر الدين الدمشقي . الشيخ محمّد الخاني الخالدي النقشبندي الشافعي . الشيخ محمّد المعروف بالشيخ توفيق الأيّوبي الأنصاري الدمشقي . الشيخ محمّد عبد الحيّ الكتّاني الفاسيّ الإدريسي .

١٢ ـ حصوله على أعلى سند في شرق الدنيا وغربها من خلال شيخه محمّد عبد الحيّ ، وبه يتوسّط بينه وبين الرسول ﷺ خمس عشرة واسطة .

## طبعاتها

طبعت هذه الرسالة لأوّل مرّة في صيدا ، مطبعة العرفان ، سنة ١٣٥٥ق = ١٩٣٦م ، وثانيةً سنة ١٣٦٨ ق = ١٩٤٩ م . وقد جُعل في وسطها فراغات ليكتب فيها اسم المجاز وما يختصّ به .

وفي إجازته للسيّد علي نقي النقوي الصادرة في ٢٥ محرّم الحرام سنة ١٣٥٦ استعمل الإمام شرف الدين لهذه الرسالة اسماً آخر هو «الثبت الموسوي في إجازة النقوي».

# ٩ ـ تحفة المحدّثين

## مبدأ التبيّن في الخبر

إذا كان النبأ هو الخبر المهمّ فقد أمر المولى عباده المؤمنين ـ وهم الذين يراد لهم أن يكونوا قدوة في الإيمان وبمستوى رفيع من الإنسانيّة المتكاملة ـ بالتبيّن إن جاءهم فاسق بنبأ؛ لئلّا يصيبوا قوماً بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين[1].

وهذا الأمر إن كان إرشاداً إلى بناء عقلائي قائم إذ ذاك لإمضائه وتثبيته في حياة المؤمنين، كان حاصله عدم المخاطرة بالنفوس والأعراض وأموال الناس بالاعتماد على إخبار من لا يؤتمن في نقله، والاعتماد على نقل من لا يؤتمن في نقله؛ إذ قد ينتهي إلى الندم حين يترتّب عليه سلب بعض الحقوق المشروعة للمواطنين.

ومن مفهوم هذا النصّ القرآني المشار إليه استفادوا صحّة الركون إلى إخبار الفرد المؤتمن في نقله.

والنصوص النبويّة التي حذّرت من الكذب على رسول الله ﷺ قد عيّنت واحداً من أهمّ مصاديق هذا النبأ، إذ النبيّ ﷺ هو صاحب النبأ وهو المخبر عن الله وعن وحيه إليه، فهو حينما يحدّث الناس بما أُمر بتحديثهم به فهو مخبر أو مشرّع عن الله للناس ما يلزم تشريعه أو تبيينه، وما أعظمه من نبأ ينبغي التثبّت فيه من صحّة النقل والانتساب إلى رسول الله ﷺ المخبر عن الله تعالى.

وحينما حذّر الرسول ﷺ من تعمّد الكذب عليه فقد أجاز الإخبار عنه، ولكنّه عالج آفة هذا الإخبار والنقل بالوعيد بالنار لمن يتعمّد الكذب على رسول الله ﷺ،

١. اقتباس من سورة الحجرات (٤٩): ٦.

وبالتحذير من الكذّابين والوضّاعين والذين يتاجرون بالحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ.

## ظاهرة المنع من تدوين الحديث وآثارها السلبيّة

وقد راج التحديث وتدوين الحديث بين جمع من الصحابة، ولا سيّما العترة النبويّة التي كُلّفت بالتدوين والنشر وحفظ سنّة الرسول ﷺ للأجيال القادمة.

غير أنّ جمعاً من الصحابة الذين استحوذوا على مقاليد الحكم وأبعدوا العترة من الحكم واستأثروا بالخلافة، وكانوا قد خطّطوا لتجاوز السنّة النبويّة في مجال الحكم وما يرتبط بالحكم من شؤون، كالسيطرة على الموارد الماليّة المهمّة، وعلى مهمّة القضاء، وكلّ شأن يؤدّي إلى إضعاف موقع أهل البيت عليهم السلام، وينتهي إلى تقوية شوكة القائمين على الحكم الجديد، وكان منع تدوين السنّة النبويّة طريقاً من طرق التغييب للتعاليم النبويّة على المدى البعيد، وأُسلوباً من أساليب ترك التقديس للسنّة النبويّة والحطّ من مكانتها في عقول ونفوس المسلمين، وإخراجها من دائرة الثقافة الإسلاميّة ولو عند الأجيال اللاحقة الذين سوف تختلط لديهم أوراق الرسالة وأوراق الخلافة القائمة، والتي كان يراد لها أن تستمرّ في غير خطّ الرسول ﷺ، وذلك حينما أبت قريش أن تخضع لاجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم، وهذا الطرح كان يستبطن الاستئثار بالخلافة إلى الأبد، وهو بحاجة إلى شرعيّة وتبرير من داخل الرسالة، وكان المنع من تدوين الحديث هو المفتاح الأوّل للخطوات المقبلة التي تحاول طرح البديل أو البدائل لكلّ موقع كان قد أعطاه الرسول ﷺ لأهل بيته عليهم السلام.

وقد استفاد الحكم القائم من هذا المنع أيّما استفادة، حيث استطاع أن يمنع من انتشار الحديث النبوي بشكلٍ عامّ، وإن لم يوفّق لسدّ باب التحديث والتدوين على الإطلاق.

وقد فُتح المجال للتحديث بلا ضوابط ولا حرج، لا سيّما إذا كان يصبّ في صالح القائمين على الحكم، وبهذا فتح باب الوضع والتزوير على مصراعيه؛ لعدم فسح المجال لانتشار الأحاديث التي كان انتشارها يحدّ من ظاهرة الوضع والتزوير؛ لأنّ محكمات السنّة هي كمحكمات الكتاب وبإمكانها أن تكون معياراً للمعرفة، ومفتاحاً لرفع الإبهام عن المتشابهات بعد عرض المتشابهات عليها.

وقد خطّط النبيّ ﷺ لمواجهة الأحاديث المزوّرة بعرضها على كتاب الله الذي كان معياراً لكشف الحقائق وتمييزها عن الأباطيل.

وفي الوقت الذي منع الخلفاء من تدوين الحديث النبوي ونشره نجد ـ تأريخيّاً ـ نموّ ظاهرة الإسرائيليّات ودخولها إلى حقل الثقافة العامّة للمسلمين؛ حيث كان مثل كعب الأحبار يسوّغ له أن يدرّس التوراة والإنجيل والقرآن على حدّ سواء، بينما كان المسلمون يُمنعون من تدريس السنّة النبويّة والتحديث بها في عصر الخليفة الثاني فضلاً عن عصر عثمان ومعاوية، حيث فسح معاوية المجال وفتح باب التحديث بالأحاديث المزوّرة على مصراعيه، وهو مستساغ ما دام يخدم هذا التزوير الحكم القائم.

وفي نهاية القرن الأوّل الهجري برزت على الساحة ظاهرة ضمور السنّة من جهة، وإلى جانبها ظاهرة الأحاديث الموضوعة والمزوّرة بشكل خطير من جهة ثانية، وبرزت مرجعيّة أهل البيت العلميّة بعد وقعة الطفّ، والتفاف الناس حول أهل البيت وقيام أهل البيت عليهم السلام بنشر السنّة النبويّة والتحديث بها، والتشجيع على تدوينها خلافاً للحكم القائم آنذاك.

وبهذا وجد الحكّام أكثر من دليل للإسراع بتدوين السنّة النبويّة حفاظاً على حكمهم القائم، في مشروعيّته على الأحاديث المزوّرة، والتي كانت مشمولة للمنع من التدوين أيضاً.

## ظاهرة الحثّ على تدوين الحديث النبوي وأسبابها

لقد مضى أكثر من قرن على رحلة الرسول الأكرم ﷺ وقد منع العلماء والمحدّثون من تدوين الحديث النبوي في تلك الفترة كما تقدّم الكلام فيها، وبعدها جاء حكّام آخرون توفّرت لهم مسوّغات تدعوهم للحثّ على التدوين والإسراع في ذلك؛ خوفاً من تضاعف سلبيّات المنع من التدوين والتي كان منها توجّه المسلمين إلى أهل بيت الرسالة لأخذ الحديث منهم، وصيرورة الحديث الذي ينقله أهل البيت مصدراً أساسيّاً من مصادر الثقافة الإسلاميّة، التي عمل الحكّام على تغييبها وخلطها بغيرها ممّا يجد الحكّام ضرورته؛ لدعم حكمهم القائم آنذاك.

وهنا وجد الحكّام نوع مقاومة من الناس الذين كانوا قد تربّوا على حظر التدوين، وإذا بهم اليوم يؤمرون بالتدوين، فكان الأمر بالتدوين تناقضاً سافراً لا يفهم الناس وجهه، كما أنّ العلماء كانوا قد اعتادوا على منع الناس من التدوين أيضاً، ولكنّ القائمين على الحكم كانوا يفكّرون على المدى البعيد لدعم أُصول حكمهم التي قامت بتبرير حكم الخلفاء المستأثرين بالحكم ضدّ أهل البيت عليهم السلام. وإذا كان التدوين يخضع لقواعد صارمة كانت هذه الأحاديث عرضة للإسقاط والحذف من ذاكرة الحفّاظ، وبالتالي من ثقافة المسلمين.

## التدوين الموجّه للحديث النبوي

وقد مارس حفّاظ الحديث ـ الذين كانوا يدورون في فلك السلطة القائمة ـ نوعين من الأساليب لإدخال الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة في دائرة الأحاديث المدوّنة والاعتناء بها كحقائق ثابتة لا تقبل النقاش والنزاع.

**الأسلوب الأوّل**: أنّهم مارسوا التدوين بشكلٍ انتقائي لا بشكلٍ شمولي ولا بشكلٍ خاضع للنقد والتقييم.

ورغم وجود قواعد للتقييم، أُدخلت في عمليّة التقييم أُصول وقواعد جعلت الحديث المدوّن موجّهاً، مثل الاتّهام بالغلوّ والاتّهام بالتشيّع الذي كان يعدّ في العصر الأُموي منقصة وعثرة لا تُقال.

**الأسلوب الثاني**: بدأ أصحاب المجاميع ـ مثل البخاري ـ يرفعون شعار انتقاء الحديث الصحيح، وكأنّهم كانوا يصحّحون ما يشاؤون من أحاديث، ويتركون كثيراً من الأحاديث الصحيحة على مبانيهم؛ لمجرّد أنّها لا تصبّ في خدمة الأهداف السياسيّة لعمليّة التدوين هذه.

ورغم وجود معارضين لهذا النوع من التصحيح والتسمية بالصحيح، ورغم عدم زعم أصحاب الصحاح بأنّهم قد حصروا الصحاح من الأحاديث في كتبهم، لكنّا نلاحظ نشوء ذهنيّة جديدة للتعامل مع الصحاح، وهي ذهنيّة حصر صحاح الأحاديث في الصحاح الستّة المعروفة، وبالتالي شجب كلّ مصدر حديثي خارج إطار الصحاح الستّة.

وهذا التعامل مع كتب الحديث تعامل خطير كانت له سلبيّاته على الثقافة الإسلاميّة، حيث كان على العلماء أن يقوموا بتوجيه كلّ ما في الصحاح من أحاديث من جهة، وردّ كلّ ما ليس في الصحاح من جهة أُخرى.

وهناك مشكلة أُخرى في كتب الحديث عند الجمهور، وهي عدم الالتفات إلى مضامين الأحاديث والاكتفاء بإسنادها ليتمّ قبولها أو ردّها.

بينما نجد الرسول ﷺ وعترته الطاهرين قد واجهوا مشكلة التزوير بالتقييم المضموني للأحاديث. والتقييم المضموني هو طريق من طرق التقييم ويمكن إكماله بالتقييم السندي أيضاً.

وهذا ما قام به الإمام شرف الدين في رسالته تحفة المحدّثين.

## تحفة المحدّثين ورسالة شرف الدين

إنّ الإمام شرف الدين ـ الذي سبر أغوار التاريخ الإسلامي وأحاط بتاريخ السنّة

الشريفة وتاريخ تدوين الصحاح والمسانيد ـ كان يرى عظمة المصاب الذي أصاب السنّة النبويّة الشريفة، وعظمة المفارقات التي ارتكبها السلف وأتباعهم لأسباب سياسيّة مغلّفة بدواعي دينيّة، وكان يرى خضوع الصحاح لشخصيّات من الصحابة عرفوا بالمكثرين، واحتلّوا في حقل رواية الحديث حجماً أكبر من واقعهم، مثل أبي هريرة وآخرين ممّن أكثروا في نقل الحديث، أو نسب إليهم الحديث الموضوع والمزوّر باعتبار مقبوليّتهم لدى عامّة المحدّثين.

كما كان يرى حضوراً قويّاً للإسرائيليّات التي تمسّ أُسس الدين والرسالة والرسولﷺ، فانبرى للكتابة عن أبي هريرة وحاول كشف جوانب مهمّة من شخصيّته وحديثه، كما كتب كلمة حول الرؤية؛ ليعطي نموذجاً واضحاً من التحريف الذي طال العقيدة الإسلاميّة، وسجّلت نصوصه في ما عرف فيما بعد بالصحاح.

وكان يرى التزوير قد طال هذه الصحاح بتلفيق فضائل في أحاديث ليست لأصحابها المنسوبة إليهم، فكتب الفضائل الملفّقة.

وكان يرى مفارقة كبيرة في دعوى مثل البخاري ومسلم بأنّهما قد ألزما أنفسهما بإخراج صحاح الأحاديث، بينما لم يلتزما بما التزماه، وفارقا منهجهما حين أخرجا عن رجالٍ هم من الضعاف أو المطرودين، فكان يلزمه إدانة مؤلّفي الصحيحين بعد أن أصبح الصحيحان عند عامّة الناس أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم!

وقد تضمّنت رسالته تحفة المحدّثين فيمن أخرج عنه الستّة من المضعفين ردّاً علميّاً وعمليّاً على مزاعم أصحاب الصحاح؛ لئلّا يقال بأنّ كلّ ما في الصحاح هو من صحاح الأحاديث أو حسانها فلابدّ من الاعتماد عليه، كما هو المعروف في ألسنة المتأخّرين حين الاحتجاج بأحاديث الصحيحين، وعدم الرضوخ إلى أحاديث أُخرى خارجة عن إطار الصحيحين.

ومن حُسن الحظّ أنّ الألباني قد اعترف بهذه المفارقة، فأخذ يدرس الأحاديث من جديد ووفق معايير اختارها، انتهت به إلى تأييد مثل الإمام شرف الدين في دعوى

اشتمال الصحاح على أحاديث ضعيفة الأسناد، فلابدّ من إعادة النظر في كلّ ما ورد في الصحاح؛ لغاية التثبّت من صحّة هذه الأحاديث أو سقمها.

وهذا هو المنهج الذي سلكه الإماميّة حتّى في أهمّ كتب الحديث عندهم، وهي الكتب الأربعة لضرورة إخضاع كلّ حديث للتقييم عند من يريد الاستناد إليه.

وقد اعتمد الإمام شرف الدين في هذا البحث لبيان ضعف الرواة إلى مصادر الجمهور أنفسهم.

ومن المؤسف أنّ النسخة الكاملة قد أُحرقت في النهب الذي تعرّضت له دار المؤلّف في صور، وما وصل إلينا هو قسم صغير منها تفضّل بها علينا نجله العلّامة السيّد عبدالله شرف الدين. نرجو من الله أن يمنّ علينا باسترداد ما نهب من تراثه العلمي.

وتضمّنت رسالته هذه ترجمة ٣٢ محدّثاً وهي كافية لردّ مزاعم مؤلّفي الصحيحين.

# ١٠ ـ الفضائل الملفّقة

## ظاهرة الفضائل في المنظور القرآني

المجتمع الإسلامي الذي خطّط القرآن الكريم لبنائه وإحكامه هو المجتمع القائم على الفضائل والقيم الرساليّة التي يتكامل الإنسان بامتلاكها والاحتواء عليها والتحلّي بتجسيدها في الفكر والخلق والسلوك.

ومن هنا جعل القرآن الكريم «التقوى» ـ التي تعدّ أساس الانطلاق الرسالي ومجمع القيم والفضائل الإنسانيّة ـ معيار التفاضل، فقال مخاطباً أبناء المجتمع الإسلامي والإنساني: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

كما حثّ القرآن الكريم على التسابق في الخيرات قائلاً: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾[٢]، وعدّد الفضائل والخيرات لئلّا يشتبه في تطبيقها أو اقتنائها، واعتبر النبيّين أُسوة الناس في هذا الميدان فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٣]، وقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٤].

وهكذا أخذ المجتمع الإسلامي ينظر إلى الفضائل نظرة إكبار وإجلال وتقدير، كما أخذ المؤمنون الحريصون على التكامل في المسيرة الإيمانيّة يتسابقون في الخيرات وحيازة الفضائل، متأسّين بالرسول الأعظم ﷺ الذي قال له ربّه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٥] و ﴿أَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾[٦].

---

١. الحجرات (٤٩): ١٣.

٢. البقرة (٢): ١٤٨.

٣. الأنعام (٦): ٩٠.

٤. البقرة (٢): ٢٥٣.

٥. طه (٢٠): ١١٤.

٦. النجم (٥٣): ٤٢.

## أحاديث الفضائل

وقد مدح القرآن الكريم جمعاً من صحابة الرسول الأعظم ﷺ ذاكراً فضائلهم التي أعطتهم تميّزاً وموقعاً راقياً في المجتمع الإسلامي، مثل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[١].

وهذا النصّ الحكيم إن كان إخباراً عن هذا الصنف من صحابة الرسول ﷺ وهم الذين معه، يؤازرونه على إحكام مواقع رسالته في المجتمع الإنساني، فهو حثّ كبير للمسلمين للتأسّي بهم. وإن كان بداعي الإنشاء والتشويق فهو يصوّر الذين يريدون أن يكونوا مع الرسول ﷺ، فينبغي لهم أن يتحلّوا بهذه الفضائل المذكورة في هذا النصّ الكريم.

والرسول الأعظم ﷺ الذي أُوكلت إليه مهمّة تفسير القرآن وتطبيقه قد حذا حذو هذا النصّ المعجز ومدح جمعاً من صحابته، بل حاول أن يبرز لأبناء مجتمعهم ومن يليهم من الأجيال فضائل هؤلاء الصحابة الكرام، ليكونوا قدوة لمن يريد الاقتداء بهم.

وقد ركّز في هذا الحقل على إبراز فضائل عترته وأهل بيته الأطهار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[٢].

كما ركّز على تبيان فضائل سيّدهم وسيّد المسلمين، الذي أوكل إليه مهام القيادة الربّانيّة من بعده، أعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام ربيبه وابن عمّه وأخوه في الله، الذي خصّه بهذه الأُخوّة، وحلّ له من مسجده ما حلّ له، وسدّ الأبواب إلّا بابه، ثمّ أودعه علمه وحكمته فقال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها». كما قال له: «أنت أخي ووصيّي ووارثي، لحمك من لحمي،

---

١. الفتح (٤٨): ٢٩.

٢. اقتباس من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

ودمك دمي، وحربك حربي، وسلمك سلمي، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي»[١].

وهذا الاهتمام الوافر بتبيان فضائل عليّ سيّد المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين قد كانت له آثاره الإيجابيّة في الدعوة إلى الانتماء إلى مسلكيّة عليّ الرساليّة التي جعلها الرسول ﷺ علامة الإيمان كما جعل بغضه علامة النفاق. وقد استُغِلّت هذه الظاهرة ضمن خطوتين:

**الخطوة الأولى**: محاولة التعتيم على فضائل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بمنع نشر هذه الفضائل بعد جمعها وإحراقها من قبل الخلفاء الذين زاحموا الإمام عليّاً في منصبه الرسالي، واستحوذوا على الخلافة التي نصّ الرسول على أنّها وسام ومسؤوليّة قد أُلقيت على عاتقه سلام الله عليه، ثمّ منعوا من تدوين الحديث النبوي بشكل عامّ لئلّا تتسرّب هذه الأحاديث إلى الأجيال المقبلة، فكان هذا التعتيم الذي انطلق بقوّة ليؤثّر على ذاكرة جيل الصحابة والتابعين كفيلاً بتضييع مقدار كبير من هذه الفضائل، ولا سيّما في دائرة الموالين للحكم القائم ومن يحذو حذوهم من عامّة الناس، الذين ينظرون إلى حكّامهم نظرة القدوة، أو يخشون سطوتهم فيسكتون تبعاً لإرادتهم.

**الخطوة الثانية**: بعد إصرار أهل البيت وأتباعهم على تدوين سنّة الرسول ﷺ وتداولها خلافاً لإرادة الحكم القائم والخلافة البديلة ـ التي كانت تخشى انتشار فضائل عليّ وإدانتها الخلافة القائمة لأنّها ما كانت لتملك دليلاً للدفاع عن مشروعيّتها ـ وجد حكّام بني أُميّة ـ الذين كانوا امتداداً للخلفاء الثلاثة ـ أنفسهم بحاجة إلى هالة من الفضائل التي تعطي للخلفاء قدسيّة؛ لتمنحهم موقعاً متميّزاً قد يستبدل به ما أُخفي على الناس من فضائل الإمام عليّ بعد الأمر بسبّه على المنابر ونبزه لمحو فضائله من ذاكرة التابعين وتابعيهم.

---

١. انظر دعاء الندبة المشتمل على هذه الحقائق التي روتها كتب الحديث عنه ﷺ في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

## ظاهرة منع تدوين الحديث: عللها وإفرازاتها

ظاهرة منع تدوين الحديث النبوي من قبل الذين سيطروا على الحكم بعد الرسول ﷺ وأبعدوا عن هذا المنصب الخطير الإمام المنصوص على قيادته وولايته، ظاهرة مؤلمة وقاسية في التعامل مع سنّة الرسول الأعظم ﷺ، تلك السنّة التي جعلها القرآن الكريم المصدر الأساس للمسلمين في الوقوف على تفاصيل الشريعة الإسلاميّة والتي قدّر لها أن تتساير مع مستجدّات العصور والأجيال.

ويبدو أنّ المنطلق الأساس في حظر التدوين هو ما كانت تشتمل عليه السنّة الشريفة من أدلّة كافية لإدانة الاستحواذ على الحكم وإبعاد عليّ ذي الفضائل والمكارم التي كان لا يباريه فيها أحد من الصحابة على الإطلاق سوى أعضاء أهل بيت الرسالة المعصومين من الرجس.

وهذا الخطر قد تصوّر الحكّام أنّهم قادرون على التخلّص منه بحظر تدوين الحديث غافلين عن إفرازاته التي كان منها فسح المجال لنسيان الحديث. وفسح المجال للتحوير والتحريف في نصوصه ومضامينه من جهة، وإعطاء الفرصة لتجّار الدنيا للاتّجار باسم الحديث النبوي من خلال وضع أحاديث تمدح أو تقدح في أُناس يُراد تفضيلهم أو قدحهم وإسقاطهم من ذاكرة المسلمين.

والخلفاء الثلاثة الأُول إن لم يكونوا قد شجّعوا على جعل الحديث والتزوير فيه، فإنّهم قد فسحوا المجال وأسّسوا لمن جاء بعدهم ليكون مطلق العنان في جعل ما يشاء من الفضائل لهم، ولغيرهم ممّن يرتكز الحكم على مسيرتهم وسنّتهم. وبهذا أصبحوا مصداقاً لحديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها»[1].

---

١. بحار الأنوار ٧٤: ١٦٤، ح ٢، و ص ١٠٤، ح ١.

## ظاهرة الفضائل الموضوعة والملفّقة

لقد برزت ظاهرة وضع الحديث وجعله بشكلٍ سافر وخطير بعد استيلاء معاوية على الحكم ومناهضته لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه؛ مستنداً ومستظهراً بسنّة الخلفاء الذين سبقوا عليّاً في ولاية الحكم بعد أن أبعدوه عن حقّه، وابتزّوا ذلك بكلّ جدّ وحرص، ونافحوا عن موقعهم بكلّ ما أُوتوا من حول وقوّة، وتداولوا دفّة الحكم مصرّين على إبعاد عليّ عن ذلك خلال خمسة وعشرين عاماً من مواصلة المنع لتدوين الحديث النبوي ونشره.

وقد كانت بداية هذه الظاهرة في أواخر أيّام الرسول ﷺ، حين حاولوا منع تدوين حديثه ووجدوا إصراراً من الرسول على التدوين، فأخذوا يكذبون على رسول الله ﷺ حتّى قال: «قد كثرت عليَّ الكذّابة، ألا ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار»[1].

وبهذا سدّ باب الوضع والتزوير المتعمّد، كما حثّ على التدوين الصحيح والسليم ليكون مانعاً ورادعاً من الكذب السافر عليه، غير أنّ الخلفاء قد وقفوا بشكلٍ آخر أمام هذا المخطّط النبوي، فمنعوا التدوين من أساسه. ثمّ هيّأوا الأرضيّة اللازمة لوضع الحديث بشكل سافر وعلني، لمقابلة كلّ ما قاله النبيّ ﷺ من فضائل ومآثر في حقّ أهل بيته وبالخصوص في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وتمّت هذه المقابلة على مستويين:

**المستوى الأوّل**: نسبة فضائل الإمام عليّ عليه السلام المأثورة عن النبيّ إلى غيره كالصدّيق والفاروق، فإنّهما كمالان من كمالات الإمام عليّ عليه السلام فنُسبا إلى غيره.

ويدخل في هذا المستوى نسبة عدّة فضائل من عدّة أحاديث واردة في حقّ عليّ إلى غيره من الصحابة، ولا سيّما الخلفاء الثلاثة.

---

١. الكافي ١: ٦٢، ح ١.

**المستوى الثـانـي**: اختلاق فضائل غير واقعيّة وغير منسوبة لأحد من الصـحابة ونسبتها إليهم؛ تقديساً وغلوّاً وإضفاءً لهالة من العظمة الخياليّة لشخصيّاتهم، التي طالما عرّضها رسول الله ﷺ للمقارنة مع عليّ عليه السلام أو غيره من فضلاء الصحابة.

## الموقف من الفضائل الملفّقة

إنّ خلق الفضائل أو تلفيقها أصبح صناعة يعرف بها عدّة ممّن كان يتاجر بالحديث، وقد تفنّنوا في جعل الأسانيد لها، كما تفنّنوا في المضامين والنصوص التـي رووهـا؛ تقرّباً للخلفاء أو تحبّباً للعامّة الذين نشأوا على ثقافة منحرفة مدروسة قد بدأها رأس المخطّط الأُموي معاوية بن أبي سفيان، حينما أمر برواية الحديث في فضائل الصحابة ولا سيّما الخلفاء الثلاثة، وكان يغدق عـلى الوضّـاعين أمـوال الفـقراء والمسـاكـين لإغوائهم وإغرائهم، ولما قلناه من التعتيم الإعلامي المضادّ لأهل بيت الرسالة عليهم السلام.

وقد أصبحت بعض هذه الأحاديث جزءاً من الثقافة العامّة بحيث كان يُدان مـن يقوم بمناقشتها أو تضعيفها أو التنكّر لها.

ويروى لنا موقف واضح من الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام [1] ـ والذي كانت إمامته من سنة ٢٠٣ إلى ٢٢٠ هجريّة ـ حول هذه الفضائل المـلفّقة وأُسـلوب مـحاكـمتها وإبطالها؛ معتمداً على نصوص الكتاب والسنّة المسلّم بها من دون تعرّض لأسنادها، بل محاكمة مضامينها وتبيان ما تشتمل عليه من أخطاء فادحة.

وهذا الأُسلوب حكيم ودقيق للغاية، ولعلّه هو الذي كـان قـد فـتح البـاب أمـام المحدّثين ليناقشوا أسانيدها في أبواب الضعفاء تارةً، وفي الموضوعات والوضّاعين تارةً أُخرى.

والإمام شرف الدين قد تصدّى لجملة منها في كتابه كلمة حول الرؤية، ولكنّه أفرد رسالة مستقلّة لها تحت عنوان: الفضائل الملفّقة، وهي لم تنشر لحدّ الآن، وقد تفضّل

---

١. الاحتجاج ٢: ٤٧٧ ـ ٤٨٠.

بها علينا نجله السيّد عبد الله شرف الدين.

وإليك فهرس الفضائل الملفّقة التي حصلنا عليها:

١ ـ حديث التجلّي.

٢ ـ حديث القدح والمنديل.

٣ – ضمان الخلافة لأبي بكر، ومبايعة الملائكة إيّاه بها، وعقد لوائه تحت العرش، وخصائص أُخرى.

٤ ـ أبو بكر أوّل الناس إسلاماً.

٥ ـ حبّ أبي بكر يحيد النار بحذافيرها ويدخل الجنّة.

٦ ـ لأبي بكر قبّة من ياقوتة بيضاء في أعلى علّيّين تخترقها رياح الرحمة.

٧ ـ لمّا ولد الصدّيق أقسم الله عزّ وجلّ أن لا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه.

٨ ـ تخلّل أبي بكر في الأرض.

٩ ـ حديث الخلافة.

١٠ ـ حديث الوزارة.

١١ ـ حديث نصب كرسي لأبي بكر يوم القيامة بين محمّد وإبراهيم عليهما السلام.

## منهج شرف الدين في مناقشة الفضائل الملفّقة

ركّز شرف الدين في هذا الحقل على أسناد الأحاديث الموضوعة فناقشها في جميع طرقها سنداً سنداً، مستنداً في ذلك إلى كتب أئمّة الجرح والتعديل من الجمهور.

فحديث التجلّي مثلاً رواه من أحد عشر طريقاً وناقشها كلّها، وقال في مطلع البحث عنها: أسندوه إلى خمسة من الصحابة مرفوعاً... وواضعوه أحد عشر رجلاً سرقه بعضهم من بعض فركّبوه على ما اختلقوا له من الأسانيد.

وهو بهذا يكشف عن منهج الوضّاعين وأُسلوبهم في خلق هذه الفضائل ودسّها في كتب الحديث التي كانت تدوّن حينذاك.

وحديث التجلّي هذا يخدم قضيّتين قد اهتمّت بهما الخلافة آنذاك ـ في القرن الثالث

الهجري ـ وهما: قضيّة التجسيم وقضيّة تفضيل الخلفاء على أهل البيت عليهم السلام.

وقد تضمّنت هذه المجموعة عدّة أُخرى من الأحاديث الموضوعة لم تعنون لأنّها لم تكن مقصودة بالمناقشة، ففي معرض نقد أسانيد حديث التجلّي تعرّض لعدّة أحاديث مجعولة حول فضائل الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان[١].

وتعدّد طرق الحديث يفيد في معرفة كيفيّة تفنّن الوضّاعين في الوضع، ونفهم من خلال هذا البحث كيفيّة استشراء فتنة خلق القرآن إذ كانت تستفاد لتأليب العامّة على بعض الخاصّة بعد أن ثقّفهم الخلفاء على التعصّب لمسألة عدم خلق القرآن.

وهذا بعض ما جمعه وحقّقه الإمام شرف الدين في هذا الميدان المهمّ من ميادين معرفة الحديث النبوي وما جرى عليه من مآسي وظلامات، ينبغي الوقوف عندها ومحاكمة مسبّبيها، والتأمّل في دلالاتها ونتائجها، والاعتبار بما جرى على الأُمّة للحيلولة دون تكرّرها.

ومن المؤسف أنّ النسخة الكاملة لهذه الرسالة أُحرقت في النهب على دار المؤلّف في صور، وما وصل إلينا هو مجرّد قسم صغير منها تفضّل به علينا نجل الإمام السيّد عبد الله شرف الدين دام فضله، ونحن بدورنا نقدّمه إلى المحقّقين الأفاضل.

---

١. انظر ذيل الطريق الثاني وذيل الطريق الثامن والطريق الحادي عشر وذيله.

# ١١ ـ في رحاب مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام

في هذه التقدمة آثرنا أن نبدأ من «تصحيح العنوان» ونتسلسل في رحابه لنقف على الأغراض المختفية وراءه وعلى مدياته وآفاقه.

١ ـ اشتهر كتاب السيّد عبد الحسين شرف الدين هذا بـ«مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام» بينما العنوان الذي سجّله المؤلّف حين بدأ بنشر بحوثه سنة ١٣٢٧ هـ على صفحات مجلّة العرفان العامليّة هو: «مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام» وكم من تشابه كبير بين العنوانين ولكن كم من فرق بينهما في الدلالة، لا سيّما إذا عرفنا أنّ السيّد الإمام شرف الدين كان يريد إثبات تقدّم الشيعة على مَن سواهم من المسلمين والصحابة منذ صدر الإسلام، وقال ﷺ:

رجال الشيعة أقدم من غيرهم في جمع الحديث وتدوين العلوم؛ ضرورة أنّه لم يتصدّ لذلك في العصر الأوّل أحد غير عليّ وأُولي العلم من خاصّته.

٢ ـ حاول المؤلّف إثبات هذا التقدّم بشكلٍ علمي ملموس، فأشار إلى أُولى المؤلّفات ومؤلّفيها في الوقت الذي كان الصحابة قد أحجموا بل قد منعوا من تدوين الحديث وكتابة السنّة النبويّة الشريفة وتداولها منذ العصر الأوّل بعد وفاة رسول الله ﷺ حيث استمرّ المنع من التدوين، حتّى أجمع أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على إباحته، بعد أن رأوا المصيبة الكبرى التي طالت المسلمين من جرّاء هذا الحظر الحكومي، الذي كان يتنافى مع بديهيّات القرآن والثقافة الإسلاميّة التي فجّرت ينابيع العلم والمعرفة لدى العرب والمسلمين الأوائل، وأحدثت انقلاباً ثقافيّاً وعلميّاً في شتّى مجالات المعرفة والحياة.

٣ ـ لماذا هذا الاهتمام من المؤلّف بهذا الأمر بالذات؟ ولماذا اهتمّ بنفس الموضوع معاصروه مثل السيّد حسن الصدر في كتابيه: تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، و الشيعة وفنون الإسلام، ومثل السيّد محسن الأمين في كتابه الكبير أعيان الشيعة، والشيخ آقا بزرك الطهراني في مؤلّفه المهمّ والكبير الذريعة إلى تصانيف الشيعة؟

٤ ـ يبدو أنّ هناك ازدراء أو تساؤلاً كان قد وجّه إلى الشيعة وإلى تأريخهم وأصالتهم عند بعض أهل الريب ممّن انتحل الإسلام، ثمّ أخذ يتبجّح بإسلامه متغافلاً عمّن سبقه في الإسلام، ومتنكّراً للنعم التي أفاضها عليه شيعة أهل البيت عليهم السلام في حفظهم للتراث الإسلامي ببركة أوليائهم المستأمنون على حفظ الرسالة وقيمها، فأصبح الدخلاء والمتأخّرون ومن حذا حذوهم ينتحلون فضائل المتقدّمين لأنفسهم، ويتنكّرون لأرباب النعم عليهم ـ كما هو دأب البسطاء والسذّج من الناس أو اللئام منهم ـ في التنكّر للمعروف وأهله حتّى زعم البعض أنّ الشيعة لا مصنِّف لهم ولا مؤلِّف، وقد كانت هذه الفرية قديمة حتّى أنّها قد دعت كبار العلماء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مثل النجاشي والطوسي في مطلع القرن الخامس الهجري للتصدّي للردّ عليها.

٥ ـ وقد ساعد على نشرها ما حاولته الأيدي الأثيمة بعد التنكّر لأهل الرسالة وسلبهم موقعهم القيادي والريادي في الأُمّة ـ لأسباب ذكرها الإمام شرف الدين في مؤلّفه القيّم فلسفة الميثاق والولاية كما ذكرها تفصيلاً في كتابه الجليل المراجعات ـ وبعد مصادرة هذا الموقع القيادي خطّطوا لإقصائهم وإقصاء شيعتهم بل لإبادتهم، ولكنّهم لم يفلحوا رغم كلّ أنواع التآمر والتخطيط والتصدّي للإبادة، حتّى جعلوهم في هامش الحياة والأُمّة الإسلاميّة، واعتبروهم دخلاء على خطّ الرسالة في الوقت الذي كانوا هم الأُمناء عليها وعلى صيانتها من كلّ تحريف قام به العابثون والمتصدّون للخلافة والمتنعّمون باقتدارها وهيبتها والمستفيدون من بركاتها المادّيّة، حتّى مسخوها عن حقيقتها، وأبدلوها بملك عضوض بعد أن كانت الخلافة وساماً للشرف والخير

وقيم الحقّ، والتي عبّر عنها سيّد الأوصياء وإمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام: «إنّ خلافتكم هذه أهون عندي من عفطة عنز إلّا أن أُقيم حقّاً أو أدحض باطلاً»[١].

وهكذا سعى الدخلاء والمؤلّفة قلوبهم لإبادة الشريعة الحقّة وأهلها، بينما قام أهل البيت عليهم‌السلام وأتباعهم بكلّ ما أُوتوا من حول وقوّة للتصدّي لهذا المسخ والتحريف الجاهلي، الذي ساعدته أيدٍ يهوديّة وأكفٌّ كتابيّة، كانت ترى في الإسلام منازعاً لها ولهيمنتها ولمواقعها التي اكتسبتها باسم رسالة السماء وباسم موسى وعيسى عليهما‌السلام.

٦ ـ وإنّ قرار المنع من تدوين الحديث والسنّة ليلتقي بجدّ مع أطماع أهل الكتاب للقضاء على ينابيع الرسالة الخاتمة ومصادر قوّتها، كما يتصادم مع بديهيّات الكتاب والسنّة النبويّة اللذين جعلا السنّة مصدراً أساسيّاً للرسالة، وقد أقسم القرآن بالقلم وما يسطرون، فكيف ينهى عن تسطير وكتابة ما به تستمرّ رسالته وتبلغ إلى الأجيال اللاحقة، في الوقت الذي اعتبر القرآن نفسه هدىً للناس والرسالة الإسلاميّة خاتمة الرسالات ولكلّ الأجيال اللاحقة.

ثمّ، ألا يكون حظر التدوين تناقضاً صارخاً بين دعوى الخلود والشمول للرسالة الإسلاميّة والتحضّر والتقدّم من جهة، وبين الوقوف بوجه أسباب الخلود والشمول والتحضّر من جهة ثانية؟

ثمّ ألا نفهم من إجماع أهل القرن الثاني على إباحة التدوين أنّهم قد أجمعوا على تخطئة كلّ الذين ساروا في إحكام مخطّط المنع من التدوين، بدءاً بصاحب الغار ومعتمده ووزيره اللذين زعما أنّهما إنّما تصدّيا للحكم خوفاً من الفتنة وتفرّق الأُمّة. وحين اقتدرا وتمكّنا من قيادة المسلمين بادرا إلى حظر تدوين السنّة، ومنعا من تداولها ونشرها إلّا بمقدار الضرورة التي تقدّرها آراؤهم، وتسمح بها أهداف الحكم نفسه.

٧ ـ وهكذا ولدت سنّة أبدعتها أهواء حاكمة؛ لتقف أمام سنّة أصّلتها آيات كريمة

---

١. نقلاً بالمعنى عن نهج البلاغة، الخطبة (٣) و (٣٣).

ورفدتها سيرة نبويّة عظيمة، وخطّأتها فيما بعد سيرة التابعين وتابعيهم بإحسان حتّى يومنا هذا.

ولكنّ ردود فعل تلك البدعة لا زالت تلعب دوراً حاسماً في التفريق بين المسلمين، وتحول بين وحدتهم كما حالت في بداية الطريق، ففرّقت المسلمين شيعاً تحت شعار خوف السقوط في الفتنة، وقد قالت فاطمة الزهراء سيّدة النساء ابنة سيّد المرسلين حين ندّدت بهذه الخطّة وبهذا الشعار بكلّ صراحة وبكلّ دقّة، حيث استشرفت فيها المستقبل القريب والبعيد فأنذرت المسلمين بذلك قائلة: «ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا»[1].

٨ ـ وبعد أن وقفنا على جذور هذا التساؤل الغريب الذي لاكته ألسن الدخلاء على الرسالة تجاه أصحاب الرسالة والأُمناء عليها، نكون قد عرفنا أسباب ودوافع هذا التساؤل الذي يحاول أن يستبدل الموانع والمواقف، ويخلط الأوراق، ويسبّب بلبلة فكريّة تضمن للخطّ المائل موقعه بالاحتفاظ بمبرّراته ورموزه، وتقمّص كلّ فضيلة وسلبها من أصحابها؛ ليأتي هذا التنكّر كدليل تأريخي يدعم هذا التبادل في المواقع، ويبرّر للدخلاء مواقفهم، ويسوّغ لهم مخطّطاتهم، ويفيض نوعاً من الشرعيّة على سلوكهم وطموحاتهم.

٩ ـ وقد ردّ الإمام شرف الدين في آن واحد على أكثر من زعم، وأجاب على أكثر من سؤال حينما كتب عن مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام، محاولاً تتبّع التأريخ واستقصائه لإثبات ريادة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم في مجال التأليف وحفظ الرسالة من الضياع، في كتب وقراطيس تتكفّل نقلها من جيل إلى جيل ومن قرن إلى قرن حتّى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد ردّ على من زعم أنّ حظر تدوين الحديث يرجع إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، حين بلور لنا قضيّة في غاية الأهميّة هي أنّ أهل البيت عليهم السلام ـ وهم أدرى

---

١. أُنظر خطبتها عليها السلام في الاحتجاج ١: ٢٥٣ ـ ٢٧٥، طبعة منظّمة الأوقاف المحقّقة، انتشارات أُسوة.

بما في البيت ـ قد بادروا إلى التدوين بأمر من رسول الله ﷺ، كما سجّل لأهل البيت عليهم السلام ولأتباعهم موقفاً حاسماً تجاه مخطّط حظر التدوين في صدر الإسلام.

وهذا التمرّد على مخطّط حظر التدوين دليل آخر على عدم مشروعيّة الخطّ الذي تبنّى حظر التدوين، وخطّط له وروّجه وحاول تأصيله بشتّى الوسائل والأساليب إلى يومنا هذا.

١٠ ـ على أنّ تقدّم الشيعة في التأليف يشكّل دليلاً قاطعاً على تقدّم الشيعة علميّاً وثقافيّاً وعلى هيمنتهم العلميّة والفكريّة في الساحة الإسلاميّة منذ الصدر الأوّل بل منذ عصر الرسول ﷺ. وهو يتضمّن ردّاً حاسماً على من زعم أنّ التشيّع اتّجاه سياسي قد ولد في عصور متأخّرة.

وهو حاسم في إثبات ريادة التشيّع لسائر المسلمين في هذا المجال، رغم كلّ الظروف المعاكسة التي وقفت ضدّهم.

وبالتالي هو إدانة أُخرى لكلّ الذين اعتبروا التشيّع تابعاً ونتاجاً متأخّراً لسائر الفرق كالمعتزلة وغيرهم.

وفي هذا المؤلّف يقف المؤلّف عالماً شيعيّاً شامخاً؛ لأنّه صاحب نعمة عظمى وصاحب جذور تاريخيّة عريقة، وهو ذو اليد العليا على كلّ من تبع الشيعة في ميدان التدوين والتأليف، فهي ريادة فكريّة وعلميّة، كما هي نعمة تستحقّ الشكر، وعلى مَنْ تبع الشيعة أن يطأطأوا رؤوسهم متواضعين لروّاد هذا الطريق الذي خطّوه بدمائهم وأرواحهم ونفوسهم وأعزّ ما لديهم، حتّى قضوا على مخطّط الحظر الحكومي الرهيب.

وإن لم يكن سيّدنا شرف الدين قد أكمل إنجاز هذا المشروع البكر في عصره، لكنّه بذر بذرة آتت ثمارها يانعة، وتجلّت للمسلمين وغيرهم فيما كتبه الإمام السيّد حسن الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤) وأنجزه في سنة ١٣٢٨هـ ثمّ في سنة ١٣٣٠ هجريّة في مؤلّفيه تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، والشيعة وفنون الإسلام. كما تبلورت هذه المبادرة في ما أنجزه بشكلٍ جيّد وعظيم الإمام السيّد محسن الأمين

العاملي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١) في أعيان الشيعة ، والشيخ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩) في مؤلّفه الضخم الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، فإنّها أشجار باسقة وثمار يانعة تكشف عن ريادة الشيعة الاثني عشريّة وعظمتهم العلميّة والفكريّة وسعة إنتاجهم ، وتنوّع الحقول المعرفيّة التي ارتادوها ، كما تثبت بالأرقام حقيقة هذه الريادة الجبّارة التي بلغوها ببركة أهل بيت الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين .

وهذه المجموعة التي بين يديك قد نشرت على التوالي في مجلّة العرفان العامليّة[1] ، والتي كانت منبراً حقيقيّاً للأقلام الرائدة مثل الإمام شرف الدين الذي كان يرعاها بقلمه وبلسانه وبيده .

ثمّ طبعت في مجموعة مستقلّة بتقديم صاحب الفضيلة السيّد أحمد الحسيني في النجف الأشرف سنة ١٣٨٥ هـ ق . وها هي اليوم تخرج إلى النور مرّة أُخرى ضمن موسوعة الإمام شرف الدين محقّقة منقّحة .

وفي الختام نتقدّم بالشكر للسادة الأفاضل الذين قاموا بتحقيق هذه المجموعة من الرسائل ، وهم السادة : نعمت الله الجليلي ، ومحمّد إسلامي پناه ، ومحمّد حسين المولوي ، ومنصور الإبراهيمي ، كما نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى الشيخ عليّ أوسط الناطقي ، والشيخ عليّ الأنصاري الحميداوي ، والشيخ محسن النوروزي الذين تولّوا المراجعات النهائيّة لها وإكمال نواقصها ، والفاضل الكريم حجّة الإسلام والمسلمين السيّد منذر الحكيم لتفضّله علينا بكتابة هذه المقدّمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

---

١ . انظر الأجزاء ٧ ـ ٩ و ١١ و ١٢ من المجلّد الأوّل .

# ( ١٢ )

# تأليف الأُمّة

# القسم الأوّل*

**فصل**: حسن الأُلفة من أوضح بديهيّات العقل وأوّل ضروريّات الشرع، بها تحلّ عقد المكاره، وبها يتكهم[1] حدّ الخطب الطارق، وبها يثل[2] عرش التقهقر، وبها يسمو كرسيّ الارتقاء. ألا وإنّها أمنع قلعة يعتصم بها جحفل[3] الأحرار، وأوثق عروة لا يفصمها[4] كرّ الليل والنهار، وأسبغ لامة[5] لا يُعبأ معها بأسنّة العوامل أو ضبات[6] السيوف الشحيذة[7]، بل لا تضرّها نيران القنابل ولا تخدشها صواعق المدافع.

(١) يكلّ.

(٢) يهدم.

(٣) جيش.

(٤) لا يكسرها.

(٥) لامة الدرع، جمعها لأم ولوم. وأسبغ لامة: أي أشدّها وقاية.

(٦) جمع ضُبَة، وهي حدّ السيف.

(٧) القاطعة.

* . طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ٨، شعبان ١٣٢٧.

ولو نظرت بعين البصيرة أو تأمّلت تأمّل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لوجدتها السبب الوحيد في العمران، والعلّة التامّة في استقامة النظام، لم ترتق الأُمم الراقية إلى أوج النجح إلّا بسلّم الوئام أو منطاد[١] الإخاء، ولم تُكتشف كنوز الفوز إلّا بسرب الاجتماع أو نفق الوداد، ولم تُقطع مهامه[٢] الشدائد إلى مراكز الظفر إلّا بقطار[٣] الأُلفة، ولا خاضت لجج المنايا إلى جزائر السعادة إلّا ببواخر الرأفة، ولا سطعت أشعّة الكهرباء من أفكارها فجعلت حنادس ليلها كشموس نهارها إلّا بصادق التعاضد، ولا أبصرت ميكروب[٤] الخمول إلّا بمكرسكوب التوازر، ولا استأصلت شأفته إلّا بعظائم التناصح، ولا جُرّدت الأعراض عن جواهرها فحبست صدى الأصوات في صندوق عجائبها إلّا بقوّة النهضة العامّة وسطوة الأُلفة التامّة، ولا كشفوا أميركا فاغتنموها ـ وهي الدنيا الثانية ـ إلّا بهمم تساموا فيها إلى أوج القمر[٥] وإخاءً وشجت عليه

(١) هي الآلة التي يطيرون بها في الجوّ، واسمها: البالون بالافرنجيّة اصطنعه الإخوان منغلفيه الفرنسيّان سنة ١٧٨٣م.

(٢) جمع مهمه، وهي المفازة البعيدة والبلد القفر.

(٣) جمع قطر، وهو قطعة من الإبل على نسق واحد، وكنّي به هنا عن قطار السكّة الحديديّة.

(٤) الميكروب عبارة عن حيوانات صغيرة لا تدرك في البصر وإنّما ترى في تلك الآلة وهي المكرسكوب، وتعريبه (المُجْهِر) اخترعه الهولندي زكريا جنسن ١٩٠٥م.

(٥) كنّى بذلك عمّا قيل من أنّهم رأوا خيال الأرض في القمر فوجدوا أنّ هناك قسماً من الأرض لم يهتد إليه، وهو بعيد جدّاً.

عروقهم، ولا سخّرونا ندأب لهم كالعوامل وامتصّوا صالح دمائنا إلّا بتشتّت أهوائنا واجتماع آرائهم، ولا انفصمت عروة هذه الأُمّة وانحلَّ سلك عقدها فبلغت حضيض الوهن ورجعت متقهقرة إلى مركز الخمول إلّا بترك الوئام وقطعها لحبل الاعتصام.

إيهاً أُمّة الشرق، أتكونين هكذا خاملة، وغصونك ذابلة، وشموسكِ آفلة، ومدارسك عانية، ومعالمك خالية، وتجارتكِ خاسرة، وصناعتك بائرة، وهممك هازلة، وزراعتك ماحلة، وكنوزك محجوبة، وأموالك مسلوبة، ومياهك ضائعة، وفجاجك واسعة.

لكنّها ليس بها أنيسُ إلّا اليعافير وإلّا العيسُ

وذخائرك يسيرة، ومدرّعات بواخرك حقيرة، ومواصلاتك شاقّة تفتقرين فيها إلى كور البعير أو براذع الحمير؟

إذا لم يكن إلّا الأسنّة مركباً فما حيلة المضطرّ إلّا ركوبها

بيد أنّي أُهنّيكِ بالدستور، وأُبشّرك بانتظام الأمور، حيث خلع سلطان الاستبداد، وأُحكمت دولة الرشاد، وأكلت رباق العبوديّة التي خطّها الجانف المستبدّ على هوادي الأُمّة مخطّ القلادة على جيد الفتاة، ألا وهو الذي جعل مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلاً، وهو الذي أهلك الحرث وأباد النسل، وامتصّ دماء الأُمّة، وسلب المخّ من عظامها، ألا وهو الذي وضع نير المذلّة على أعناقها وقيود الأسر في سوقها[١]، وأقفال الانتقام على أفواهها، ووقر التدمير في آذانها، وغطاء النكال على أبصارها، وغلّ الوبال في أيديها، وجنود المسس على أقلامها، وشياطين المراقبة على وساوس صدورها، فتردّت إلى حضيض

(١) جمع ساق، الرجل، وهو ما بين الكعب والركبة.

الجهل وفقدت شعورها حتّى لا تميّز بين الظلم والعدل، ولولا أُباةُ الضيم وحلفاء الترقّي والاتّحاد لكانت جُفاء[1] كأمس الذاهب، أو كلحم على وضم[2] بيد أنّهم

تداركوها وفي أغصانها رمق

بعزمة تضائل الدهر لها وسطوة يخشى القضا نزالها

وقطع دابر الذين ظلموا، والحمد لله ربّ العالمين.

❊ ❊ ❊

(١) عبارة عن غشاء الشيء وفضلته.

(٢) هو مثل يضرب للذليل. والوضم محرّكة خشبة الجزّار يقطع عليها اللحم ـ وكلّ ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير ـ جمع أوضام وأوضمة. أقرب الموارد.[1]

١. أقرب الموارد ٢: ١٤٦٢، «و.ض.م».

# القسم الثاني*

الاجتماع معراج الارتقاء، ومفتاح بركات الأرض والسماء.

أجل، إنّه عين العمران ونفسه المطمئنّة، وملاك الإصلاح وروحه التي بين جنبيه.

بلى، إنّه من الملّة قطب رحاها، ومن الحكمة لفظها ومعناها، ومن العقل محجّته الواضحة، ومن الشرع صراطه المستقيم. به تقف الأُمّة على دقائق السياسة، وبه ترتقي إلى منصّات الرئاسة، وبه تعرج إلى سدرة منتهى العزّ، وتستوي به على عرش الاقتدار، وتستولي به على كرسيّ العلم، فتقرأ من اللوح المحفوظ مواقعَ صوابها، وتنجلي عنها بأنوار المعارف غياهبُ ارتيابها، ويُشرِف بها شرفُ التدبير، على حسن العواقب والمصير.

وحسبك أنّ الاجتماع من معالم الدين وسنن النبيّين والمرسلين ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ أوجبه ربّ العزّة ـ جلّ وعلا ـ في الجُمع والأعياد، وسنّه في الفرائض الخمس وصلوات الآيات والجنائز، وافترضه في الحجّ على من استطاع سبيلاً، فقال ـ عزّ اسمه ـ:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[١] باجتماعهم على الوفود إلى الله والخضوع لعزّته، وللتعارف وتبادل الآراء فيما بينهم، واكتساب الجاهل من العالم، والسفيه من الحكيم،

---

*. طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ٩، رمضان ١٣٢٧.

١. الحجّ (٢٢): ٢٧ ـ ٢٨.

بوقوف كلّ من أهل الأقطار المتشاسعة على أطوار غيره، فيذر المتوحّش طوره؛ ويستبدل به غيره.

وفي الحجّ من التنبيه على المساواة ما لا يبلغه الواصف وإن أطنب، ولا يصفه البليغ وإن أسهب، وذلك أنّ السلطان وأقلَّ رعيّته وسيّدَ الرسل وسائر أُمّته فيه شرعٌ سواءٌ، يهزّون مناكبهم ذللاً، ويسيرون على أقدامهم شعثاً غُبراً، قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، إخراجاً للتكبّر من قلوب المتكبّرين، وإدخالاً للتذلّل في نفوس المتعزّزين، وفيه من تعظيم الله سبحانه، والتذلّل لعزّته، والاستكانة لعظمته، والاتّعاظ بذكر المحشر، ما ليس في غيره من سائر العبادات.

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

# (١٣)

# مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

# مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة*[(1)]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حسناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾[1]، الآية.

أجمع أهل البيت وأولياؤهم على أنّ «القربى» هنا إنّما هم: عليّ وفاطمة

---

(١) قال الإمام الشافعي:

يا آل بيت رسول‌الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزلَهُ

كفاكم من عظيم الفضل أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة لَهُ[2]

وقال الشيخ شمس الدين بن العربي ـ كما في الصواعق ـ:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلّا المودّة في القربى[3]

---

*. طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٥، الجزء ٢، صفر ١٣٣٢.

١. الشورى (٤٢): ٢٣ ـ ٢٤.

٢. ديوان الإمام الشافعي: ١١٧. وحكي عنه أيضاً في الصواعق المحرقة: ١٤٨، الباب ١١، الفصل ١؛ نور الأبصار: ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٣٤، الباب ٥٧، ح ١٩٧؛ رشفة الصادي: ٧١.

٣. كفاية الطالب: ٣١٣؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١.

وأبناؤهما، فهي مصدر كـ«الزلفى» و«البشرى» بمعنى القرابة. والاستثناء متّصل، والمعنى: لا أسألكم على أداء الرسالة أجراً إلّا أن تؤدّوا قرابتي وتحفظوني فيهم. وهذا في الحقيقة ليس أجراً له ﷺ؛ لأنّ قرابته حجج الله البالغة عليهم، ونعمه السابغة لديهم، فمودّتهم لازمة لهم، ونفعها عائد عليهم، كما قال في سورة سبأ ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[1] يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا ليتّهمني المنافقون، وما طلبته منكم أجراً عليه من مودّة قرابتي فإنّما هو لكم.

ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي لا أسألكم عليه أجراً قطّ ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم بقيّتي فيكم.

وقد اعترِض على ما ذكرناه من تفسير القربى بأنّه لو أُريد المودّة لهم لقال: إلّا المودّة للقربى[2]. انتهى.

وهذا تغافل عمّا لا يغفل عنه ذو حظّ من بلاغة، وتجاهل بما لا يجهله ذو خبرة بمواقع الكلام، فإنّ اللام هنا لا تفيد ما أفادته «في» من المبالغة بمودّة القربى، وجعلهم موضع الودّ والموالاة، كما يعلمه جهابذة العربيّة، ويشهد به أئمّة علم البلاغة.

قال الزمخشري في كشّافه[3] بعد تفسير «القربى» بما ذكرناه:

**فإن قلت**: فهلّا قيل: إلّا مودّة القربى، أو إلّا المودّة للقربى؟ وما معنى قوله: ﴿إلّا المودّة فى القربى﴾؟

**قلت**: جُعِلُوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحبّ شديد، تريد: أُحبّهم، وهم مكان حبّي ومحلّه. وليست «في» بصلة

---

١. سبأ (٣٤): ٤٧.

٢. راجع قول الزمخشري في الكشّاف المذكور بُعيد هذا.

٣. الكشّاف ٤: ٢١٩، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

المودّة كاللام، إذا قلت: إلّا المودّة للقربى إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلّا المودّة ثابتة في القربى ومتمكّنة فيها. انتهى بلفظه.

ولله درّه ما أوفر نصيبه من الإحاطة بالأسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتمّ الإعجاز إلّا بها.

## [ردّ القول بأنّ الآية مكّيّة]

واعترضوا أيضاً بأنّ هذه الآية في سورة الشورى، وهي مكّيّة، والحَسنان ولدا بالمدينة، فلا يمكن إرادتهما منها[١].

والجواب: أنّ هذه الآية وما بعدها إلى آخر ثلاث آيات مدنيّة قطعاً؛ بحكم الأخبار المتضافرة من طريق العترة الطاهرة[٢]. وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عبّاس وقتادة[٣].

ويدلّ عليه أيضاً ـ مضافاً إلى ما ستسمعه[٤] من طريق غيرنا عن النبيّ والأئمّة من عترته ـ ما قيل في سبب نزولها من أنّ الأنصار أتت رسول الله ﷺ بمال جمعوه ـ كما في الكشّاف وغيره[٥] ـ فقالوا: يا رسول الله، قد هدانا الله بك، وأنت ابن أُختنا، وتعروك نوائب وحقوق، وما لك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك،

---

١. راجع الكشّاف ٤: ٢١٩، ذيل الآية.

٢. راجع: تفسير الصافي ٤: ٣٧٢ ـ ٣٧٥، ذيل الآية؛ نور الثقلين ٤: ٥٧٠ ـ ٥٧٦، ح ٥٩ ـ ٨٢.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٠، بداية سورة الشورى (٤٢).

٤. في ص ١٢ ـ ١٣.

٥. الكشّاف ٤: ٢٢٠، ذيل الآية. راجع أيضاً: الكشف والبيان ٨: ٣١٤؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ أسباب النزول: ٣١٢؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية.

فنزلت الآية، فردّه النبيّ ﷺ وتلاها عليهم.

وفي الكشّاف أيضاً وغيره[١] رواية أُخرى في نزولها، جاء فيها: إنّ الأنصار فاخروا بعض بني هاشم، فعاتبهم النبيّ ﷺ بذلك، فجثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية.

أليست هذه الأخبار صريحة في نزولها في المدينة، وأنّ المراد من «القربى» ما ذكرناه؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكّيّة؛ لأنّ ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول(١) إجماعاً وقولاً واحداً، ألا ترى أنّ الأغلب من أواخره مكّي والأكثر من أوائله مدنيّ، فلو كان مرتّباً على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أُخّر وتأخير بعض ما قدّم، ولكانت سورة العلق في أوائله[٢]، ومن هنا كان أغلب السوَر المكّيّة لا يخلو من آيات مدنيّة، وكذلك العكس بحكم أئمّة السلف والخلف من الفريقين. ودونك ـ إن شئت التفصيل ـ

(١) نعم، جَمَعه عليّ عليه السلام على تنزيله، كما هو متواتر عندنا عن الأئمّة من أبنائه[٣]، وكان محمّد بن سيرين يقول ـ كما في الفصل الرابع من الباب التاسع من الصواعق ـ لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم[٤]. والتفصيل في كتابنا سبيل المؤمنين[٥].

١. الكشّاف ٤: ٢٢٠، ذيل الآية. وراجع أيضاً: تفسير الطبري ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٢١؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٧، ذيل الآية.

٢. للمزيد راجع: صحيح البخاري ٤: ١٧٠٩، ح ٤٣٧٧؛ صحيح مسلم ٤: ٢٣٢٢، كتاب التفسير، ح ٣١.

٣. للمزيد راجع البرهان ١: ٣٣ ـ ٣٨، ح ٩٥ ـ ١٢٠.

٤. الصواعق المحرقة: ١٢٨، الباب ٩، الفصل ٤. وراجع أيضاً: الاستيعاب ٣: ٩٧٤، الرقم ١٦٣٣؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٠٨، الباب ٥٩، ح ٨٢.

٥. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن، أو أوّل كلّ من المائدة، والأعراف، والرعد، والإسراء، والكهف، ومريم، والحجّ، والشعراء، والقصص، والروم، ولقمان، وسبأ، والزمر، والزخرف، والدخان، والرحمن، والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري[1] وسائر المؤلّفات في هذا الموضوع، وبعد التتبّع قل لي: كيف ألغى المعترضون صحاح الأخبار المفسّرة للقربى بما قلناه، وصرفوا الآية عن أهلها بمجرّد كونها في سورة يقال عنها: مكّيّة؟ ومَن أوحى إليهم أنّ آيات تلك السورة مرتّبة في الجمع على حسب نزولها، أو نبّأهم أنّها ليست كأغلب السور فيها آيات مكّيّة وأُخر مدنيّة، ووصفها تابع للغلبة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدىٰ﴾[2]؟

على أنّه لا مانع من تناول الآية للحسنين عليهما السلام حتّى لو فرضنا نزولها قبل ولادتهما؛ لأنّ المودّة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجوداً حين نزولها[3]، بل هي ثابتةٌ فيهم، وهم على الإطلاق مكانها، كما سمعت.

وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾[4]. أترى أحداً من المسلمين قصر هذه الوصيّة على من كان موجوداً من الأولاد حين نزولها؟ كلّا، بل لم يتوهّم ذلك ابن أُنثى، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين.

وأمّا ما ستسمعه[5] من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله في تفسير «القربى»: «هم عليّ وفاطمة وولدهما»، فيجوز أن يكون متأخّراً عن نزولها، أو أنّه خبر عن الله عزّ وجلّ

---

١. راجع إرشاد الساري ٧: ١٠٠ ـ ٣٧٤.

٢. النجم (٥٣): ٢٣.

٣. للمزيد راجع رشفة الصادي: ٣٧ ـ ٤٠.

٤. النساء (٤): ١١.

٥. في ص ٩.

بالغيب، فيكون من أعلام النبوّة.

ولا غرو فقد أخبر عن خلفائه الاثني عشر تارةً على سبيل الإجمال[١]، وأُخرى على سبيل التفصيل[٢]، وأمر الأُمّة بمودّتهم واتّباعهم، ونحن مهما شككنا فلا نشكّ في أنّ «العترة» و«الكتاب» ثقلا رسول الله ﷺ، وأنّ كلّاً منهما يفرغ عن الآخر؛ لأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض[٣].

## [لمعة من الأخبار في تفسير «القربى»]

وقد تواترت أخبارنا عنهم في تفسير «القربى» بما ذكرناه[٤]، وإليك لَمعة ممّا جاء في ذلك من حديث غيرنا:

أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم[٥] عن ابن عبّاس(١)

---

(١) هذه الرواية عن ابن عبّاس تكذّب ما قيل عنه من تفسير «القربى» بالمعنى الذي اختاره عكرمة[٦].

---

١. مسند أحمد ٧: ٤٠٣ ـ ٤١٨، ح ٢٠٨٣١، ٢٠٨٤٠، ٢٠٨٥٧، ٢٠٨٦٩، ٢٠٩٠٢، ٢٠٩٢١؛ صحيح البخاري ٦: ٢٦٤٠، ح ٦٧٩٦؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥١٩ ـ ٥٢٣، باب ما جاء في إخباره باثنى عشر أميراً و... ؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٩٣ ـ ١٩٤، باب إخباره بالخلفاء بعده ثمّ... .

٢. راجع: فرائد السمطين ٢: ١٣٤ ـ ١٤١، ح ٤٣٠ ـ ٤٣٥؛ ينابيع المودّة ٢: ٣١٤ ـ ٣١٦، الباب ٥٦، ح ٩٠٥ ـ ٩١٢.

٣. للمزيد راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٨.

٤. للمزيد راجع نور الثقلين ٤: ٥٧١ ـ ٥٧٦، ح ٦١ ـ ٧٧.

٥. راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٩، ح ١١٤١؛ المعجم الكبير ٣: ٤٧، ح ٢٦٤١؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠: ٣٢٧٦، ح ١٨٧٣؛ شواهد التنزيل ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٨٢٧.

٦. راجع: أسباب النزول: ٢٩٦؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١، و ٢٣٠، باب وصيّة النبيّ ﷺ؛ الشرف المؤبّد لآل محمّد: ١٨، المقصد ١؛ نور الأبصار: ٢٢٣.

ـ كما نصّ عليه ابن حجر الهيثمي(١) وغيره ـ قال: لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وابناهما». انتهى.

وأخرجه أيضاً جماعة آخرون، كالبغوي والثعلبي في تفسيريهما، والحافظ أبي نعيم في حليته، والحمويني الشافعي في فرائده[1].

وأرسله الزمخشري في كشّافه[2] ثمّ قال:

ويدلّ عليه ما روي عن عليّ عليه السلام: «شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أوّل مَن يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين؟». الحديث.

ثمّ روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي». الحديث.

ثمّ أورد حديثاً آخر ـ إلى أن قال ـ: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد

---

(١) في تفسير الآية الرابعة عشرة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[3]، وكلّ ما ننقله في هذا المقام عن الصواعق موجود هناك أيضاً، فراجع.

---

١. معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ الكشف والبيان ٨: ٣١٠، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢)؛ حلية الأولياء ٣: ٢٠١، الرقم ٢٣٦؛ فرائد السمطين ٢: ١٣، ح ٣٥٩.

٢. الكشّاف ٤: ٢٢٠، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٣. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١. وراجع أيضاً رشفة الصادي: ٥٢.

مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً». الحديث.

وقد أخرجه الثعلبي أيضاً في تفسيره[١]، ونقله خلق كثير[٢].

وأنت تعلم أنّ هذه المنزلة السامية إنّما ثبتت لهم؛ لأنّهم حجج الله البالغة، ومناهل شرائعه السائغة، وأُمناؤه على وحيه، وأولياؤه في أمره ونهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله، والمبغض لهم مبغض لله.

ومن هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حبّهم دين، وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصمُ

إن عدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: همُ[٣]

وأخرج الحاكم[٤] ـ كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان[٥] ـ بالإسناد إلى

١. الكشف والبيان ٨: ٣١٤، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢).

٢. كالفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء ٢٧): ١٦٦ ـ ١٦٧، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢)، والطبراني في المعجم الأوسط ٣: ١٢٢، ح ٢٢٥١، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢، ح ١٥٠٠٧، والسيوطي في إحياء الميّت: ٦٣، ح ١٨، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، تتمّة، باب وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣. ديوان الفرزدق: ٤٥٦.

٤. شواهد التنزيل ٢: ١٤١ ـ ١٤٢، ح ٨٣٧ بتفاوت.

٥. مجمع البيان ٩: ٢٨ ـ ٢٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢).

أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى. ولو أنّ عبداً عبدالله ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي وهو لا يحبّنا كبّه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّة في القُرْبىٰ﴾». انتهى.

وأخرج أبوالشيخ[1] وغيره[2] -كما في الصواعق وغيرها[3]- عن عليّ عليه السلام: «فينا في آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن» ثمّ قرأها.

وإلى هذا أشار الكميت بقوله:

وَجَدنا لكم في آل حم آيةً ... تأوّلها منّا تقيّ ومُعْرِبُ[4]

وأخرج البزّاز[5] والطبراني[6] -كما في الصواعق[7] أيضاً- عن الإمام أبي محمّد الحسن المجتبى - سلام الله عليه - بطرق مختلفة أنّه خطب خطبة قال فيها: «وأنا من أهل البيت الذين افترض الله -عزّ وجلّ- مودّتهم وموالاتهم، فقال فيما

---

١. حكاه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ١٤٢، ح ٨٣٨، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٣.

٢. كالطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢).

٣. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١. وراجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٩.

٤. الروضة المختارة: ٢٧. حكاه عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨.

٥. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٤.

٦. المعجم الأوسط ٣: ٨٨، ح ٢١٧٦.

٧. الصواعق المحرقة: ١٧٣، الباب ١١، الفصل ١.

أنزل على محمّد ﷺ: ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ فى القُرْبىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً﴾[1] واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت». انتهى.

وأخرج الطبراني[2] ـ كما في الصواعق[3] أيضاً ـ عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه لمّا أُقيم ـ بأبي وأُمّي ـ أسيراً على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم! فقال: «أما قرأت ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ فى القُرْبىٰ﴾؟» قال: وأنتم هم؟ قال: «نعم». انتهى.

وأخرج أحمد بن حنبل[4] ـ كما في الصواعق أيضاً[5] ـ عن ابن عبّاس(1) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فيها حُسْناً﴾ قال: هي المودّة لآل محمّد ﷺ.

وروى أبو حمزة الثمالي في تفسيره[6] عن ابن عبّاس: أنّه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله ﷺ فنقول له:

---

(١) هذا يكذّب ما قيل عن ابن عبّاس من تفسير «القربى» بما اختاره عكرمة[7].

---

١. الشورى (٤٢): ٢٣.

٢ و٣. لم نعثر عليه في كتب الطبراني ولكن نقله عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤ ـ ٤٥٥، الباب ٥٩، ح ٢٦٠. ورواه الطبري في تفسيره ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٧.

٤ و٥. لم نعثر عليه في كتب أحمد ولكن نقله عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١، والبحراني في غاية المرام ٣: ٢٣٠، المقصد الثاني، الباب ٥.

٦. حكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢). وراجع أيضاً تفسير القرآن العظيم لأبي حمزة الثمالي: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ذيل الآية.

٧. راجع: أسباب النزول: ٢٩٦؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١، و ٢٣٠، باب وصيّة النبيّ ﷺ؛ نور الأبصار: ٢٢٣؛ الشرف المؤبّد لآل محمّد: ١٨، المقصد ١.

قد تعروك أُمور فهذه أموالنا لك، تحكم فيها كيف شئت، فأتوه في ذلك، فنزلت الآية، فقرأها عليهم وقال: «تودّون قرابتي من بعدي» فخرجوا مسلّمين لقوله.

وقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه، أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت: ﴿أمْ يَقولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾. الحديث.

ونقل الثعلبي والبغوي ـ كما في الصواعق أيضاً ـ عن ابن عبّاس(١) مثله[١].

قاتل الله الحسد؛ فإنّه يورد أهله جرف المهالك، أُنظر كيف مرق هؤلاء من الدين، وكذّبوا ـ حسداً لأولياء الله ـ نبيّهم الصادق الأمين؟! فأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ إتماماً لنور أوليائه ولو كره المشركون.

ومع ذلك فقد وازر أُولئك الحاسدين جماعة من أمثالهم فنسجوا في صرف الآية عن أهلها على منوالهم، حتّى قال بعضهم ـ كما في الصواعق ـ: إنّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[٢].

وأنت ترى أنّ وجوب مودّة القربى بكلّ المعاني مستمرّ بحكم الضرورة في دين الإسلام، فما معنى نسخ الآية يا مسلمون؟! على أنّه لا تنافي بين الآيتين ليكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ، كما لا يخفى.

---

(١) وهذا أيضاً يكذّب ما نقل عن ابن عبّاس من تفسير «القربى» بما ستسمعه عن عكرمة[٣].

---

١. الكشف والبيان ٨: ٣١٥؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢)؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١.

٢. سبأ (٣٤): ٤٧.

٣. في ص ١٦.

## [ردّ ما قيل في معنى القربى]

وقال آخرون: معنى الآية: لا أسألكم إلّا أن تودّوا القربى من الله عزّ وجلّ بالأعمال الصالحة[1].

وقيل: بل معناها أن تودّوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم[2].

وقد أوضحنا في كتابنا سبيل المؤمنين أنّ أرباب هذه الأقوال بين عدوٍّ لأهل البيت، ومتزلّفٍ إلى أعدائهم. على أنّها أقوال بالرأي في مقابل ما سمعت بعضه من النصوص.

وقيل:

> إنّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ بأن يقول لمشركي قريش: ﴿لا أسألكم عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ فى القُرْبىٰ﴾ يعني إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم[3].

وفيه أوّلاً: أنّه اجتهاد في مقابل النصوص.

وثانياً: أنّ الآية مدنيّة ـ كما سمعت[4] ـ فأين مشركو قريش عنها.

وثالثاً: أنّ سبب نزولها ـ بحكم ما سمعته من الأخبار ـ إنّما هو عرض الأنصار أموالهم فيكون الخطاب معهم.

ورابعاً: أنّه لا يصحّ أن يكون الخطاب مع المشركين؛ إذ يقبح طلب الأجر على أداء الرسالة ممّن نفر منها وبلغ أقصى الغايات في الصدود عنها، وإنّما يحسن ذلك ممّن آمن بها وعدّها نعمة عليه.

---

١. نسب الفخر الرازي هذا القول إلى الحسن، راجع التفسير الكبير ١٤ (الجزء ٢٧): ١٦٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. هذا قول عبدالله بن القاسم، كما صرّح به الآلوسي في روح المعاني ٢٥: ٣٢، ذيل الآية.

٣. حكاه الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٤ (الجزء ٢٧): ١٦٥، ذيل الآية.

٤. تقدّم في ص ٥ ـ ٧.

وخامساً: إنّ هذا القول لم يثبت إلّا عن عكرمة، وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أُميّة، كما أوضحناه في سبيل المؤمنين[١].

وهؤلاء لا تقبل أقوالهم، ولا سيّما في مثل المقام، فإنّ عكرمة من كبار الخوارج ومؤسّسي بدعتهم، كما عن يحيى بن بكير، قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب ـ قال: ـ فالخوارج الذين هم بالمغرب عنه أخذوا[٢].

وعن خالد بن أبي عمران قال: كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال: وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً[٣].

وعن يعقوب الحضرمي، عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر ـ قال: ـ وكان يرى رأي الأباضيّة[٤].

وقال ابن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري[٥].

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج[٦].

وعن عطاء: كان عكرمة أباضيّاً[٧].

---

١. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، و ج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

٢. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٣: ٥٧، الرقم ٥٧١٦.

٣. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٤. المعرفة والتاريخ ٢: ٧؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٧، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١ ـ ٢٢، الرقم ٩.

٥. المعرفة والتاريخ ٢: ٤؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٦. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٧. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

وعن أحمد بن حنبل: إنّ عكرمة كان يرى رأي الصفريّة[١].

وحدّث أيّوب عن عكرمة أنّه قال: إنّما أنزل الله متشابه القرآن ليضلّ به. فانظر إلى آرائه ما أخبثها[٢].

وعن ابن أبي شعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة فقال: ما يستوي أن يكون من أهل الجنّة، ولكنّه كذّاب[٣].

وعن وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيّوب، فذكرا عكرمة، فقال يحيى: هو كذّاب[٤].

وعن ابن المسيّب أنّه كذب عكرمة[٥].

وعن عبدالله بن الحارث قال: دخلت على عليّ بن عبدالله فإذا عكرمة في وثاق، فقلت: ألا تتّقي الله؟ فقال: إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي[٦].

وعن ابن المسيّب أنّه قال لمولاه بُرْد: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس[٧]. ويروى ذلك أيضاً عن ابن عمر أنّه قاله لمولاه نافع[٨].

---

١. الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٧، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٠، الرقم ٩.

٢. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢ ـ ٣٣، الرقم ٤٠٠٩.

٣. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

٤. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣، الرقم ١٤١٣؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

٥. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦.

٦. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١.

٧. المعرفة والتاريخ ٢: ٣؛ معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٠، الرقم ٤٠٠٩.

٨. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣، الرقم ٩؛ تهذبب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

وعن طاوس: لو أنّ عند مولى ابن عبّاس تقوى الله وكفّ من حديثه لَشدّت إليه المطايا[١].

وعن أبي ذؤيب: رأيت عكرمة وكان غير ثقة[٢].

وعن يحيى بن سعيد قال: حدّثوني والله عن أيّوب أنّه ذكر له أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيّوب: وكان يصلّي؟[٣].

وقال محمّد بن سعد: كان عكرمة كثير العلم... وليس يحتجّ بحديثه، ويتكلّم الناس فيه[٤].

وقال مطرف بن عبدالله: سمعت مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروي عنه[٥].

وقال أحمد بن حنبل: ما علمت أنّ مالكاً حدّث بشيء لعكرمة إلّا في مسألة واحدة، ذكرها أحمد[٦].

وروى سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكثير عزّة في يوم واحد، فشهد الناس جنازة كثير، وتركوا جنازة عكرمة[٧].

---

١. الطبقات الكبرى ٥: ٢٨٩، ٢٩٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٧، الرقم ٤٠٠٩.

٢. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٩، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٣. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٤ ـ ٢٥، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩.

٥. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٣، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٦. تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٧. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٩٠، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩.

وعن الفضل الشيباني، عن رجل قال: رأيت عكرمة قائماً في لعب النرد[١].

وعن يزيد بن هارون: قدم عكرمة البصرة فأتاه أيّوب ويونس وسليمان فسمع صوت غناء، فقال: اسكتوا ـ ثمّ قال قاتله الله ـ لقد أجاد، فأمّا يونس وسليمان فما عادا إليه[٢].

إلى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل ممّا يدلّ على سقوطه بالكلّيّة، فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال[٣] فإنّ هناك جميع ما نقلناه عنه.

على أنّ كلّ من ترجمه ـ كابن خلّكان في الوفيات، والعسقلاني في مقدّمة فتح الباري وغيرهما[٤] ـ طعنوا فيه بما سمعت. والشهرستاني لمّا ذكر رجال الخوارج كان عكرمة أوّل من عدّه منهم[٥]. فهل يجوز مع هذا كلّه صرف آية القربى عن أهلها بمجرّد قوله، وهو العدوّ لهم، الخارجي عليهم؟

وقد أخطأ من نسب هذا القول إلى ابن عبّاس[٦]؛ اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب «قوله: إلّا المودّة في القربى» من كتاب تفسير القرآن من صحيحه[٧] عن محمّد بن بشّار، عن محمّد بن جعفر، وهما ضعيفان باتّفاق الإماميّة. ووافقنا

---

١. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٢. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٣. ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ ـ ٩٧، الرقم ٥٧١٦.

٤. وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١؛ فتح الباري (المقدّمة): ٥٩٦ ـ ٦٠١. راجع أيضاً: معجم الأُدباء ١٢: ١٨١ ـ ١٩٠، الرقم ٤٦، تهذيب الكمال ٢٠: ٢٦٤ ـ ٢٩٢، الرقم ٤٠٠٩.

٥. الملل والنحل ١: ١٣٧.

٦. للمزيد راجع ص ١٢.

٧. صحيح البخاري ٤: ١٨١٩، ح ٤٥٤١.

يحيى بن معين ـ كما في ميزان الاعتدال[1] ـ على تضعيف محمّد بن بشّار، بل كذّبه الفلّاس، فراجع.

وكيف يقول ابن عبّاس في تفسير القربى غير الذي قلناه، مع ما سمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير «القربى» بعليّ وفاطمة وأبنائهما، وتفسير «الحسنة» بمودّتهم[2].

ومن أراد التفصيل فعليه بكتابنا سبيل المؤمنين(١) فإنّ هذه اللمعة مقتبسة منه.

والله الموفّق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

صور ـ عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي

---

(١) كتاب مخطوط لم يطبع[3].

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٠، الرقم ٧٢٦٩.

٢. تقدّم في ص ١٢.

٣. للمزيد راجع ما ذكرنا في ص ٦، الهامش ٥.

( ١٤ )

# عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب

# عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب*

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾[1].

أجمع أهل البيت وأُولياؤهم على اختصاص هذه الآية بأهل الكساء عليهم السلام، وإليه ذهبت جماهير أهل السنّة، وبه قطعت أكابر أئمّتهم(1).

والأخبار في ذلك من طريقهم ـ فضلاً عن طريقنا[2] ـ متضافرة.

أخرج مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه[3]، وأحمد بن حنبل في مسنده[4]،

(1) كما صرّح به الشريف العلوي أبو بكر بن شهاب الدين إذ أورد الآية في أوائل كتابه رشفة الصادي[5].

*. طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٥، الجزء ٤، ربيع الآخر ١٣٣٢.

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. للمزيد راجع نور الثقلين ٤: ٢٧٠ ـ ٢٧٧، ح ٨٤ ـ ١١٠، ذيل الآية ٥٦ من سورة الأحزاب (٣٣).

٣. صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٦١. ذكر في باب فضائل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

٤. مسند أحمد ٥: ٧٩، ح ١٦٥٤٠.

٥. رشفة الصادي: ٢٣ ـ ٢٤.

والحميدي في الجمع بين الصحيحين، والعبدي في الجمع بين الصحاح الستة، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم[1] عن عائشة، قالت: خرج رسول الله ﷺ غداةً وعليه مِرْط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾.

وأخرج الترمذي والحاكم، وصحّحاه، وابن جرير[2]، وابن المنذر، وابن مردويه[3]، والبيهقي في سننه[4] من طرق عديدة عن أُمّ سلمة، قالت: في بيتي نزلت هذه الآية، وفي البيت عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه، ثمّ قال: «هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

وأخرج ابن جرير[5]، وابن المنذر[6]، وابن أبي حاتم[7]، وابن مردويه[8]،

---

١. الجمع بين الصحيحين ٤: ٢٢٤ ـ ٢٢٥، ح ٣٤٣٥؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٣، ح ٣٢٠٩٣؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣١، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٧، ح ٤٧٦١.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦، ح ٤٧٥٩؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦.

٣. حكاه عنهم السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٤، ذيل الآية، وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٢٩.

٤. السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٤، ح ٢٨٦١.

٥. تفسير الطبري ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦.

٦ و٨. حكاه عنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣، ذيل الآية بتفاوت في الألفاظ. راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب: ٣٠٢، ح ٤٨١.

٧. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، ذيل الآية.

والطبراني، والإمام أحمد[1] من حديث أمّ سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة[2] فيها حريرة[3]، فقال لها: «ادعي زوجك وابنيك». قالت أمّ سلمة: فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له على دكّان[4] تحته كساء خيبري ـ قالت: ـ وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي(١) وخاصّتي، فاذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً. اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فاذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً».

قالت أُمّ سلمة ـ في رواية أحمد عنها بطرق عديدة(٢) ـ: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنّك إلى خير، إنّك إلى خير».

---

(١) لا تخفى دلالة قوله في هذه الأحاديث الشريفة: «هؤلاء أهل بيتي» على حصر أهل بيته في المشار إليهم، ولا ينافيه استعمال هذه الكلمة في مقام آخر فيما هو أعمّ منهم عليهم السلام؛ إذ ذاك استعمال اللفظ في معنى آخر، كما لا يخفى.

(٢) راجع صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده.

---

١. المعجم الكبير ٣: ٥٣ ـ ٥٤، ح ٢٦٦٦؛ المعجم الأوسط ٤: ٤٧٩، ح ٣٨١١؛ مسند أحمد ١٠: ١٧٧، ح ٢٦٥٧٠.

٢. البرمة: قِدر من الحجارة. لسان العرب ١٢: ٤٥، «ب. ر. م».

٣. الحريرة: دقيق يطبخ بلبن أو دسم. لسان العرب ٤: ١٨٤؛ المعجم الوسيط: ١٦٦، «ح. ر. ر».

٤. الدكّان: الدكّة المبنيّة للجلوس عليها. لسان العرب ١٣: ١٥٧، «د. ك. ن».

وفي أُخرى ـ ذكرها أبو بكر في رشفته، وابن حجر في صواعقه ـ أنّه ﷺ قال ـ بعد دعائه لهم بما سمعت ـ: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم»[١].

وأخرج الإمام أحمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده[٢] عن واثلة بن الأسقع أنّه قال ـ من جملة حديث ـ: أتيت فاطمة أسألها عن عليّ، قالت: «ذهب إلى رسول الله ﷺ». فجلست أنتظره حتّى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليّ وحسن وحسين آخذ كلّ واحد منهما بيده حتّى دخل، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحدٍ منهما على فخذه، ثمّ لفَّ عليهم ثوبه ـ أو قال: كساء ـ ثمّ تلا: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾ وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي». الحديث.

وأخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير[٣]، وابن المنذر[٤]، والطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في سننه[٥] عن واثلة أيضاً.

وأخرج الإمام أحمد في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده[٦] عن أُمّ سلمة قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجك وابنيك» فجاءت

---

١. رشفة الصادي: ٣٠؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣ ـ ١٤٤، الباب ١١، الفصل ١.

٢. مسند أحمد ٦: ٤٥، ح ١٦٩٨٤.

٣. المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٣، ح ٣٢٠٩٤؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤.

٤. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥.

٥. المعجم الكبير ٣: ٥٥، ح ٢٦٧٠؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦ ـ ١٢٧، ح ٤٧٦٠؛ السنن الكبرى ٢: ٢١٧، ح ٢٨٧٠.

٦. مسند أحمد ١٠: ٢٢٨، ح ٢٦٨٠٨.

بهم، فألقى عليهم كساء فدَكيّاً، ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: «اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وعلى آل محمّد، إنّك حميد مجيد» قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خيرٍ».

وهذا الحديث رواه بالإسناد إلى أُمّ سلمة أيضاً أبو إسحاق الثعلبي عند بلوغه للآية من تفسيره الكبير[١]، وأخرجه جماعة كثيرون[٢].

وأخرج الإمام أحمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده[٣] عن أنس بن مالك: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الفجر، فيقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

وأخرجه الحاكم وصحّحه، والترمذي وحسّنه، وابن أبي شيبة، وابن جرير[٤]، وابن المنذر، وابن مردويه[٥]، والطبراني[٦]، وغيرهم[٧] عن أنس أيضاً.

وأخرج أحمد بن حنبل ـ كما نصّ عليه ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه ـ عن

---

١. الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآيه ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٢. راجع: مسند أبي يعلى ١٢: ٤٥٦، ح ٧٠٢٦؛ المعجم الكبير ٣: ٥٣، ح ٢٦٦٤؛ ٢٣: ٣٣٦، ح ٧٧٩؛ تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٠٣، الرقم ١٣٨٣؛ ١٤: ١٤١ ـ ١٤٢، الرقم ١٥٦٦.

٣. مسند أحمد ٤: ٥١٦، ح ١٣٧٣٠.

٤. المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٤ ـ ١٤٥، ح ٤٨٠٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٣٩١، ح ٣٢٢٦٢؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٩.

٥. حكاه عنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية، وأبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٢. وراجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٤، ح ٤٨٨.

٦. المعجم الكبير ٣: ٥٦، ح ٢٦٧١؛ ٢٢: ٤٠٢، ح ١٠٠٢.

٧. كأبي يعلى في مسنده ٧: ٥٩ ـ ٦٠، ح ٣٩٧٨ ـ ٣٩٧٩، وابن الأثير في أُسد الغابة ٧: ٢٤١، الرقم ٧١٧٦، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ١٣: ٦٤٦، ح ٣٧٦٣٢؛ والحاكم في شواهد التنزيل ٢: ١١ ـ ١٥، ح ٦٣٧ ـ ٦٤٤.

أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت في خمسة: النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين [١].

قال ابن حجر:

وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ: «أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة» ـ قال: ـ وأخرجه الطبراني أيضاً [٢].

ونقل ابن حجر في باب «وصيّة النبيّ بهم» من صواعقه كلاماً للإمام أبي محمّد الحسن المجتبى عليه السلام، جاء فيه: «ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» ـ قال: ـ قالوا: ولأنتم هم؟ قال: «نعم» [٣].

والأخبار في ذلك متواترة.

## [ردّ القول بأنّ الآية نزلت في نساء النبيّ ﷺ]

ومع هذا فقد ذهب عكرمة إلى نزول الآية في نساء النبيّ ﷺ، وكان ينادي ـ تحاملاً على أهل البيت ـ في الأسواق [٤]، وتبعه في ذلك مقاتل بن سليمان وثلّة من أمثاله [٥]؛ تمسّكاً بسياق الآية الكريمة.

**وفيه أوّلاً:** أنّه اجتهاد في مقابل النصوص.

---

١. الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١. ورواه أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٤، ح ١٤٩٧٦.

٢. الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١. وراجع أيضاً: تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٧؛ المعجم الصغير ١: ١٣٥.

٣. الصواعق المحرقة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، باب وصيّة النبيّ ﷺ بهم.

٤. راجع: تفسير الطبري ١٠: ٢٩٨، ح ٢٨٥٠٣، أسباب النزول: ٢٩٥ ـ ٢٩٦؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١.

٥. للمزيد راجع: البحر المحيط ٧: ٢٢٤، ذيل الآية؛ نور الأبصار: ٢٢٣.

**وثانياً**: أنّها لو كانت في النساء خاصّة لكان الخطاب في الآية بما يـصلح للإناث، ولقال ـ عزّ من قائل ـ: «كنّ» و «يطهّركنّ» كما في الآيات التي قبلها.

**وثالثاً**: أنّ عكرمة خارجي ـ كما مرّ عليك(١) في تفسير آية القربى ـ فسوء مذهبه يضطرّه إلى صرف كلّ فضيلة عن أهل البيت، وهو مع ذلك غير ثقةٍ ولا مأمون؛ لكذبه على ابن عبّاس وغيره، كما سمعت(٢).

وأمّا مقاتل بن سليمان فإنّه عدوّ لأميرالمؤمنين أيـضاً، وكـان دأبـه صـرف الفضائل عنه حتّى افتضح بذلك.

قال إبراهيم الحربي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلّكان[1] ـ:

قعد مقاتل بن سليمان فقال ـ إطفاءً لنور أميرالمؤمنين ويأبى الله ـ: سلوني عمّا دون العرش، فقال له رجل: أخبرني مَن حلق رأس آدم حين حجّ؟ فبهت.

وقال الجوزجاني ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال[2] ـ:

كان مقاتل دجّالاً جسوراً، سمعت أبا اليمان يقول: قدم هاهنا فأسند ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عمّا دون العرش ـ قال: وحدّثت أنّه قال مثلها بمكّة ـ فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت(٣).

---

(١) في صفحة ٩٤ من هذا المجلّد[3].

(٢) في الجزء الثالث من هذا المجلّد أيضاً[4].

(٣) وقد نقل ابن خلّكان هذه الحكاية أيضاً في ترجمة مقاتل من وفياته[5] عن سفيان بن عيينة.

---

١. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٥، الرقم ٧٣٣.

٢. راجع: أحوال الرجال: ٢٠٢ ـ ٢٠٣، الرقم ٣٧٣؛ ميزان الاعتدال ٤: ١٧٤، الرقم ٨٧٤١.

٣ و ٤. راجع مجلّة العرفان ج ٥، الجزء ٣، وهذا الجزء من الموسوعة، رسالة «مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة» الرقم ١٣.

٥. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

ومع ذلك فقد كان من أعلام المشبّهة وكبار المرجئة؛ بنصّ جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من فصله[١].

وعدّه الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٢] من رجال المرجئة.

وقال الإمام أبو حنيفة ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي[٣] ـ أفرط جهم في نفي التشبيه حتّى قال: إنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتّى جعله مثل خلقه.

وقال أبو حاتم محمّد بن حيّان البستي ـ كما في ترجمة مقاتل من الوفيات[٤] ـ:

كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهاً يشبّه الربّ بالمخلوقين ـ قال: ـ وكان يكذب مع ذلك في الحديث.

ولهم فيه كلام أوضح من هذا في الجرح، وأصرح منه في التضليل والقدح، ومع ذلك يعتنون بأقواله وآراء عكرمة في صرف الفضل عن أهل البيت وإن خالفت نصوص السنّة وكانت على وجه لا تبيحه قواعد العربيّة، وهذا ممّا يورث العجب ويذهب بالفطن إلى غير مذهب.

لقد رابني من عامرٍ أنّ عامراً بعين الرضى ترنو إلى من جفانيا[٥]

وأمّا ما تمسّك به عكرمة ومقاتل من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء[٦] فلا يجديهما غير المشاغبة؛ إذ تذكير ضمير الخطاب فيها ـ دون آيات

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥: ٧٤.

٢. الملل والنحل ١: ١٤٦.

٣. ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، الرقم ٨٧٤١.

٤. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

٥. النصائح الكافية: ١٥١.

٦. للمزيد راجع ص ٨، التعليقة ٤ و ٥.

النساء ـ كافٍ في إبطال ما ارتأياه.

على أنّ في آية التطهير التفاتاً من خطابهنّ إلى خطاب أهل البيت؛ ليعلم أنّ الله سبحانه إنّما نهاهنّ وأمرهنّ ووعظهنّ؛ إكراماً لأهل البيت، وتنزيهاً لهم، وحرصاً على أن لا تقارفهم بسببهنّ وصمة، أو يلصق بهم ـ ولو من جهتهنّ ـ هجنة، وهذا ظاهر لكلّ من تلا تلك الآيات البيّنات، وقد نبّه الزمخشري إليه في كشّافه[1]. فراجع.

بقي جواب آخر تفصيله في كتابينا سبيل المؤمنين و تنزيل الآيات[2]. ومجمله أن يقال ـ بعد تسليم دلالة السياق على ما زعمه عكرمة ـ: إنّ ظهور السياق لا يكافئ الأدلّة عند التعارض في مفاد الآية؛ لعدم الوثوق حينئذٍ بنزولها في ذلك السياق؛ إذ عرفت(١) أنّ ترتيب الكتاب في الجمع ليس على حسب نزوله، وعلى هذا فالواجب ترك فحوى السياق، والاستسلام لحكم الأدلّة وقد سمعت بعضها.

وذهب بعضهم إلى أنّ المراد من «أهل البيت» في الآية مَن حرمت عليهم الصدقة[3]؛ مستدلّين بما أخرجه مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه عن زيد بن أرقم وقد قيل له: مِن أهل بيته نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله، إنّ المرأة تكون

---

(١) ممّا ذكرناه في الجزء الثالث في آية المودّة في القربى[4].

---

١. الكشّاف ٣: ٥٣٨، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٢. هما من كتبه المفقودة. وللمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦ و٨؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء ﷺ، المطلب الثاني، الرقم ٤ و ٦ من نفائسه المفقودة.

٣. راجع: الكشف والبيان ٨: ٤٢ ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ الشرف المؤبّد لآل محمّد: ١٨، المقصد ١، جلاء الأفهام: ١٦٤ ـ ١٧٧، رشفة الصادي: ٢٠ ـ ٢١.

٤. راجع هذا الجزء من الموسوعة، الرسالة ١٣.

مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده[١]. انتهى.

وهذا الحديث ليس بحجّة ـ وإن وافقنا في إخراج الزوجات الطاهرات عن المعنى المراد من الآية ـ لأنّه لم يشتمل على الرواية عن رسول الله ﷺ، وإنّما دلّ على رأي زيد في المراد من أهل البيت، فكيف يعارض ما سمعته من الأحاديث المشتملة على تفسير النبيّ ﷺ لأهل البيت بأصحاب الكساء.

وذهب قوم إلى أنّ الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء؛ جمعاً بين الأدلّة والسياق[٢].

ويردّه ما سمعته من كلامنا في السياق. على أنّه لو كان غير عليّ وفاطمة وابنيهما مراداً، لقال ﷺ حين جلّلهم بالكساء: اللهمّ هؤلاء من أهل بيتي، ولكنّه قصر أهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال: «هؤلاء أهل بيتي»[٣] ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى﴾[٤].

على أنّ منعه لأُمّ سلمة من الدخول تحت الكساء أقوى دليلٍ على خروج النساء.

وما أحسن ما قاله الشريف العلّامة أبو بكر بن شهاب الدين في هذا المقام في رشفته[٥]:

دعوا كلّ قول غير قول محمّدٍ — فعند بزوغِ الشمسِ ينطمسُ النجمُ

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦.

٢. راجع: تفسير البيضاوي ٣: ٣٨٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣ (الجزء ٢١٥): ٢١٠؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣: ٤٩٤، ذيل الآية؛ جلاء الأفهام: ١٦٥.

٣. راجع ص ٣ ـ ٦.

٤. النجم (٥٣): ٣ و ٤.

٥. رشفة الصادي: ٢٤.

## تنبيهان

**أحـدهما**: أنّ الآية دلّت على عصمة أهلها؛ لأنّ «الرجس» فيها عبارة عـن الذنوب، كما في الكشّاف وغيره[١].

وقد تصدّرت بأداة الحصر وهي «إنّما» فأفادت أنّ إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم، وتطهيرهم منها ومـن غـيرها، وهـذا كـنه العصمة وحقيقتها.

**الثاني**: أنّها دلّت بالالتزام على إمامة أميرالمـؤمنين؛ لأنّـه ادّعـى الخـلافة لنفسه، وادّعاها له الحسنان وفـاطمة ولا يكـونون كـاذبين؛ لأنّ الكـذب مـن الرجس الذي أذهبه الله عنهم وطهّرهم منه تطهيراً(١).

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

(١) والتفصيل في سبيل المؤمنين، فإنّ هذه المقالة مقتبسة منه.

١. الكشّاف ٣: ٥٣٨، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣). وراجع أيضاً: البحر المحيط ٧: ٢٢٤؛ روح المعاني ٢٢: ١٢، ذيل الآية.

( ١٥ )

# الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة

# الصلاة على أهل البيت عليهم السلام فريضة*

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَبِيِّ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه(١) عن ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أُهدي لك هديّة سمعتها من النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقلت: بلى، قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإنّ الله قد علّمنا كيف نسلّم؟ قال: «قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهمَّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد». الحديث.

وأخرجه البخاري من طريق آخر عن كعب بن عجرة أيضاً في باب هذه الآية

---

(١) في صفحة ١٥٣ من الجزء الثاني طبع سنة ١٣٠٩[2].

---

*. طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٥، الجزء ٧، رمضان ١٣٣٢.

١. الأحزاب (٣٣): ٥٦.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٢٣٣، ح ٣٠١٩٠. ذكره في كتاب الأنبياء.

من كتاب تفسير القرآن من صحيحه(١).

ورواه مسلم في باب الصلاة على النبيّ ﷺ بعد التشهّد من الجزء الأوّل من صحيحه[1] بطرق مختلفة عن كعب بن عجرة، وأخرجه عن أبي مسعود الأنصاري.

ونقله أحمد بن حنبل في مسنده من حديث ابن عجرة(٢) وغيره[2].

وهو موجود في الجمع بين الصحيحين[3]، وفي الجمع بين الصحاح الستّة، وغيرهما من كتب الحديث[4].

وقال ابن حجر في تفسير هذه الآية من صواعقه(٣) ما هذا عين لفظه:

صحّ عن كعب بن عجرة قال: لمّا نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله، قد علمنا

---

(١) وأخرج نحوه في ذلك الباب أيضاً عن أبي سعيد الخدري[5].

(٢) في صفحة ٢٤٤ من الجزء الرابع من المسند[6].

(٣) فراجع الآية الثانية من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه[7].

---

١. صحيح مسلم ١: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، كتاب الصلاة، ح ٦٥ ـ ٧٠.

٢. راجع مسند أحمد ٤: ٩٤، ح ١١٤٣٣؛ ٨: ٣١٧ ـ ٣١٨، ح ٢٢٤١٥. ورواه عن أبي سعيد الخدري وأبي مسعود الأنصاري بتفاوت يسير في الألفاظ.

٣. الجمع بين الصحيحين للحميدي ١: ٥٦٣، ح ٩٣٧.

٤. راجع: سنن أبي داود ١: ٢٥٧، ح ٩٧٨؛ سنن ابن ماجة ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ح ٩٠٣ ـ ٩٠٦؛ الجامع الصحيح ٢: ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ح ٤٨٣؛ سنن النسائي ٣: ٤٦، ح ١٢٨١ ـ ١٢٨٩؛ المعجم الكبير ١٩: ١٢٥، ح ٢٦٧، و ١٣٠ ـ ١٣٢، ح ٢٨٤ ـ ٢٩١؛ المستدرك على الصحيحين ١: ٥٥٣، ح ١٠٢٦؛ ٤: ١٢٨ ـ ١٢٩، ح ٤٧٦٤.

٥. صحيح البخاري ٤: ١٨٠٢، ح ٤٥١٩. ورواه أيضاً في ٤: ٢٢٣٨، ح ٥٩٩٦.

٦. مسند أحمد ٦: ٣٢٥، ح ١٨١٥٦.

٧. الصواعق المحرقة: ١٤٦، الباب ١١، الفصل ١.

كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد». إلى آخره.

ـ قال ـ وفي رواية للحاكم⁽¹⁾[1] فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد». إلى آخره[2].

ـ قال: ـ فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد إلى آخره، دليلٌ ظاهرٌ على أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقيّة آله مراد من هذه الآية، وإلّا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلمّا أُجيبوا به دلّ على أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه؛ لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم.

ـ قال: ـ ومن ثمّ لمّا أدخل من مرّ في الكساء قال: «اللهمّ إنّهم منّي وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم»[3].

ـ قال: ـ وقضيّة استجابة هذا الدعاء أنّ الله صلّى عليهم معه، فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه.

ـ قال: ـ ويروى: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء» فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون: اللهمّ صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»[4].

---

(١) وللبخاري أيضاً في كتاب بدء الخلق من صحيحه، كما سمعت، فراجع الحديث الأوّل من مقالتنا هذه.

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٨ ـ ١٢٩، ح ٤٧٦٤.

٢. من كلامه «وفي رواية للحاكم...» إلى هنا حذف من الطبعة الحديثة من الصواعق، ولكنّه موجود بعينه في ص ٨٩ من الطبعة القديمة.

٣. راجع المناقب للخوارزمي: ٦٣، ح ٣٢. وانظر أيضاً كنز العمّال ١٢: ١٠١، ح ٣٤١٨٦.

٤. ينابيع المودّة ١: ٣٧، ح ١٤ من خطبة الكتاب؛ و٢: ٤٣٤، الباب ٥٩، ح ١٩٦.

هذا كلامه لَتأمّله وقل لي: كيف يمكن بعد هذا أن تكون الصلاة عليهم بانفرادهم مكروهة شرعاً(١)، أو أنّها من بدع الروافض؟

وهل تلتمس دليلاً أقوى من كون الأمر بالصلاة عليهم مراداً من هذه الآية، وأنّه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه.

على أنّ القياس جواز الصلاة على كلّ مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[٢] وقوله عزّ من قائل: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[٣] وقوله ﷺ: «اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى»[٤].

ثمّ إذا كانت الصلاة البتراء منهيّاً عنها ـ كما سمعت ـ فلِما يتّخذها البعض شعاراً في الصلاة عليه ﷺ؟ ألا ترى أنّهم إذا أرادوا الصلاة عليه ـ لفظاً أو خطّاً ـ قالوا: صلّى الله عليه وسلّم، وهذه كتبهم مشحونة من هذه الصلاة البتراء، ولعلّ ذلك عن ذهول، والله الهادي إلى سواء السبيل.

**تنبيه**

**أهل البيت** و**آل محمّد** هنا إنّما هم أصحاب الكساء والأئمّة من أبنائهم عليهم السلام

---

(١) أفتى بالكراهة جماعة، منهم الزمخشري في تفسير الآية من كشّافه[٥].

---

١. الأحزاب (٣٣): ٤٣.

٢. التوبة (٩): ١٠٣.

٣. البقرة (٢): ١٥٧.

٤. السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٢٦٤، ح ٧٦٥٧؛ الجمع بين الصحيحين للحميدي ١: ٥٠٦، ح ٨٢٠؛ جلاء الأفهام: ١٦٠.

٥. الكشّاف ٣: ٥٥٧، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

بحكم صحاحنا المتضافرة من طريق العترة الطاهرة[١].

ويدلّ على ذلك مضافاً إليها ما نقلنا في آية إذهاب الرجس عنهم من حصر النبيّ صلى الله عليه وآله أهل بيته فيهم، وجذْبه الكساء من أُمّ سلمة إذ همَّت أن تدخل معهم.

والقول بأنّ أهل البيت مطلق مَن تحرم عليهم الصدقة[٢]، مردودٌ بما ذكرناه في تفسير تلك الآية، فراجع(١).

## تكميل

الصلاة عليهم فريضة؛ لقوله تعالى: ﴿صَلّوا عَلَيْهِ﴾[٣] وقول النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسيرها: «قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»[٤]. إلى آخره.

والأمر للوجوب، وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله كلّما ذكر، وهو الأفضل، بل الأحوط وإن لم يدلّ عليه دليل. ومنهم من أوجبها في العمر مرّة[٥]. وعندنا تجب الصلاة

---

(١) صفحة ١٢٩ وما بعدها إلى صفحة ١٣٣ من هذا المجلّد[٦].

---

١. للمزيد راجع نور الثقلين ٤: ٢٧٠ ـ ٢٧٧، ح ٨٤ ـ ١٠٩.

٢. حكاه الثعلبي في تفسيره والظاهر أنّه مال إليه. للمزيد راجع: الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ الشرف المؤبّد لآل محمّد: ١٨، المقصد ١؛ نور الأبصار: ٢٢٣؛ جلاء الأفهام: ١٦٤ ـ ١٦٥.

٣ و٤. تقدّما في بداية الرسالة.

٥. راجع: الأمّ للشافعي ٤: ٣٦٧ ـ ٣٦٨؛ الكشّاف ٣: ٥٥٧ ـ ٥٥٨، ذيل الآية ٤٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ المحلّى ٤: ١٣٤ ـ ١٣٨، المسألة ٤٨٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٤٤؛ المجموع ٣: ٤٦٥؛ روح المعاني ٢٢: ٨١ و٨٥، ذيل الآية؛ جلاء الأفهام: ٢٥١ ـ ٢٧٦.

٦. راجع مجلّة العرفان ج ٥، الجزء ٤، وهذا الجزء من الموسوعة، رسالة «عصمة أهل البيت عليهم السلام بنصّ الكتاب»، الرقم ١٤.

عليه و [على] آله في جميع تشهّدات الفرائض[١].

وعلى هذا فتجب الصلاة عليه و [على] آله كلّ يوم وليلة تسع مرّات، بل لا يصحّ التشهّد في الصلوات إلّا بالصلاة عليهم، ووافقنا الإمام الشافعي في ذلك بالجملة، كما هو معلوم من مذهبه، ولذا قال في مدحهم عليهم السلام:

كفاكم من عظيم الفضل أنّكم    مَن لم يصلِّ عليكم لا صلاة له[٢]

قال ابن حجر بعد نقله لهذا القول عن الشافعي(١) ما هذا لفظه:

فكان القول بوجوبها ... هو الموافق لصريح السنّة، ولقواعد الأُصوليّين.

ـ قال: ـ ويدلّ عليه أيضاً أحاديث صحيحة كثيرة استوعبتها في شرحي الإرشاد والعباب، مع بيان الردّ الواضح على مَن شنّع على الشافعي، وبيان أنّ الشافعي لم يشذّ، بل قال به قبله جماعة من الصحابة كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبي مسعود البدري وغيرهم، والتابعين كالشعبي والباقر عليه السلام، وغيرهم كإسحاق بن راهويه وأحمد، بل لمالك قول موافق للشافعي، رجّحه جماعة من أصحابه، بل قال شيخ الإسلام خاتمة الحفّاظ ابن حجر [العسقلاني[٣]]: لم أرَ عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلّا ما نقل عن إبراهيم النخعي، مع إشعاره بأنّ غيره كان قائلاً بالوجوب. انتهى.

---

(١) في تفسير هذه الآية من الصواعق[٤].

---

١. راجع جواهر الكلام ١٠: ٤٣٦ ـ ٤٥٤.

٢. ديوان الإمام الشافعي: ١١٧. وحكي عنه أيضاً في الصواعق المحرقة: ١٤٨، الباب ١١، الفصل ١؛ نور الأبصار: ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٣٤، الباب ٥٧، ح ٩٧؛ رشفة الصادي: ٧١.

٣. إضافة من المؤلّف شرف الدين رحمه الله.

٤. الصواعق المحرقة: ١٤٧، الباب ١١، الفصل ١.

ـ قال: ـ فزعمُ أنّ الشافعي شذّ وأنّه خالف في ذلك فقهاء الأمصار، مجرّدُ دعوى باطلة لا يلتفت إليها، ومن ثمّ قال ابن القيّم: أجمعوا على مشروعيّة الصلاة عليه ﷺ في التشهّد، وإنّما اختلفوا في الوجوب والاستحباب، ففي تمسّك مَن لم يوجبها بعمل السلف نظرٌ؛ لأنّهم كانوا يأتون بها في صلاتهم، فإن أُريد بعملهم اعتقادهم احتاج إلى نقلٍ صريحٍ عنهم بعدم الوجوب، وأنّى يوجد ذلك[1]. انتهى.

**قلت**: والعمدة في الاستدلال على الوجوب عندنا حديث أهل البيت وإجماع أئمّتهم على ذلك[2].

ولنختم الكلام بحديث أخرجه الديلمي ـ كما في الصواعق وغيرها ـ بالإسناد إلى النبيّ ﷺ قال: «الدعاء محجوب حتّى يصلّى على محمّد وأهل بيته»[3].

اللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته، واهدنا بهم هدى المهتدين، ولا تجعلنا من الجاهلين الضالّين آمين.

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

---

١. الصواعق المحرقة: ١٤٨، الباب ١١، الفصل ١. وراجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٣٤، الباب ٥٩، ح ١٩٧.

٢. راجع جواهر الكلام ١٠: ٤٣٦ ـ ٤٥٤.

٣. رواه أيضاً ابن حبّان في المجروحين ١: ١١٣، والسيوطي في الجامع الصغير ١: ٢٥٩، ح ٤٢٦٦؛ والمتّقي الهندي في كنز العمّال ٢: ٧٨، ح ٣٢١٥.

(١٦)

# ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام بنصّ الكتاب

# ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام بنصّ الكتاب*

قال الله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزكوٰةَ وَهُمْ راكِعُونَ ❊ وَمَنْ يَتَوَلَّ(١) اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1].

أجمع المفسّرون على نزولها في أميرالمؤمنين إذ تصدّق راكعاً في الصلاة بخاتمه، كما نصّ عليه العلّامة القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد[2]، وهو من أئمّة المتكلّمين على مذهب الأشاعرة.

(١) من هنا أُطلق في عرف سوريا لفظ «المتوالي» على الإمامي؛ لأنّه يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا.

وفي أقرب الموارد[3]: المتوالي واحد المتأوّلة وهم الشيعة، سمّوا به؛ لأنّهم تولّوا عليّاً وأهل البيت. انتهى.

* . طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٥، الجزء ٥، جمادى الأُولى ١٣٣٢.

١. المائدة (٥): ٥٥ ـ ٥٦.

٢. شرح التجريد للقوشجي: ٣٦٨، المقصد الخامس في الإمامة.

٣. أقرب الموارد ٢: ١٤٨٧، «و. ل. ي».

وأخرجه النسائي في صحيحه[١] عن ابن سلام، وهو موجود في تفسير سورة المائدة من الجمع بين الصحاح الستّة أيضاً.

وفي الباب ١٨ من غاية المرام[٢] ٢٤ حديثاً من طريق أهل السنّة بهذا المضمون.

ولولا مراعاة الاختصار وكون المسألة كالشمس في رائعة النهار، لأستوفينا ما جاء فيها من صحيح الأخبار، لكنّها ـ والحمد لله ـ ممّا لا ريب فيه.

ومع ذلك لا ندع هذه الرسالة خالية ممّا جاء من حديث السنّة فيها، ولنقتصر من ذلك على ما في تفسير الإمام أبي إسحاق الثعلبي النيسابوري(١)، فنقول:

أخرج عند بلوغه إلى هذه الآية من سورة المائدة في تفسيره الكبير[٣] بالإسناد إلى أبي ذرّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين وإلّا صُمّتا، ورأيته بهاتين وإلّا عميتا، يقول: «عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً وكان عليّ راكعاً، فأومى بخنصره إليه وكان يتختّم فيها، فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره، فتضرّع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله عزّ وجلّ

---

(١) المتوفّى سنة ٤٢٧، وقد ذكره ابن خلّكان في وفياته[٤] فقال فيه:

كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير ـ إلى أن قال: ـ وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق [تاريخ] نيسابور وأثنى عليه وقال: هو صحيح النقل، موثوق به... إلى آخره.

---

١. لم نعثر عليه في سننه ولا في خصائصه.

٢. غاية المرام ٢: ٥ ـ ١٤، الباب ١٧ من المقصد الأوّل.

٣. الكشف والبيان ٤: ٨٠ ـ ٨١، ذيل الآية بتفاوت في بعض الألفاظ.

٤. وفيات الأعيان ١: ٧٩ ـ ٨٠، الرقم ٣١.

فقال: «اللهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي * اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَاشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1] فأنزلت عليه: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً﴾[2] اللهمّ وأنا محمّد عبدك ونبيّك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً، اشدد به ظهري».

قال أبو ذرّ رضي الله عنه: فوالله ما استتمّ رسول الله الكلمة حتّى هبط جبرائيل عليه السلام بهذه الآية[3].

## وجه الاستدلال بها

الاستدلال بها على إمامة أميرالمؤمنين ـ بعد العلم بنزولها فيه ـ واضح؛ لأنّ «الوليّ» هنا إنّما هو الأولى بالتصرّف، كما في قولنا: فلان وليّ القاصر مثلاً، وقد صرّح اللغويّون(١) بأنّ «الوليّ» حقيقة في ذلك.

ولو أُريد من «الوليّ» المحبّ أو القاصر لا يبقى لهذا الحصر معنى، كما لا يخفى.

---

(١) ففي مادّة «وليّ» من مختار الصحاح[4] وأقرب الموارد[5] وغيرهما[6] أنّ كلّ مَن ولي أمر واحد فهو وليّه، فيكون معنى الآية: إنّما يلي أُموركم الله ورسوله وعليّ، كما تقول: إنّما يلي أُمور القاصر أبوه ووصيّ أبيه والحاكم. ←

---

١. طه (٢٠): ٢٥ ـ ٣٢.

٢. القصص (٢٨): ٣٤.

٣. أي آية الولاية سورة المائدة (٥): ٥٥ ـ ٥٦.

٤. مختار الصحاح: ٧٣٦، «و. ل. ي».

٥. أقرب الموارد ٢: ١٤٨٧، «و. ل. ي».

٦. راجع لسان العرب ١٥: ٤١٠؛ الصحاح ٤: ٢٥٢٩، «و. ل. ي».

وقد أثبت الله سبحانه الولاية لنفسه ولنبيّه ولوليّه على نسقٍ واحد، وولاية الله تعالى عامّة فكذلك ولاية النبيّ والوليّ، وهذا ملحق بالواضحات، والحمد لله.

**فإن قلت**: كيف أطلق لفظ الجماعة وهو ﴿**الَّذين آمَنُوا**﴾ على أميرالمؤمنين وهو مفرد؟

**قلنا**: أهل اللغة يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد؛ لنكتةٍ لا تحصل إلّا بذلك، قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيْماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل**﴾[1] وإنّما كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي وحده(1) بالاتّفاق، فأطلق عليه لفظ «الناس» وهي

← ويمكن أن يكون «الوليّ» مشتقّاً من الولاية بالكسر، وهي ـ كما في القاموس وغيره[2] ـ بمعنى الإمارة والسلطان، فيكون معنى «الوليّ» ذات تلبّست بالإمارة والسلطان، كما هو الشأن في المشتقّات. وقد أوضحنا ذلك في سبيل المؤمنين[3].

(١) كان أبوسفيان أعطى نعيم بن مسعود عشراً من الإبل على أن يثبط المسلمين ويخوّفهم من المشركين، ففعل، وكان ممّا قال لهم: ﴿إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[4] فكره المسلمون الخروج، وخرج النبيّ ﷺ في سبعين راكباً، ورجعوا سالمين، فنزلت الآية ثناءً عليهم[5]. ←

١. آل عمران (٣): ١٧٣.

٢. القاموس المحيط ٤: ٥٨٣، «و. ل. ي». وراجع أيضاً النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، «و. ل. ي».

٣. من كتبه المفقودة. وللمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

٤. آل عمران (٣): ١٧٣.

٥. للمزيد راجع: تاريخ الطبري ٢: ٥٦٠، حوادث سنة ٤؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٥٩.

الجماعة؛ مبالغةً منه تعالى في الثناء على الذين لم يصغوا إليه ولم يعبأوا بإرجافه، وهذا أكبر شاهدٍ على جواز إطلاق لفظ الجماعة على المفرد إذا اقتضته؛ لنكتةٍ لا تحصل إلّا به.

وقد ذكر صاحب مجمع البيان[١] أنّ النكتة في إطلاق لفظ الجمع على أميرالمؤمنين تفخيمه وتعظيمه، وذلك أنّ أهل اللغة يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، قال: وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه.

وذكر صاحب الكشّاف نكتةً أُخرى حيث قال:

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعليّ ﷺ واللفظ لفظ جماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً؛ ليرغّب الناس في مثل فعله، فينالوا مثل نواله، وليُنبّه على أنّ سجيّة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان، وتفقّد الفقراء، حتّى إن لزّهم أمرٌ لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخّروه إلى الفراغ منها[٢]. انتهى.

---

← وفي إطلاق لفظ الجمع هنا على المفرد نكتةٌ شريفة، ضرورة أنّه يكون الثناء على المؤمنين بسبب لفظ الجمع أبلغ ممّا لو قال الذين قال لهم رجل: ﴿إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ كما لا يخفى.

وقد ذكرنا في سبيل المؤمنين جملة من الموارد التي أُطلق فيها لفظ الجمع على المفرد، وتكلّمنا في نكاتها البيانيّة بما لم يسبقنا إليه أحد.

---

١. مجمع البيان ٢: ٢١١، ذيل الآية ٥٥ من سورة المائدة (٥).

٢. الكشّاف ١: ٦٤٩، ذيل الآية.

وعندي في ذلك نكتةٌ ألطف وأدقّ، وهي أنّه أتى بعبارة الجمع دون عبارة المفرد؛ بقياً منه على كثيرٍ من الناس، فإنّ شانئي بني هاشم، وأعداء عليّ، وبقيّة المنافقين، وأهل الحسد والتنافس، لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد؛ إذ لا يبقى لهم حينئذٍ مطمع في الإيهام، ولا ملتمس في التمويه على الناس، فيكون منهم حينئذٍ على الإسلام ما تخشى عواقبه، فجاءت الآية على وجه يتأتّى فيها تمويه المبطلين؛ إشفاقاً من مكرهم.

ثمّ كانت النصوص بعدها تترى بعبارات مختلفة، وبثّ فيهم أمر الولاية تدريجاً، حتّى استيقنتها أنفهسم؛ جرياً منه في ذلك على عادة الحكماء في تبليغ الناس ما يشقّ عليهم. ولو كانت الآية بالعبارة المختصّة بالمفرد لجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكباراً.

وقد أوضحنا هذه الجملة، وأقمنا عليها الشواهد القاطعة في كتابينا سبيل المؤمنين و تنزيل الآيات[1]، والحمد لله على الهداية والتوفيق.

## فصل: في سياق الآية

قيل[2]:

> إنّ الآية جاءت في سياق النهي عن اتّخاذ الكفّار أولياء، وذلك قرينة على أنّ المراد من الولاية فيها إنّما هو «النصرة» أو «المحبّة» طرداً للكلام على نسقٍ واحد.

١. من كتبه المفقودة. وللمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦ و٨؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ و ٦ من نفائسه المفقودة.

٢. قال به الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٦ (الجزء ١١): ٣٠، ذيل الآية ٥٥ من سورة المائدة (٥).

والجواب من وجهين:

**الأوّل**: أنّ الآية بحكم المشاهدة مفصولةٌ عن الآيات الناهية عن اتّخاذ الكفّار أولياء، خارجةٌ عن نظمها إلى سياق الثناء على أميرالمؤمنين وترشيحه للزعامة، بتهديد المرتدّين ببأسه، ووعيدهم بسطوته.

وذلك لأنّ الآية التي قبلها بلا فصل وهي: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[١] منذرة ببأس أميرالمؤمنين وأصحابه، كما نصّ عليه عليّ يوم الجمل[٢]، وصرّح به الباقر والصادق[٣]، وذكره الثعلبي في تفسيره[٤]، ورواه صاحب مجمع البيان[٥] عن عمّار وحذيفة وابن عبّاس، وعليه إجماع الشيعة.

فتكون آية الولاية على هذا واردة بعد الإيماء إلى إمامته، والإشارة إلى ولايته، ويكون النصّ فيها توضيحاً لتلك الإشارة، وشرحاً لما سبق من الإيماء إليه بالإمارة، فكيف يقال بعد هذا: إنّ الآية واردة في سياق النهي عن اتّخاذ الكافرين أولياء؟!

**الثاني**: أنّ المسلمين بأسرهم متّفقون على ترجيح الأدلّة على السياق، بمعنى أنّه إذا حصل التعارض في مفاد الآية بين السياق والدليل تركوا فحوى

---

١. المائدة (٥): ٥٤.

٢. حيث قال يوم البصرة: «والله، ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم» وتلا هذه الآية. وللمزيد راجع: التبيان ٣: ٥٤٦؛ مجمع البيان ٣: ٢٠٨، ذيل الآية؛ فقه القرآن للراوندي ١: ٣٧٠؛ البرهان ٢: ٣١٥، ح ٣١٥٨.

٣. رواه عنهما ﷺ الشيخ الطوسي في التبيان ٣: ٥٤٦، والطبرسي في مجمع البيان ٣: ٢٠٨، ذيل الآية.

٤. لم نعثر عليه في تفسيره.

٥. مجمع البيان ٣: ٢٠٨، ذيل الآية.

السياق واستسلموا لحكم الدليل، وكأنّ السرّ فيه عدم الوثوق حينئذٍ بنزول الآية في ذلك السياق؛ ضرورة أنّه لم يكن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع موافقاً لترتيبه في النزول، كما سمعت في آية المودّة في القربى[١].

وفي التنزيل كثير من الآيات الواردة على خلاف ما يعطيه سياقها، كآية التطهير المنتظمة في سياق النساء مع اختصاصها بأهل الكساء.

وبالجملة، فإنّ حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مضرٍّ بالبلاغة، ولا مخلٍّ بالإعجاز، فلا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلّة عليه.

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

---

١. راجع هذا الجزء من الموسوعة، الرسالة ١٤، مودّة أهل البيت، ص ٢.

(١٧)

# بيّنة الوحي

## وشهادتها بأنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة

# بيّنة الوحي وشهادتها
# بأنّ عليّاً عليه السلام وشيعته خير البريّة*

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[1].

أجمع أهل البيت وأولياؤهم على أنّ عليّاً وشيعته خير البريّة، وفيهم نزلت هاتان الآيتان من سورة البيّنة، كما دلّت عليه الأخبار المتضافرة من طريق العترة الطاهرة[2].

أخرج الشيخ في أماليه[3] بالإسناد إلى جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه عليٌّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاكم أخي» ثمّ ضرب الكعبة بيده فقال: «والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، وإنّه لأوّلكم إيماناً،

*. طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٥، الجزء ٦، جمادى الآخرة ١٣٣٢.

١. البيّنة (٩٨): ٧ ـ ٨.

٢. للمزيد راجع نور الثقلين ٥: ٦٤٤ ـ ٦٤٦، ح ١٠ ـ ٢١.

٣. الأمالي للطوسي: ٢٥١ ـ ٢٥٢، المجلس ٩، ح ٤٠. وللمزيد راجع أيضاً المصدر: ٤٠٥ ـ ٤٠٦، المجلس ١٤، ح ٥٧.

وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة، وأعظمكم عند الله مزيّة» قال فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ قال: فكان أصحاب محمّد ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة(١).

والأخبار في ذلك مستفيضة[١]، كما يشهد به الواقفون على سبيل المؤمنين[٢].

---

(١) وأخرج محمّد بن العبّاس بن عليّ بن الماهيار[٣] في كتابه المشتمل على ما نزل من القرآن في أهل البيت بالإسناد إلى أبي رافع أنّ عليّاً عليه السلام قال لأهل الشورى: «أُنشدكم بالله هل تذكرون يوم أتيتكم وأنتم جلوس ـ عند الكعبة ـ مع رسول الله ﷺ فقال: هذا أخي قد أتاكم، ثمّ التفت إلى الكعبة وقال: وربّ الكعبة المبنيّة، إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ أقبل عليكم فقال: أما إنّه أوّلكم إيماناً، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأقضاكم بحكم الله، وأعدلكم في الرعيّة، وأعظمكم عند الله مزيّة، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ فكبّر رسول الله ﷺ وكبّرتم بأجمعكم، فهل تعلمون ذلك؟» قالوا: اللهمّ نعم[٤].

وفي كتابنا سبيل المؤمنين طرق لهذا الحديث كثيرة.

---

١. للمزيد راجع: شواهد التنزيل ٢: ٣٥٦ ـ ٣٦٦، ح ١١٢٥ ـ ١١٤٨؛ المناقب للخوارزمي: ١١١ ـ ١١٢، ح ١٢٠؛ فرائد السمطين ١: ١٥٤ ـ ١٥٦، ح ١١٦ ـ ١١٨.

٢. من كتبه المفقودة. وللمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦؛ وج ٥، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

٣. قال النجاشي: محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان بن الماهيار، أبوعبدالله البزّاز، المعروف بابن الحُجام، ثقة ثقة، من أصحابنا، عين، سديد، كثير الحديث. له كتاب المقنع في الفقه، كتاب الدواجن، كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام. راجع رجال النجاشي: ٣٧٩، الرقم ١٠٣٠.

٤. حكاه عنه المجلسي في بحار الأنوار ٣٥: ٣٤٦، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ١٣، ح ٢١ بتفاوت يسير.

فلا يسعنا الاستقصاء في هذه العجالة، ولكنّا نورد طرفاً ممّا جاء في ذلك من حديث غيرنا؛ إتماماً للحجّة، وجرياً على عادتنا في مثل المقام، فنقول:

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي[١] ـ كما في تفسير هذه الآية من الصواعق المحرقة لابن حجر(١) ـ عن ابن عبّاس: أنّ هذه الآية لمّا نزلت قال صلى الله عليه وآله لعليٍّ: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غِضَاباً مقمحين».

وفي شواهد التنزيل[٢] للحاكم عن مقاتل بن سليمان، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: نزلت في عليّ وأهل بيته. انتهى.

وعدّها ابن حجر في الآيات النازلة فيهم عليهم السلام، ودونك الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[٣].

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل[٤] بالإسناد إلى عليّ عليه السلام، قال: «قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال: يا عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى:

---

(١) وهي الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[٥].

---

١. حكاه عنه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٧، الباب ٥٨، ح ٢١، و ٤٥٢، الباب ٥٩، ح ٢٥٤.

٢. شواهد التنزيل ٢: ٣٦٦، ح ١١٤٦.

٣. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

٤. شواهد التنزيل ٢: ٣٥٦، ح ١١٢٥.

٥. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[١] هم شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، يدعون غرّاً محجّلين».

## فصل [في بشائر السنّة للشيعة]

يليق بهذا المقام أن نستطرد فيه لمعة من بشائر السنّة للشيعة.

أخرج ابن سعد ـ كما في تفسير الآية الثامنة من الصواعق[٢] ـ عن عليّ عليه السلام قال: «أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ أوّل مَن يدخل الجنّة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول الله فمحبّونا؟ قال: مِن ورائكم».

وأخرج الديلمي[٣] مرفوعاً ـ كما في تفسير الآية الثامنة من الصواعق(١) ـ «إنّما سمّيت ابنتي فاطمة؛ لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار».

وأخرج النسائي(٢): «إنّ ابنتي فاطمة حوراء آدميّة لم تحض ولم تطمث، إنّما سمّاها فاطمة؛ لأنّ الله فطمها ومحبّيها عن النار»[٤].

---

(١) في صفحة ٩٤ من نسخ الصواعق[٥] المطبوعة سنة ١٣٠٧ وفي هامشها تطهير الجنان.

(٢) كما في تفسير الآية العاشرة من الصواعق[٦] في صفحة ٩٨.

---

١. البيّنة (٩٨): ٧.

٢. الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١. وروي عن أبي سعيد في ذخائر العقبى: ١٢٣، وينابيع المودّة ٢: ٢٠٢، الباب ٥٦، ح ٥٨٣.

٣. حكاه عنه أيضاً المتّقي الهندي في كنز العمّال ١٢: ١٠٩، ح ٣٤٢٢٧.

٤. حكاه عنه محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٢٦، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٦٠، الباب ١١، الفصل ١. ورواه القندوزي عن الغسّاني في ينابيع المودّة ٢: ١٢١، ح ٣٥٤، و ٤٥٠، ح ٢٤٣.

٥. الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١.

٦. المصدر: ١٦٠، الباب ١١، الفصل ١.

وأخرج الثعلبي في تفسيره[١]: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً». الحديث.

وقد أرسله الزمخشري في تفسير آية المودّة في القربى من كشّافه[٢] إرسال المسلّمات، وخلق كثير[٣].

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب[٤] ـ كما في تفسير الآية العاشرة

١. الكشف والبيان ٨: ٣١٤، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. الكشّاف ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١، ذيل الآية.

٣. راجع: التفسير الكبير ١٤ (الجزء ٢٧): ١٦٦ ـ ١٦٧، ذيل الآية؛ بشارة المصطفى: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، الجزء ٦، ح ٣؛ فرائد السمطين ٢: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ح ٥٢٤؛ ينابيع المودّة ١: ٩٠ ـ ٩١، الباب ٣، ح ٤٤؛ و٢: ٣٣٢ ـ ٣٣٣، الباب ٥٦، ح ٩٧٢؛ رشفة الصادي: ٩٠.

٤. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٢٤، ح ١٠٦٨. ونصّ الحديث فيه هكذا:... «أما ترضى أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرارينا خلف أزواجنا، وشيعتنا من ورائنا».

من الصواعق[١] ـ أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: «أما ترضى أنّك معي في الجنّة والحسن والحسين ـ إلى أن قال: ـ وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

وأخرج أبو بكر الخوارزمي[٢] ـ كما في أواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها ابن حجر في آية المودّة في القربى من صواعقه[٣] ـ: أنّ النبيّ ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر، فسأله عبد الرحمن بن عوف، فقال ﷺ: «بشارة أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي وابنتي بأنّ الله تعالى زوّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً ـ يعني صكاكاً[٤] ـ بعدد محبّي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور، دفع إلى كلّ ملك صكّاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلّا دفعت إليه صكّاً فيه فكاكه من النار، بأخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النار». انتهى.

وأخرج أبو موسى عن سنان بن شفعلة الأوسي الصحابي عن رسول الله ﷺ نحوه، فراجع ترجمة سنان المذكور في إصابة العسقلاني[٥].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١. وحكاه محبّ الدين الطبري أيضاً في ذخائر العقبى: ٩٠.

٢. المناقب للخوارزمي: ٣٤١، ح ٣٦١. وللمزيد راجع أيضاً: تاريخ بغداد ٤: ٢١٠، الرقم ١٨٩٧؛ أُسد الغابة ١: ٣٠٥، الرقم ٤٩٢.

٣. الصواعق المحرقة: ١٧٣، الباب ١١، الفصل ١. وراجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٦٦، الباب ٥٥، ح ٥٤.

٤. الصكاك هي جمع صكّ وهو الكتاب. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٣، «ص. ك. ك».

٥. الإصابة ٢: ١٥٧، الرقم ٣٥١٦.

وأخرج أحمد والترمذي[١] ـ كما في تفسير الآية الثامنة من الصواعق[٢] ـ: أنّه صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسنين وقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

وأخرج أحمد بن حنبل[٣] ـ كما في أوائل المقصد الثالث من المقاصد التي ذكرها ابن حجر في آية المودّة في القربى من صواعقه[٤] ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أُعطيت في عليّ خمساً هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة فهو بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ حتّى يفرغ من الحساب. وأمّا الثانية فلواء الحمد بيده، آدم ومن ولده تحته. وأمّا الثالثة فواقف على حوض يسقي من عرف من أُمّتي». الحديث.

وأخرج أحمد في المناقب[٥] ـ كما في أواخر الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق[٦] ـ عن عليّ عليه السلام قال: «طلبني النبيّ صلى الله عليه وآله فوجدني في حائط، فقال: قم، والله لأرضينّك، أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنّتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنّة[٧]، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات يحبّك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت».

---

١. فضائل الصحابة ٢: ٦٩٣ ـ ٦٩٤، ح ١١٨٥؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٤١، ح ٣٧٣٣. وراجع أيضاً كنز العمّال ١٢: ٩٧، ح ٣٤١٦١.

٢. الصواعق المحرقة: ١٥٣ و ١٧٣، الباب ١١، الفصل ١.

٣. فضائل الصحابة ٢: ٦٦١، ح ١١٢٧.

٤. الصواعق المحرقة: ١٧٤، الباب ١١، الفصل ١.

٥. فضائل الصحابة ٢: ٦٥٦، ح ١١١٨.

٦. الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩، الفصل ٢.

٧. كذا في الصواعق ولكن في فضائل الصحابة: «كنز الله».

وأخرج الديلمي(١): «يا علـيّ إنّ الله غـفر لك ولذرّيّـتك ولولدك ولأهـلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، فأبشر فإنّك الأنزع البطين».

وأخرج الطبراني[1] ـ كما في تفسير الآية العاشرة من الصواعق[2] ـ أنّه ﷺ قال لعليّ: «أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين ـ إلى أن قال: ـ وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

وأخرج الطبراني[3] ـ كما في تفسير الآية الثامنة من الصواعق[4] ـ أنّ عليّاً أُتي يوم البصرة بذهبٍ وفضّةٍ فقال: «أبيضاء وصفراء، غرّي غيري، غرّي أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك». فشقّ قوله ذلك على الناس، فذُكر ذلك له فأذن للناس فدخلوا عليه، فقال: «إنّ خليلي ﷺ قال: يا عليّ، إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيّين، ويقدم عليك عدوّك غضاباً مقمحين».

قال: ثمّ جمع عليّ يديه يريهم الإقماح.

والأخبار في هذا لا تحصى، وفي هذا كفاية، فالحمد لله على التوفيق للولاية.

---

(١) كما في تفسير الآية العاشرة من الصواعق المحرقة[5] لابن حجر.

---

١. المعجم الكبير ١: ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ٩٥٠.

٢. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

٣. حكاه عنه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة ٢: ٤٤٥، الباب ٥٩، ح ٢٢٦.

٤. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١.

٥. الصواعق المحرقة: ١٦١، الباب ١١، الفصل ١. وحكاه عنه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٦ ـ ٣٥٧، الباب ٥٨، ح ١٩. رواه أيضاً ابن المغازلي في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٣١٦ ـ ٣١٧، ح ٤٥٦، والخوارزمي في مناقبه: ٢٩٤، الرقم ٢٨٤، والحمويني في فرائد السمطين ١: ٣٠٨، ح ٢٤٧.

**تنبيه**

لا يخفى أنّ شيعة عليّ وأهل البيت إنّما هم أتباعهم في الدين، وأشياعهم من المسلمين. ونحن ـ والحمد لله ـ قد انقطعنا إليهم في فروع الدين وعقائده، وأُصول الفقه وقواعده، وعلوم السنّة والكتاب، وفنون الأخلاق والسلوك والآداب، إقراراً بإمامتهم، وبخوعاً لزعامتهم، وقد والينا أولياءهم، وجانبنا أعداءهم؛ عملاً بقواعد المحبّة، وطبقاً على أُصول الإخلاص والمودّة، فكنّا بذلك لهم شيعة، وكانوا لنا وسيلة وذريعة. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

# (١٨)

# فريضة ما أدّاها إلّا عليّ عليه السلام

# أو

# آية لم يعمل بها غيره

# فريضة ما أدّاها إلّا عليّ عليه السلام
# أو
# آية لم يعمل بها غيره*

أجمعت أُمّة أهل القبلة ـ بقضّها وقضيضها ـ على أنّ في كتاب الله آيةً لم يعمل بها غير عليّ، ولن يعمل بها أحد بعده إلى يوم القيامة، ألا وهي قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[1] (١).

ففي الجمع بين الصحاح الستّة بالإسناد إلى عليّ عليه السلام قال: «ما عمل بهذه الآية

---

(١) في هذا الأمر أسرار شريفة: كتعظيم النبيّ صلى الله عليه وآله، وزجرهم عن الإفراط في مناجاته، ونفع الفقراء بهذه الصدقة، والتمييز بين المؤمن والمنافق، وبين محبّ المال ومحبّ العلم، وبه ظهر فضل أميرالمؤمنين على من سواه.

وظاهر هذه الآية حاكم بأنّ الصدقة كانت فريضة من فرائض الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الأمر للوجوب، ويتأكّد ذلك بقوله في آخر الآية: ﴿فَإنْ لَمْ تَجِدُوا فَإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ←

---

*. طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، غرّة جمادى الأُولى سنة ١٣٣٢ / الموافق ٢٧ آذار (مارس) سنة ١٩١٤.

١. المجادلة (٥٨): ١٢.

غيري، وبي خفّف الله تعالى عن هذه الأُمّة أمْرَ هذه الآية». انتهى.

وعنه ﷺ(١): «أنّ في كتاب الله لآيةً ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها

---

← فإنّ ذلك ـ كما اعترف به الرازي في تفسيره[1] ـ لا يقال إلّا فيما بفقده يزول وجوبه.

وربما قيل[2] بأنّ الصدقة كانت مستحبّة؛ تشبّثاً بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ بزعم أنّ هذا لا يستعمل إلّا في التطوّع.

وهو كما ترى؛ إذ لا مانع من استعمال ذلك في الواجبات.

وربما استدلّوا بأنّه لو كان واجباً لما أُزيل وجوبه بكلام متّصل به وهو قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾[3] الآية.

وأجاب الرازي بأنّه لا يلزم من كون الآيتين متّصلتين في التلاوة كونهما متّصلتين في النزول، قال:

وهذا كما قلنا في الآية الدالّة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشر: أنّها ناسخة للاعتداد بحول وإن كان الناسخ متقدّماً في التلاوة على المنسوخ[4]. انتهى.

(١) كما في تفسير الرازي، وتفسير أبي السعود العمادي، وكشّاف الزمخشري، ومعالم البغوي، ومناقب ابن المغازلي، وحلية الإصفهاني، وتفسيري الطبري والثعلبي، وغيرها من كتب أهل السنّة[5].

---

١. التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٢، ذيل الآية.

٢. حكاه الرازي في تفسيره، راجع المصدر المذكور آنفاً.

٣. المجادلة (٥٨): ١٣.

٤. التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٢، ذيل الآية.

٥. التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٢؛ تفسير أبي السعود ٨: ٢٢١؛ الكشّاف ٤: ٤٩٤؛ معالم التنزيل ٥: ٣١٠ ـ ٣١١، ذيل الآية ١٢ من سورة المجادلة (٥٨)؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢٦٩، ح ٣٧٣؛ تفسير الطبري ١٢: ٢٠، ح ٣٣٧٩١. وراجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ح ٣٨٤٦؛ أسباب النزول: ٣٤٨؛ الدرّ المنثور ٦: ٨٤، ذيل الآية.

أحد بعدي، كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم، فكنت كلّما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وآله قدّمت بين يدي نجواي درهماً»[(١)].

قال الكلبي ـ كما في تفسير الآية من الكشّاف[١] ـ: تصدّق به في عشر كلمات سألهنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله.

وذكر حسام الدين محمّد بن عثمان العليابادي في تفسيره الموسوم بـمطالع المعاني: أنّ عليّاً ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرّات بعشر كلمات قدّم أمامها عشر صدقات. ثمّ أورد الكلمات العشر وأجوبة النبيّ عنها.

وعن ابن عمر ـ كما في تفسير الآية من الكشّاف[٢] ـ:

كان لعليّ ثلاث لو كانت لي واحدة منهنّ كانت أحبَّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

والمفسّرون قاطبةً متسالمون فيه، متصافقون عليه، فراجع ما شئت من تفاسيرهم، تجدْه ممّا لا يجحده الجاحد ولا يكابر فيه المعاند.

قال الفضل بن روزبهان الناصبي في كتابه الذي سمّاه إبطالَ الباطل[(٢)] عند انتهائه إلى هذه الآية ورواياتها ما هذا لفظه:

أقول: هذه من روايات أهل السنّة، وآيةُ النجوى لم يعمل بها إلّا عليّ عليه السلام، ولا كلام في أنّ هذا من فضائله التي عجزت الألسن عن الإحاطة بها ولكن لا يدلّ على النصّ على إمامته[٣]. انتهى.

(١) لا يذهب عليك أنّ هذا الحديث بمجرّده ظاهر في اتّساع الوقت وتكرّر الصدقة من عليّ عشر مرّات.

(٢) وهو الكتاب الذي ردّ فيه على نهج الصدق للإمام ابن المطهّر الحلّي أعلى الله مقامه.

١ و٢. الكشّاف ٤: ٤٩٤، ذيل الآية ١٣ من سورة المجادلة (٥٨).

٣. حكاه عنه التستري في إحقاق الحقّ ٣: ١٤٠.

**قلت** : هذه الآية بمجرّدها ـ كما ذكره ـ لا تدلّ على إمامته، لكنّها تدلّ على أنّه الأفضل، فيتمّ المطلوب؛ إذ يقبح تقديم المفضول على الفاضل شرعاً وعقلاً، والتفصيل في سبيل المؤمنين.

## [ردّ القول بأنّ الآية لا تدلّ على أفضليته عليه السلام من أكابر الصحابة]

وقد كابر بعضهم؛ إذ قال:

هذا لا يدلّ على أنّ عليّاً أفضل من أكابر الصحابة؛ لأنّ الوقت لعلّه لم يتّسع للعمل بهذا الفرض [1]. انتهى.

والجواب: **أوّلاً** : أنّ نسخ الحكم قبل حضور مقدار ما يسع الفعل من وقت العمل مُحال على الحكيم؛ لقبحه عقلاً، كما هو مقرّر في أُصول الفقه.

**وثانياً** : أنّ المشهور ـ كما صرّح به ابن المرتضى في تفسيره وغيرُه من أهل السنّة [2] ـ بقاء هذا الحكم عشرة أيّام.

وروى ذلك الزمخشري في كشّافه والرازي والعمادي والطبري في تفاسيرهم [3]، وخلق كثير من الخاصّة والعامّة [4].

والقولُ بعدم بقائه إلّا ساعة مخالف للعقل والنقل، على أنّه لم يثبت عن غير النواصب.

**وثالثاً** : أنّك قد سمعت ما نقله المفسّرون والمحدّثون عن عليّ عليه السلام من قوله:

---

١. انظر التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٣.

٢. للمزيد راجع إحقاق الحقّ ٣: ١٤٠.

٣. راجع ما ذكر في ص ٤، الهامش ٥.

٤. راجع: شواهد التنزيل ٢: ٢٣٢ ـ ٢٤٠، ح ٩٥٢، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٦٢ و ٩٦٤؛ ينابيع المودّة ١: ٣٠٠، الباب ٢٧، ح ٤؛ غاية المرام للبحراني ٤: ٣٣ ـ ٣٤، الباب ٥٠ من أبواب المقصد الثاني، ح ٢، ٥ ـ ٧.

«إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار، فاشتريت به عشرة دراهم، فكنت كلّما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وآله قدّمت بين يدي نجواي درهماً».

فهل يُدْفَع ظهور هذا في تكرار الصدقة والنجوى منه عشر مرّات؟ وقد سمعت تصريح الكلبي والعليابادي بذلك قريباً، فكيف يصغى بعده إلى القول بضيق الوقت عن العمل؟!

**ورابعاً**: أنّه روى المفسّرون والمحدّثون عن عليّ أيضاً أنّه قال ـ كما في الكشّاف وغيره[١] ـ: «لمّا نزلت هذه الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما تقول في دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبّة أو شعيرة، قال: إنّك لزهيد(١)، فلمّا رأوا ذلك، اشتدّ عليهم، فارتدعوا وكفّوا؛ أمّا الفقير، فلعسرته؛ وأمّا الغنيّ، فلشحّه». انتهى.

وهذا تصريح منه عليه السلام بأنّ المانع لهم إنّما هو العسرة أو الشحّ، لا ضيقُ الوقت.

ومثله ما أخرجه الحافظ أبو نعيم الإصفهاني عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: إنّ الله حرّم مناجاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا بتقديم الصدقة، فكفّ الناس وبخلوا ولم يفعل ذلك من المسلمين غير عليّ عليه السلام[٢].

ولو كان الوقت ضيّقاً ما كان لقوله: «فكفّوا وبخلوا» محلّ، كما لا يخفى.

---

(١) والمعنى ـ كما في تفسير الرازي[٣] ـ أنّك قليل المال، فقدّرت على حسب حالك.

---

١. الكشّاف ٤: ٤٩٣ ـ ٤٩٤، ذيل الآية ١٣ من سورة المجادلة (٥٨). وراجع أيضاً: التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٣؛ معالم التنزيل ٤: ٣١٠ ـ ٣١١، ذيل الآية.

٢. حكاه عنه البحراني في غاية المرام ٤: ٣٢، الباب ٤٩ من أبواب المقصد الثاني، ح ١٣.

٣. التفسير الكبير ١٥ (الجزء ٢٩): ٢٧٣، ذيل الآية.

**وخامساً**: أنّ تقريع الله لهم في محكم فرقانه المجيد نصّ في سعة الوقت وتركهم الصدقة عن عمد، ولولا ذلك، ما عاتبهم الله بقوله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾؛ ضرورة أنّه لو كان الوقت ضيّقاً، لما كان العتاب متوجّهاً، وكذلك قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾[1] دليل على تسويفهم، وإلّا فلا محلّ لهذه التوبة. وكأنّ المنكر لتفضيل عليّ بآية النجوى غفل عن سلامة عليّ من هذا التقريع. ولعلّه ذهل عن افتخاره عليه السلام بقوله: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي»[2] أليس هذا دالّاً على أنّه رأى لنفسه الفضل بها على غيره؟ وكأنّه نسي خبر ابن عمر، وقد سمعته؟ أليس دالّاً على تفضيل عليّ بكلّ واحدة من الثلاثة، وهي تزويجه سيّدة نساء العالمين ـ روحي فداها ـ وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى؟

وقد أغرب الرازي هنا حيث قال ـ بعد تسليمه بسعة الوقت وتمكّنهم من العمل ـ:

> إنّ الإقدام على هذا العمل ممّا يضيّق قلبَ الفقير ويوحش قلبَ الغنيّ؛ فإنّه لمّا لم يفعل الغنيّ ذلك وفعله غيره، صار ذلك الفعل سبباً للطعن فيمن لم يفعل، فهذا الفعل لمّا كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبيرُ مضرّةٍ؛ لأنّ الذي يكون سبباً للألفة أولى ممّا يكون سبباً للوحشة.

هذا كلامه، ولا يخفى ما فيه من الاعتراض على الله سبحانه والاجتهاد في مقابل نصوصه ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾[3].

---

١. المجادلة (٥٨): ١٣.

٢. الكشّاف ٤: ٤٩٤، ذيل الآية.

٣. محمّد (٤٧): ٢٤.

وهلّا قال ذلك في الزكاة والخمس؛ فإنّهما ربما ينفّران الغنيّ أيضاً، وليته قال: إنّ الصلاة والصوم والحجّ وسائر التكاليف يوجب فعلها الطعنَ في تاركها، فيكون تركها أولى؛ لأنّ الذي يكون سبباً للأُلفة أولى ممّا يكون سبباً للوحشة، أو لأنّها شاقّة على الناس، فهي منفّرة لهم. ولو قال ذلك، لاستراح من هذا الدين الذي قضى بأنّ عليّاً أفضل هذه الأُمّة وأولاها بسيّد النبيّين ﷺ، وكم لهذا الإمام في تفسيره من هذه الخزعبلات والترّهات ما لا يخفى على أُولي الألباب. والله الموفّق إلى طريق الصواب، وإليه المرجع والمآب.

صور ـ ابن شرف الدين الموسوي

( ١٩ )

# عقيلة الوحي

## زينب بنت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

[ بسم الله الرحمن الرحيم ]

ما برح الإيرانيّون مثالاً سامياً في الغيرة على مساجد الله تعالى ومقامات أهل البيت عليهم السلام ، لا تكاد تمضي فترة حتّى تجود أَرْيَحِيّاتُهم بما يرفع من شأن هاتيك المساجد والمقامات ، كأنّما خصّوا بهذه الخدمة يرونها ديناً في أعناقهم إلى الأبد . وليس أدلّ على ذلك من أنّنا لو جمعنا تضحياتهم في هذا السبيل ، لأنافت على غيرها من التضحيات مجتمعة . وكان آخر ما دفعهم إليه الإيمان الصادق وحبّ آل البيت الطاهر أنّهم توفّروا على صنع ضريح رائع من الابنوس والموزاييك والعاج ، مطعّم بخيوط من الذهب ، ومرقوم ببعض الآي الحكيم والشعر والنقوش ، وخصّوا به مقام السيّدة زينب ، عقيلة الوحي ، في قرية الستّ من ضواحي دمشق . وبهذه المناسبة التمسنا من سماحة المجتهد الأكبر السيّد عبد الحسين شرف الدين ـ حفظ الله مهجته ـ أن يتحف الرأي العامّ بنبذة تاريخيّة عن السيّدة زينب ، ومن غيره أولى بخوض مثل هذا الموضوع ، فتكرّم بهذه الرسالة ننشرها شاكرين .

الحاجّ مهديّ البهبهاني

## بسم الله تعالى

حيّاك الله صفوة المؤمنين ومفخرة الحجّاج والمعتمرين ، التقيّ النقيّ الإيماني الحاجّ مهديّ البهبهاني المحترم حفظه الله تعالى .

والسلام عليكم، وعلى من إليكم ، ورحمة الله وبركاته .

هذه الكلمة التي أردتموها للحفلة التي ستقيمونها ـ إن شاء الله تعالى ـ في مشهد السيّدة عقيلة الوحي والنبوّة زينب ٣ بمناسبة الصندوق الشريف ، فهي تصوّر مقام أهل بيت النبوّة عامّة ، وتفضّلهم على العالمين ، وتمثّل مشاهدهم ، ولا سيّما مشهد السيّدة زينب زينةً للناظرين ، وفخراً وبهجة للمؤمنين، وتذكر الإيرانيين، وبشائر القرآن بهم وثناءه عليهم ، وتشكرهم على اهتمامهم بتعظيم شعائر الله ـ عزّ وجلّ ـ ولا سيّما مشاهد الأئمّة، وتذكر في الأثناء صندوقهم الشريف . وسترون في هذه الكلمة أحوال السيّدة زينب وعظمتها ، وعظمة مواقفها التي ما وقفتها امرأة من بنات حوّاء .

فالأمل أن تبرقوا لنا بتعيين يوم الحفلة ، فإذا لم نوفّق للحضور ، فليتل الخطبة ابن العمّ الأكرم السيّد رشيد مرتضى .

والسلام عليه وعليكم ورحمة الله وبركاته .

**صور في ٢٠ شعبان ١٣٣٤ ـ عبدالحسين شرف الدين الموسوي**

بسم الله الرحمن الرحيم

الله نَحمد استتماماً لنعمته والحمدُ فضله، وإيّاه نشكر استسلاماً لعزّته والشكر طَوْله، حمداً وشكراً كما هو أهله، ونسأله تسهيل ما يلزم حمله، وتعليم ما لا يسع أحداً جهله، ونستعينه على القيام بما يبقى أجره، ويحسن في الملإ الأعلى ذكره.

ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً ﷺ أفضل نبيّ أرسله، وعلى الخلائق كلّها اصطفاه وفضّله، صلّى الله عليه وعلى الأئمّة الاثني عشر من عترته الذين حفظوا ما حمله، وعقلوا عنه من شرائع الله ما عن الله عقله، حتّى قرن بينهم وبين محكم الكتاب، وجعلهم قدوة لأُولي الألباب إلى يوم البعث والحساب.

## من نصوص الثقلين

ولذلك قال ﷺ يوم عرفات في حجّة الوداع أثناء خطبته ـ تلك العظيمة التي صدع بها، رافعاً صوته؛ لتسمعه تلك الأشهاد المجتمعة من أقطار المسلمين ـ: «أيّها الناس، لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم أعناق بعضٍ، فإنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتابَ الله، وعترتي أهلَ بيتي، وإنّهما لن يفترقا

حتّى يردا عليّ الحوضَ». ثمّ قال للناس: «ألا هل بلّغت؟» فقالوا: نعم. قال: «اللهمّ فاشهد»[1].

ثمّ لمّا قفل من حجّة الوداع راجعاً إلى المدينة بمن كان معه من الحجّاج، وانتهى في سيره إلى حيث تفترق بهم الطرق إلى بلادهم، حطّ رحله على غدير في أرض يقال لها: «خمّاً»، فأرجع إليه من تقدّمه من الحجّاج، وألحق به من تأخّر منهم عنه، فلمّا اجتمعوا صلّى بهم الفريضة، ثمّ خطبهم عن الله ـ عزّ وجلّ ـ فصدع بالنصّ على عليٍّ باسمه، وعلى الأئمّة من بعد عليٍّ على سبيل الإجمال، فقال ـ رافعاً صوته وهو مشرف عليهم وعليٌّ دونه بمرقاة ـ:

«أيّها الناس، يوشك أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول، وإنّكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً. فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ ناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث حقّ بعد الموت، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟». قالوا: بلى نشهد. قال: «اللهمّ اشهد».

ثمّ قال: «يا أيّها الناس، إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم»، ثمّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها قائلاً: «فمن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

ثمّ قال: «يا أيّها الناس، إنّي فرطكم، وإنّكم واردون عليّ الحوضَ، حوضاً أعرض ممّا بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عددَ النجوم قِدحانٌ من فضّة. وإنّي

---

١. تفسير القمّيّ ١: ١٨٠، ذيل الآية ٦٦ من سورة المائدة (٥) بتفاوت؛ بحار الأنوار ٣٧: ١٢٨، تأريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٥٢.

سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين: كيف تخلفوني فيهما؟ الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله عزّ وجلّ، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا؛ وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتّى يردا عليَّ الحوضَ»[١].

هذا ما اجتمعت الأمّة المسلمة كافّة على صحّته بلفظه هذا عن رسول الله ﷺ، ليس فيها من يرتاب في ذلك على اختلافهم في المذاهب والمشارب، كما فصّلناه في مراجعاتنا[٢] وغيرها من الكتب المنتشرة[٣]، فلتراجع.

وكان ﷺ قبل ذلك قد صدع بهذا مراراً، لكنّه إنّما كان في حضور جماعة من الناس خاصّة، مرّة بعد انصرافه من الطائف[٤]، وأُخرى في البقيع[٥]، ومرّات عديدة على منبره الشريف في المدينة[٦].

وإليكم نصّه الأخير وهو في حجرته على فراش الموت والحجرة غاصّة بأصحابه، إذ قال يومئذٍ: «أيّها الناس، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإنّي مخلّف فيكم كتاب الله عزّ وجلّ،

---

١. المعجم الكبير ٣: ١٨٠، ح ٣٠٥٢؛ الخصال للصدوق: ٦٥ ـ ٦٧، باب الاثنين، ح ٩٨؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٩، ح ١٤٩٦٦؛ ينابيع المودّة ١: ٩٥ ـ ١٠٦، الباب ٤، ح ٧ ـ ٢٦؛ بحار الأنوار ٣٧: ١٢١ ـ ١٢٢، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٥٢، ح ١٥.

٢. راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٥٤.

٣. راجع الموسوعة ج ٢، النصّ والاجتهاد، المورد ١.

٤. المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧١، ح ٣٢٠٧٧؛ ٧: ٤١١، ح ٣٦٩٤٢؛ الأمالي للطوسي: ٥٠٤، المجلس ١٨، ح ١١؛ الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩، الفصل ٣.

٥. لم نعثر عليه.

٦. راجع: جواهر العقدين: ٢٣١ ـ ٢٤٢؛ ينابيع المودّة ١: ١٠٩، الباب ٤، ح ٣١.

وعترتي أهل بيتي». ثمّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها، فقال: «هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، حتّى يردا عليّ الحوض»[١].

﴿إنّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَريم * ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذي العَرْشِ مَكين * مُطاعٍ ثَمَّ أمين﴾[٢].

﴿إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَريمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَليلاً مَا تُؤمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَليلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ العَالَمينَ﴾[٣].

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَديدُ القُوىٰ﴾[٤].

وكم له ﷺ من أمثالها سنناً صحيحة صريحة في أهل بيته الطيّبين الطاهرين، كقوله ﷺ في حديث أبي ذرّ الغفّاري: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[٥].

وقوله ﷺ في حديث ابن عبّاس: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف»[٦]. الحديث.

إلى كثير من أمثال هذه نصوصاً تخشع أمامها العيون، وتعنو لها الجباه، وتوجب للعترة الطاهرة جلالة من الله ـ عزّ وجلّ ـ ورسوله لا يسمو إليها أمل، ومنزلة لا يتعلّق بها درك، حيث لا يفوقهم فائق، ولا يلحقهم بعدها لاحق، حتّى لا يبقى برّ

---

١. الأمالي للطوسي: ٤٧٨ ـ ٤٧٩، المجلس ١٧، ح ١٤؛ الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩، الفصل ٣؛ ينابيع المودّة ١: ١٢٤، الباب ٤، ح ٥٦.

٢. التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢١.

٣. الحاقّة (٦٩): ٤٠ ـ ٤٣.

٤. النجم (٥٣): ٣ ـ ٥.

٥. المعجم الأوسط ٦: ٤٠٦، ح ٥٨٦٦؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٢ ـ ١٣٣، ح ٤٧٤٧؛ الأمالي للطوسي: ٧٣٣، المجلس ٤٥، ح ٢.

٦. المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠ ـ ١٣١، ح ٤٧٦٩؛ الأمالي للطوسي: ٣٧٩، المجلس ١٣، ح ٦٣، وفيه: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، و ...».

ولا فاجر، ولا مسلم ولا كافر إلّا عرّفهم جلالة أمرهم، وشرف منزلتهم في الإسلام[١].

ولا غرو فقد نصحوا لله ورسوله في السرّ والعلانية، ودعوا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلوا أنفسهم في سبيل الله، وصبروا على الأذى قتلاً ومثلة وسبياً في جنبه، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف مؤتمرين بـه، ونهوا عن المنكر منتهين عنه، وجاهدوا في سبيل الله حقّ جهاده، حتّى أعلنوا دعوته، وبيّنوا فرائضه، وأقاموا حدوده، ونشروا شرائعه، وسنّوا سننه، وصاروا في ذلك منه إلى الرضى، وسلّموا له القضا، وصدّقوا من رسله من مضى.

## مشاهدهم

وبهذا جعلهم الله سبحانه بعد الموت كما كانوا أيّام حياتهم الأولى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ❁ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلوٰةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكوٰةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِـيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَـٰرُ﴾[٢].

وجعل صلواتنا عليهم وما خصّنا به من ولايتهم طيباً لخلقنا، وطهارةً لأنفسنا، وتزكيةً لنا، وكفّارةً لذنوبنا، فكنّا مسلمين بفضلهم، ومعروفين بتصديقنا إيّاهم.

## مشهد العقيلة

وهذه أُمّ المصائب عقيلة الوحي والنبوّة، وخفرة عليّ وفاطمة زينب، بلغ من عناية الله تعالى بها وكرامتها عليه، أن كان مشهدها هذا منذ حلّت في رمسه، كلّ

---

١. للمزيد راجع بحار الأنوار ٣٧: ١٠٨ ـ ٢٥٣، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، باب أخبار الغدير و....

٢. النور (٢٤): ٣٦ ـ ٣٧.

سنة هو أفخم وأعظم منه في سابقتها، حتّى بلغ اليوم أوج العظمة والعلاء.

يطوف المسلمون بهذا المشهد، ويعتصمون به، فإذا هو على الدوام أمل الراغب الراجي عفوَ ربّه عن ذنوبه، وأمن الراهب التائب اللاجئ في ستر عيوبه، يتضرّع به إلى الله تعالى في طلب حوائجه الدنيويّة والأُخرويّة، منيباً إليه توّاباً مخلصاً لله في ذلك؛ ليغفر ذنوبه، ويستر عيوبه، ويقضي حوائجه، متوسّلاً إليه تعالى بأُمّ المصائب في سبيله عزّ وجلّ.

هذا شأن المخلصين لله تعالى في حفظ رسول الله في عترته من بعده، يعظّمون شعائرهم؛ لأنّها من شعائر الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1].

## تعلّق المؤمنين [بمشاهد العترة الطاهرة]

وإنّ للمؤمنين في تعظيم شعائر الله عزّ وجلّ بتشييد المعابد والمشاهد والمعاهد أيادي بيضاء غرّاء، تستوجب الحمد والثناء، ولا سيّما إيران، وما أدراك ما إيران، شعبٌ أخلص لله عزّ وجلّ في طاعته، وانقطع إلى رسول الله وأهل بيته في ولائه، ينهج في الدين سبيلهم، ويقفو فيه أثرهم، ولا يطبع إلّا على غرارهم، وله في تعظيم شعائرهم ومشاعرهم التي أذن الله أن ترفع بالقيام عليها غاية تتراجع عنها سوابق الهمم، ولا سيّما ما كان منها في العراق وخراسان.

وقد حمل الإيرانيّون اليوم إلى عقيلة الوحي والنبوّة هذا الضريح، يُزري بالعقيان، وبما هو أغلى وأعلى من العقيان والجواهر، بوّؤوه ضريحها الشريف،

---

١. الحجّ (٢٢): ٣٢.

فتبوّؤوا بذلك ذروة الشرف، ونالوا به من الفردوس أعلى الغرف، جدّدوا به قديم نعمائهم في جميع المشاهد المشرّفة، واستأنفوا ماضي إيلائهم، أدام الله لهم سوابغ النعم، وجدّد لهم نوابغ القِسَم، وضاعف لهم هباته المتناسقة، وظاهر عليهم آلاءه المترادفة.

## بشائر الذكر الحكيم بهم

ولعمري إنّ لهم في الإسلام رتبةً بعيدة المرتقى، باذخة الذرى، وحسبهم ما في الذكر الحكيم من الثناء عليهم، والبشارة بهم في عدّة آيات:

**إحداها**: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأتى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية وهي ٥٤ من سورة المائدة ـ إذ قيل في تفسيرها ـ كما في مجمع البيان وغيره[١] ـ:

إنّ رسول الله ﷺ سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان، فقال: «هذا وذووه». ثمّ قال: «لو كان الدين معلّقاً بالثريّا، لتناوله رجال من أبناء فارس».

**والثانية**: قوله عزّ وجلّ في سورة محمّد ﷺ ـ مخاطباً للمقصّرين من مسلمي العرب ـ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُمْ﴾[٢] إذ رووا في تفسيرها ـ كما في مجمع البيان وغيره[٣] ـ:

أنّ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكرهم الله في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فضرب يده على فخذ سلمان، فقال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس».

---

١. مجمع البيان ٣: ٢٠٨، ذيل الآية. وراجع أيضاً الكشّاف ١: ٦٤، ذيل الآية.

٢. محمّد (٤٧): ٣٨.

٣. مجمع البيان ٩: ١٠٨، ذيل الآية. وراجع أيضاً الكشّاف ٤: ٣٣١، ذيل الآية.

**الثالثة**: قوله عزّ وجلّ في سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[١] إذ رووا في تفسيرها ـ كما في مجمع البيان وغيره[٢] ـ

أنّ النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية، فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: «لو كان الإيمان في الثريّا لنالته رجال من هؤلاء»؛ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[٣].

ومختصر القول في مؤمني إيران أنّهم ممّن لا يجاذبهم بحبل الإيمان أحد، ولا يكايلهم بصاعه بشر، فطوبى لهم وحسن مآب.

---

١. الجمعة (٦٢): ٣.

٢. مجمع البيان ١٠: ٢٨٤ ذيل الآية. وراجع أيضاً الكشّاف ٤: ٥٣٠، ذيل الآية.

٣. الجمعة (٦٢): ٤.

# عقيلة الوحي

أمّا عقيلة الوحي والنبوّة:

**فأبوها** أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أخو النبيّ ووليّه، ووزيره ونجيّه، ووارث علمه ووصيّه، وأوّل الناس إيماناً بالله، وأعلمهم بأحكامه، فتى الإسلام شجاعة وتقى، وعلماً وعملاً، وزهداً في الدنيا، ورغبة فيما عند الله.

**وأمّها** فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وخير نساء أهل الجنّة، وأفضلهنّ بحكم النصّ الصريح الصحيح[1]، وإجماع الأمّة كافّة، آثرها الله عزّ وجلّ بذرّيّة نبيّه، فإنّ ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه إلّا رسول الله ﷺ، إنّ ذرّيّته إنّما هي من عليّ وفاطمة.

**وجدّها لأمّها** سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين محمّد ﷺ البشير النذير، السراج المنير، وكفى بذلك فخراً.

**وجدّتها لأمّها** خديجة بنت خويلد، أمّ المؤمنين، صدّيقة هذه الأمّة، وأوّلها

---

١. للمزيد راجع: علل الشرائع ١: ٢١٦، باب العلّة التي من أجلها سمّيت فاطمة عليها السلام محدّثة، ح ١؛ الأمالي للطوسي: ٨٤ ـ ٨٥، المجلس ٣، ح ٣٦، و ٣٣٣ - ٣٣٤، المجلس ١٢، ح ٩؛ الدرّ النظيم: ٤٥٧ ـ ٤٦٥؛ كشف الغمّة ٢: ٧٦.

إيماناً، وتصديقاً بكتابه، ومؤاساة لرسوله ﷺ.

قال لها رسول الله: «يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام عن الله عزّ وجلّ، ويبشّرك ببيتٍ في الجنّة من قصبٍ لا صَخَب فيه ولا نصب». فقالت في جوابه: الله عزّ وجلّ هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، وعلى رسول الله وعلى جبرائيل السلام، ورحمة الله وبركاته[1].

انفردت برسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، لم تشاركها فيه امرأة ثانية، ولو بقيت ما شاركها فيه أُخرى، وكانت شريكته في محنته طيلة أيّامها معه، تقوّيه بمالها، وتدافع عنه بكلّ ما لديها من قول أو فعل، وتعزّيه بما يفاجئه به الكفّار في سبيل الرسالة وأدائها. وكانت هي وعليّ معه في غار حراء، إذ نزل عليه الوحي أوّل مرّة.

ولمّا ماتت خديجة وأبو طالب ـ وكانت وفاتهما في عام واحد ـ حزن رسول الله ﷺ عليهما حزناً شديداً، وسمّاه عام الحزن. وأوحى الله سبحانه إليه في ذلك العام: «أن اخرج فقد مات ناصرك» فكانت الهجرة المباركة[2].

هاجر وفي قلبه ذكرى لصدّيقته المواسية. فكان يكثر ذكرها وبرّها والصدقة عنها، حتّى قالت عائشة: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد هلكت فأبدلك الله خيراً منها؟! فتغيّر وجه النبيّ ﷺ وردّ عليها غضبان: «والله، ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدّقتني حين

---

١. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٢٧٤ ـ ٢٧٥؛ المعجم الكبير ٢٣: ٩ ـ ١٥، ح ١٠ ـ ١٥؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٨٣ ـ ١٨٤، ح ٤٩٠١ ـ ٤٩٠٢؛ كشف الغمّة ٢: ١٣٤ و١٣٨؛ الإصابة ٨: ١٠٢، الرقم ١١٠٩٢.

٢. راجع: إعلام الورى ١: ١٤٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٩؛ و١٤: ٧٠؛ ينابيع المودّة ١: ٤٥٥، الباب ٥١، ح ١٧.

كذّبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقني منها ولداً إذ حرمني من غيرها»[١].

**وجدّ زينب لأبيها** شيخ الأباطح، وبيضة البلد أبو طالب ابن عبد المطّلب عمّ النبيّ، القائم في كفالته مقام أبيه؛ إذ مات أبوه عبدالله وهو جنين، ثمّ مات جدّه عبد المطّلب والنبيّ في السابعة من عمره الشريف، فكفله عمّه أبو طالب، فكان أفضل أبٍ عطوف، لم يغفل عمّا يجب له لحظة واحدة، ولم يسلّمه إلى طغاة قريش، وقد لجّوا في طغيانهم يعمهون إذ طلبوه منه، ولا سيّما إذ سمعوه ﷺ يقول: «والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته أو أموت دونه» فيحنو عليه حنو المرضعات على الفطيم وهو يقول: اذهب وشأنك فو الله لا أُسلّمك لشيء أبداً[٢].

وهو القائل من قصيدة يخاطب بها طغاة قريش:

ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذّبٌ ... لدينا، ولا نعبأ بقول الأباطل

يلوذ به الهلّاك من آل هاشمٍ ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضل

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل

وميزان صدقٍ لا يخيسُ شعيرةً ... ووزّان حقٍّ وزنه غير غائل[٣]

---

١. راجع: المعجم الكبير ٣: ١٣، ح ٢١ ـ ٢٢؛ كشف الغمّة ٢: ١٣٤؛ الإصابة ٨: ١٠٣، الرقم ١١٠٩٢؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٣٠، الباب ٥٦، ح ٩٦٥.

٢. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٢٩٩؛ تاريخ الطبري ٢: ٣٢٦، حوادث قبل الهجرة.

٣. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ١: ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١؛ شعر أبي طالب وأخباره: ٢٦، ٣٣؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٦٦، باب نسبه وأحواله و... بتفاوت في بعض الألفاظ. وحكى مثله الصدوق في التوحيد: ١٥٨، باب تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا إبليس...﴾، ذيل الحديث ٤.

وقال من قصيدة اُخرى:

ألم تـعلموا أنّـا وجـدنا مـحمّداً نبيّاً كموسى خُطّ فـي أوّل الكـتب

أفيقوا أفيقوا قـبل أن تـحفر الزُبـى ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب

أليس أبـونا هـاشم شـدّ أزرَهُ وأوصى بـنيه بـالطعان وبـالضرب[1]

وقال مخاطباً رسول الله ﷺ من قصيدة اُخرى:

أنت النـبيّ مـحمّد قـرم أغـرّ مسوّدُ

لَـمسوّدين أكـارم طـابوا وطـاب المولدُ

ولقـد عـهدتك صـادقاً بـالقول لا تـتزيّدُ

مـا زلت تـنطقُ بـالصوا بِ وأنت طـفل أمْـرَدُ

أنّـى تُـضام ولم أمُت وأنـا الشـجاع العِـرْبِد[2]

وكان ممّا نادى به معلناً:

يـا شـاهد الله عـليّ فـاشهدِ أنّي على دين النـبيّ أحـمدِ

من شكّ[3] في الدين فإنّي مهتدي[4]

إلى كثير من أمثال هذه الدرر والغرر الدالّة على علوّ مكانته فـي الإيـمان، وحسن بلائه في حمايته لرسول الله ﷺ .

١. شعر أبي طالب وأخباره: ٧٢ ـ ٧٣؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٥٩ ـ ١٦٠، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٣، ذيل الحديث ٨٥.

٢. شعر أبي طـالب وأخـباره: ٧٥ ـ ٧٦؛ الدرّ النـظيم: ٢١٣ ـ ٢١٤؛ بـحار الأنـوار ٣٥: ١٦٤، تـاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٣، ذيل الحديث ٨٥.

٣. في المصدر: «ضلّ».

٤. شـرح نـهج البـلاغة لابـن أبـي الحـديد ٢: ٢٧٨؛ ١٤: ٧٨؛ بـحار الأنـوار ٣٥: ١٦٥، تـاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٣، ذيل الحديث ٨٥.

**وجدّة زينب لأبيها** فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[1]، زوجة أبي طالب عمّ رسول الله ﷺ، وأوّل هاشميّة ولدت لهاشمي، كانت من السابقات إلى الإسلام، فحسن إسلامها، وأوصت إلى النبيّ ﷺ إذا حضرتها الوفاة، فقبل وصيّتها، وكفّنها بقميصه، وصلّى عليها، ونزل في لحدها فاضطجع معها فيه، فقال له بعض أصحابه: ما رأيناك صنعت بأحد هذا الصنع؟ فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنّة، واضطجعت معها في قبرها؛ ليهوّن عليها»[2].

هذا نسب العقيلة، ولها من الحسب ما يكافئ هذا النسب شرفاً **﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[3].

**[ولادتها]**

ولدت عليها السلام سنة ستّ للهجرة، وهي سنة صلح الحديبيّة، ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ وهو قافل منها إلى المدينة. فكانت في الهاشميّات كالتي أنجبتها، تنطق الحكمة والعصمة من محاسن خلالها، ويتمثّلان وما إليهما من أخلاق في منطقها وأفعالها، فلم يُر أكرم منها أخلاقاً، ولا أنبل فطرة، ولا أطيب عنصراً، ولا أخلص جوهراً، إلّا أن يكون جدَّها واللذين أولداها.

وكانت ممّن لا يستفزّها نزق، ولا يستخفّها غضب، ولا يروع حلمها رائع، آية

---

١. في المطبوع: «أسد بن عبد مناف بن هاشم» وما أثبتناه هو الصحيح.

٢. راجع الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ٣٠ ـ ٣١. وانظر أيضاً: إعلام الورى ١: ٣٠٦؛ الإصابة ٨: ٢٦٨ ـ ٢٦٩، الرقم ١١٥٨٨؛ الدرّ النظيم: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. آل عمران (٣): ٣٤.

من آيات الله في ذكاء الفهم، وصفاء النفس، ولطافة الحسّ، وقوّة الجنان، وثبات الفؤاد، في أروع صورة من الشجاعة والإباء والترفّع.

## [موقفها في الكوفة بعد شهادة أخيها الحسين عليه السلام]

وحسبك في ذلك موقفها من الطاغية عبيد الله بن زياد إذ أُدخلت عليه، وقد حفّ بها إماؤها، فأخذت مجلسها دون أن تلقي بالاً إليه، فحدّق اللعين بها عينيه، وهي تجلس بادية الترفّع، لا تنتظر أن يأذن لها في الجلوس، فكلّمها مرّتين أو ثلاثاً وهي لا تجيب؛ احتقاراً له، وتكبّراً عليه، فقال الطاغية ـ مستخفّاً ـ: من هذه؟

فأجابت إحدى إمائها: هذه زينب بنت فاطمة.

فقال: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب أُحدوثتكم!

فقالت في جوابه: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وأذهب عنّا الرجس أهل البيت، وطهّرنا تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر، وهو غيرنا، والحمد لله.

فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك، والعتاة المردة من أهل بيتك؟

فأجابته باستعلاء: أُولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفَلَجُ يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب الطاغية وهمّ أن يضربها بقضيب كان في يده، فقال له عمرو بن حريث: مهلاً يا أمير، إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ في شيء من منطقها.

فقال اللعين متشفّياً: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك.

فردّت عبرتها وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، واستأصلت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت[1] أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

فقال: هذه سجاعة[2]، ولقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فقالت: ما لي وللسجاعة؟ إنّ لي عنها لشغلاً.

فردّ عنها بصره متأمّلاً في وجوه أسرى آل محمّد، فرأى زين العابدين عليّ بن الحسين وكان يظنّه مقتولاً، فسأله: ما اسمك؟

فقال: «أنا عليّ بن الحسين».

فقال اللعين: أوَ لم يقتل الله عليّ بن الحسين؟ فسكت الإمام.

فقال الطاغية: ما لك لا تتكلّم؟

فقال الإمام: «كان لي أخ يقال له عليّاً فقتله الناس».

قال ابن زياد: بل الله قتله.

فأمسك الإمام، فاستحثّه[3] الطاغية على الجواب، فقال عليه السلام: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[4]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ﴾[5].

فانتهره الطاغية قائلاً: أبِكَ جرأةٌ على جوابي؟ ثمّ أمر به أن يقتل.

فاعتنقته عمّته زينب وهي تقول: حسبك يا بن زياد من دمائنا، ثمّ آلت عليه ليدعنّ ابن أخيها أو ليقتلنّها قبله.

---

١. اجتثثت: قلعت. لسان العرب ٢: ١٢٦، «ج. ث. ث».

٢. سجع: تكلّم بكلام له فواصل، كفواصل الشعر من غير وزن. لسان العرب ٨: ١٥٠، «س. ج. ع».

٣. الحثّ: الإعجال في اتّصال. لسان العرب ٢: ١٢٩، «ح. ث. ث».

٤. الزمر (٣٩): ٤٢.

٥. آل عمران (٣): ١٤٥.

فتأمّلها الطاغية برهة، ثمّ انثنى يقول لجلّاديه: عجباً للرحم، إنّي لأظنّها ودّت أن أقتلها قبله، دعوه ينطلق معها[1].

وسجّل التأريخ لها موقفاً مع أهل الكوفة، وقد أحاطوا بها مطأطئي رؤوسهم يبكون حزناً على ما أصابهم من القتل والسبي. فقالت لهم:

أمّا بعد، يا أهل الكوفة، أتبكون؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنّة[2]، إنّما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا ساء ما تزرون، إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فقد ذهبتم بعارها وشنارها[3]، فلن ترحضوها بغسل أبداً، وكيف ترحضون قتل سبط خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، ومدار حجّتكم، ومنار محجّتكم، وهو سيّد أهل الجنّة؟ لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء، أتعجبون لو أمطرت السماء دماً؟ ألا ساء ما سوّلت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ كريمةٍ أبرزتم؟ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمٰاوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبٰالُ هَدّاً﴾[4].

---

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٢٦ ـ ٢٢٩؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١١٥ ـ ١١٧؛ إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٣؛ الكامل في التاريخ ٤: ٨١ ـ ٨٢، حوادث سنة ٦١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١ ـ ٢٠٢؛ مثير الأحزان: ٩٠ ـ ٩١؛ بحار الأنوار ٤٥: ١١٥ ـ ١٣٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩، ذيل الحديث ١.

٢. الرنّة: الصوت الحزين عند الغناء أو البكاء. لسان العرب ١٣: ١٨٧، «ر. ن. ن».

٣. الشنار: الأمر المشهور بالشنعة والقبح، ويقال: عار وشنار. لسان العرب ٤: ٤٣٠، «ش. ن. ر».

٤. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٢٢ ـ ٢٢٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٦؛ إعلام الورى ١: ٤٧١؛ الدرّ النظيم: ٥٦٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٢ ـ ١٩٣، بحار الأنوار ٤٥: ١٦٣، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩، ح ٧، والألفاظ في المصادر متفاوتة، والآية ٨٩ ـ ٩٠ من سورة مريم (١٩).

قال من سمعها:

فلم أرَ ـ والله ـ خفرةً أنطق منها، كأنّما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فلا والله، ما أتمّت حديثها حتّى ضجّ الناس بالبكاء وذهلوا، وسقط ما في أيديهم من هول تلك المحنة.

[موقفها في الشام]

ولعقيلة الوحي والنبوّة مواقف في الشام مع عدوّها وعدوّ الله ورسوله يزيد، شكرها الله ورسوله، وأكبرها أُولوا الألباب.

**أحدها**: حين أمر يزيد بإدخال سبايا الوحي عليه، فأدخلوهنّ مربقات وعنده وجوه دمشق، فغضّوا أبصارهم احتراماً واستحياءً، ولكنّ رجلاً من أعوانه ومقوّية سلطانه من أجلاف الناس أمعن النظر في فاطمة بنت الحسين فراقه جمالها، فخافت منه، وروّعها إذ التهمها بعينيه، فلاذت بعمّتها مذعورة ترتعد، فتسمعه العقيلة يقول ليزيد: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية.

فتقول عليها السلام ـ وهي تحتضن الفتاة ـ: كذبت والله ولؤمت، ما كان ذلك لك ولا له.

فغضب يزيد وقال: كذبتِ والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

قالت: كلّا، والله ما جعل الله ذلك لك إلّا أن تخرج عن ملّتنا، وتدين بغير ديننا.

فاستشاط غضباً وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فأجابته: بدين الله ودين أبي وأخي وجدّي اهتديت يا يزيد، أنت

وأبوك وجدّك إن كنتم مسلمين.

فقال: كذبت يا عدوّة الله.

فهزّت رأسها استخفافاً وهي تقول: أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك.

فلم يجب واعتراه والحاضرين كلَّهم وجوم[١] طويل.

فعاد الشامي يلتهم فاطمة بعينيه ويقول: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية.

فصاح به يزيد: اغرب، وهب الله لك حتفاً قاضياً[٢].

ثمّ كان المشهد الفظيع، إذ كشف يزيد عن رؤوس الشهداء، فجعل يعبث بقضيب في يده بثنايا سيّد الشهداء، وخامس أصحاب الكساء وهو ينشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا: يا يزيد لا تشلّ

لعبت هاشم بالملكِ فلا خبر جاء ولا وحي نزل[٣]

فبكت النسوة والبُنَيّات من ودائع الرسول وخفرات البتول، غير عقيلتهنّ،

---

١. الوجوم: السكوت على غيظ. لسان العرب ١٢: ٦٣٠، «و. ج. م».

٢. الأمالي للصدوق: ١٤١ ـ ١٤٢، المجلس ٣١، ح ٣؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٢١؛ إعلام الورى ١: ٤٧٤ ـ ٤٧٥؛ الاحتجاج للطبرسي: ٣١٠، احتجاج زينب بنت عليّ...؛ الكامل في التاريخ ٤: ٨٦، حوادث سنة ٦١؛ تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٧٧، الرقم ٩٣٥٣.

٣. تفسير القميّ ٢: ٦٠، ذيل الآية ٦٠ من سورة الحجّ (٢٢)؛ بلاغات النساء: ٣٤؛ الاحتجاج للطبرسي: ٣١٠، احتجاج زينب بنت عليّ...؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٤ ـ ٢١٥؛ ينابيع المودّة ٣: ٣١ ـ ٣٢، ٤٢، الباب ٦٠، ذيل الحديث ٥٠ و ٥٢، و٢٤٤، الباب ٧١، ذيل الحديث ٣٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٥٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، باب الوقائع المتأخّرة عن قتله عليه السلام، ح ٤.

فإنّها اهتزّت واستعلت على الطاغية تكفّره وتخزيه بقولها:

صدق الله تعالى يا يزيد إذ يقول عزّ من قائل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوآىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون﴾[1].

أظننت يا بن الطلقاء حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق إليك كما تساق الأسرى أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جَذلان مسروراً، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متّسقةً، وحيث صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرَاً لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمَاً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2].

أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك بناتك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله كالأسرى سبايا؟ قد هتكتَ سُتورهنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ثمّ تقول ـ غير متألّم ولا مستعظم ـ: ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا. مُنَحْنِياً على ثنايا أبي عبدالله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمخصرتك.

وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القُرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرّيّة محمّد ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب، تهتف بأشياخك، فلتردنّ وشيكاً موردهم، وتودنّ أنّك شُلِلت وبُكِمْت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت.

ـ إلى أن قالت: ـ حسبك الله حاكماً، وبمحمّد خصيماً، وجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً.

ـ إلى أن قالت: ـ ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إنّي لأستصغر

---

١. الروم (٣٠): ١٠.

٢. آل عمران (٣): ١٧٨.

قــدرك، وأســتعظم تــقريعك، وأسـتكبر تـوبيخك، لكـنّ العـيون عـبرىٰ، والصدور حرّىٰ.

ـ قالت: ـ فكد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فـوالله لا تـمحو ذكـرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولن ترحض عنك عارها أبداً.

وهل رأيك إلّا فندٌ، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بددٌ؟ والويل لك يوم يـنادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين[1].

ومواقفها كلّها تمثّلها صابرة محتسبة، منذ أُصـيبوا بـفقد رسـول الله ﷺ إلى غير ذلك من المحن والأرزاء، كوفاة الزهراء، وفي العين منها قذى، وفي القلب منها شجى. ووفاة أبيها سيّد الأوصياء، مضمّخاً بالدماء. ووفاة أخيها الحسـن مظلوماً مسموماً، يتقيّأ كبده نصب عينيها في الطست قطعاً قـطعاً، ثـمّ مـنعهم الظالمون من دفنه مع جدّه رسول الله ﷺ وهو أحد سبطيه وريحانتيه، وسيّدي شباب أهل الجنّة.

وإليك عنّي لا تقل حدّث بما لاقـى الحسـين، فـإنّه عليه السلام لاقـى مـن المـحن والأرزاء ما قد طبّق الأرض والسماء، على وجه لم يشتمل التأريخ البشري على مثله في كمّ من العدد، ولا في كيف من الفظاعة.

وقد شاركتهم عقيلتهم بطلة كربلاء في كلّ هذه الأرزاء رابطة الجأش، صلبة العقود، لم تروّعها تلك النوائب، ولم تنل من صبرها تلك المـلمّات، ولهـا فـي السبي مقام كريم لا يسامى، تسنّمت به ذرى المعالي والشرف، ونالت به من الله كلّ زلفى.

---

١. راجع: بلاغات النساء: ٣٤ ـ ٣٦ بتفاوت؛ الاحتجاج للطبرسي: ٣٠٧ ـ ٣١٠، احـتجاج زيـنب بـنت عليّ...؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥ ـ ٢١٨؛ أعلام النساء ٢: ٩٥ ـ ٩٧.

حفظت أيامى الوحي والنبوّة، اللواتي استشهد رجالهنّ، وحرست يتامى آل محمّد وقد قتل آباؤهم.

وقد استماتت بحماية مريضهم بقيّة أخيها الإمام زين العابدين، وقد كاد أن يقتله ابن زياد لولا دفاعها عنه ببذل دمها، وبقتله تنقطع سلالة أخيها سيّدالشهداء.

وقد ورد عليها من سبيها ما استأنف نشاطها، وشرح صدرها لرعاية تلك الأطفال والنسوة وتعزيتهم، فإذا هي في تلك الشدائد طود من الأطواد.

صلوات الله وسلامه عليها، وعلى جدّها وأبيها، وعلى أُمّها وأخويها، وعلى الأئمّة، وسادة الأُمّة من قومها، الذين نزلت أنفسهم منهم في البلاء، كالتي نزلت في الرخاء. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد.

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

# (٢٠)

# صلح الحسن عليه السلام

## بسم الله الرحمن الرحيم*

كان صلح الحسن عليه السلام مع معاوية من أشدّ ما لقيه أئمّة أهل البيت من هذه الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقي به الحسن عليه السلام محناً يضيق بها الوسع، لا قوّة لأحد عليها إلّا بالله عزّ وجلّ. لكنّه رضخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً بما يبتغيه من النصح لله تعالى، ولكتابه عزّ وجلّ، ولرسوله، ولخاصّة المسلمين وعامّتهم، وهذا الذي يبتغيه ويحرص عليه في كلّ ما يأخذ أو يدع من قول أو فعل.

ولا وزن لمن اتّهمه بأنّه أخلد بصلحه إلى الدعة، وآثر العافية والراحة، ولا لمن طوّحت بهم الحماسة من شيعته فتمنّوا عليه لو وقف في جهاد معاوية فوصل إلى الحياة من طريق الموت، وفاز بالنصر والفتح من الجهة التي انطلق منها صنوه يوم الطفّ إلى نصره العزيز وفتحه المبين.

ومن الغريب بقاء الناس في عشواء غمّاء من هذا الصلح إلى يومهم هذا، لا يقوم أحد منهم في بيان وجهة الحسن في صلحه، بمعالجة موضوعيّة مستوفاة ببيانها وبيّناتها، عقليّة ونقليّة. وكم كنت أُحاول ذلك، لكنّ الله عزّ وجلّ شاء

* . تصدير بقلم السيّد عبد الحسين شرف الدين لكتاب صلح الحسن عليه السلام للشيخ راضي آل ياسين.

بحكمته أن يختصّ بهذه المأثرة من هو أولى بها وأحقّ بكلّ فضيلة، ذلك هو مؤلّف هذا السفر البكر صلح الحسن، فإذا هو في موضوعه فصل الخطاب، ومفصل الصواب، والحدّ الفاصل بين الحقّ والباطل.

وقفت منه على فصول غرّ، تمثّل فضل مؤلّفها الأغرّ الأبرّ في كلّ ما يشتركان فيه من التحقيق، والدقّة والاعتدال، وسطوع البيان والبرهان، والتأنّق والتتبّع، والورع في النقل، والرحابة في المناظرة، والإحاطة بما يناسب الموضوع، مع سهولة الأُسلوب، وانسجام التراكيب، وبلاغة الإيجاز إذا أوجز، وقبول الإطناب إذا أطنب.

فالكتاب يخضع لفكر منظّم مبدع حجّة، يصل وحدته بجداول دفّاقة بالثراء العقلي والنقلي، وبروادف غنيّة كلّ الغنى في كلّ ما يرجع إلى الموضوع، ويتمّ عليه عناصره القيّمة.

فالأناقة فيه تخامر الاستيعاب، والوضوح يلازم العمق، والنقد التحليلي مرتكز هذه الخصائص.

أمّا المؤلّف ـ أعلى الله مقامه ـ فإنّك تستطيع أن تستشفّ ملامحه من حيث تنظر إلى مواهبه في كتابه هذا، ولو لم أره لقدرت أن أرسم له صورة أستوحي قسماتها من هذا السفر، إذ يريكه واضح الغرّة، مشرق الوجه، حلو الحديث، هادئ الطبع، واسع الصدر، ليّن العريكة، وافر الذهن، غزير الفهم والعلم، واسع الرواية، حسن الترسّل، حلو النكتة، لطيف الكناية، بديع الاستعارة، تنطق الحكمة من محاسن خلاله، ويتمثّل الفضل بكلّ معانيه في منطقه وأفعاله، لا ترى أكرم منه خلقاً، ولا أنبل فطرة، عيلماً زاخراً بعلوم آل محمّد، علّامة بحّاثة، أمعن في التنقيب عن أسرارهم، يستجلي غوامضها، ويستبطن دخائلها، لا تفوته منها واردة ولا شاردة إلى خصائص في ذاته وسماته، يمثّلها كتابه هذا بجلاء.

ومن أمعن فيما اشتمل عليه هذا الكتاب من أحوال الحسن ومعاوية، علم أنّهما لم ترتجلهما المعركة ارتجالاً، وإنّما كانا في جبهتيهما خليفتين، استخلفهما الميراث على خلقين متناقضين: فخُلق الحسن إنّما هو خُلق الكتاب والسنّة، وإن شئت فقل خُلق محمّد وعليّ، وأمّا خُلق معاوية فإنّما هو خُلق الأُمويّة، وإن شئت فقل: خُلق أبي سفيان وهند، على نقيض ذلك الخُلق.

والمتوسّع في تاريخ البيتين وسيرة أبطالهما من رجال ونساء يدرك ذلك بجميع حواسّه.

لكن لمّا ظهر الإسلام، وفتح الله لعبده ورسوله فتحه المبين، ونصره ذلك النصر العزيز، انقطعت نوازي الشرّ الأُموي، وبطلت نزعات أبي سفيان ومن إليه مقهورة مبهورة، متوارية بباطلها من وجه الحقّ الذي جاء به محمّد عن ربّه عزّوجلّ، بفرقانه الحكيم، وصراطه المستقيم، وسيوفه الصارمة لكلّ من قاومه.

وحينئذٍ لم يجد أبو سفيان وبنوه ومن إليهم بدّاً من الاستسلام، حقناً لدمائهم المهدورة يومئذٍ لو لم يستسلموا، فدخلوا فيما دخل فيه الناس وقلوبهم تنغل بالعداوة له، وصدورهم تجيش بالغلّ عليه، يتربّصون الدوائر بمحمّد ومَن إليه، ويبغون الغوائل لهم. لكنّ رسول الله ﷺ كان ـ مع علمه بحالهم ـ يتألّفهم بجزيل الأموال وجميل الأقوال والأفعال، ويتلقّاهم بصدرٍ رحب ومحيّا منبسط، شأنه مع سائر المنافقين من أهل الحقد عليه، يبتغي استصلاحهم بذلك.

وهذا ما اضطرّهم إلى إخفاء العداوة له، يطوون عليها كشحهم خوفاً وطمعاً، فكاد الناس بعد ذلك ينسون الأُمويّة حتّى في موطنها الضيّق مكّة. أمّا في ميادين الفتح بعد رسول الله ﷺ، فلم تعرف الأُمويّة بشيء، سوى أنّها من أُسرة النبيّ ومن صحابته.

ثمّ أُتيح بعد النبيّ لقوم ليسوا من عترته أن يتبوّأوا مقعده، وأُتيح لمعاوية في ظلّهم أن يكون من أكبر ولاة المسلمين، أميراً من أوسع أُمرائهم صلاحيّةً في القول والعمل.

ومعاوية إذ ذاك يتّخذ بدهائه من الإسلام سبيلاً يزحف منه إلى الملك العضوض، ليتّخذ به دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً، كما أنذر به رسول الله ﷺ، فكان ذلك من أعلام نبوّته.

نشط معاوية في عهد الخليفتين الثاني والثالث بإمارته على الشام عشرين سنة، تمكّن بها في أجهزة الدولة، وصانع الناس فيها وأطمعهم به، فكانت الخاصّة في الشام كلّها من أعوانه، وعظم خطره في الإسلام، وعرف في سائر الأقطار بكونه من قريش أُسرة النبيّ ﷺ، وأنّه من أصحابه، حتّى كان في هذا أشهر من كثير من السابقين الأوّلين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، كأبي ذرّ وعمّار والمقداد وأضرابهم.

هكذا نشأت الأُمويّة مرّةً أُخرى، تغالب الهاشميّة باسم الهاشميّة في علنها، وتكيد لها كيدها في سرّها، فتندفع مع انطلاق الزمن تخدع العامّة بدهائها، وتشتري الخاصّة بما تغدقه عليهم من أموال الأُمّة، وبما تؤثرهم به من الوظائف التي ما جعلها الله للخونة من أمثالهم، تستغلّ مظاهر الفتح وإحراز الرضى من الخلفاء.

حتّى إذا استتبّ أمر الأُمويّة بدهاء معاوية، انسلّت إلى أحكام الدين انسلال الشياطين، تدسّ فيها دسّها، وتفسد إفسادها، راجعةً بالحياة إلى جاهليّة تبعث الاستهتار والزندقة، وفق نهج جاهلي، وخطّة نفعيّة، ترجوها الأُمويّة لاستيفاء منافعها، وتسخّرها لحفظ امتيازاتها.

والناس ـ عامّةً ـ لا يفطنون لشيء من هذا، فإنّ القاعدة المعمول بها في

الإسلام ـ أعني قولهم: الإسلام يجبّ ما قبله[١] ـ ألقت على فظائع الأُمويّة ستراً حجبتها، ولا سيّما بعد أن عفا عنها رسول الله وتألّفها، وبعد أن قرّبها الخلفاء منهم، واصطفوها بالولايات على المسلمين، وأعطوها من الصلاحيّات ما لم يعطوا غيرها من ولاتهم، فسارت في الشام سيرتها عشرين عاماً ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[٢] ولا ينهون.

وقد كان الخليفة الثاني عظيم المراقبة لعمّاله، دقيق المحاسبة لهم، لا يأخذه في ذلك مانع من الموانع أصلاً: تعتع بخالد بن الوليد عامله على «قنسرين» إذ بلغه أنّه أعطى الأشعث عشرة آلاف، فأمر به فعقله بلال الحبشي بعمامته، وأوقفه بين يديه على رِجل واحدة، مكشوف الرأس، على رؤوس الأشهاد من رجال الدولة ووجوه الشعب في المسجد الجامع بـ«حمص»، يسأله عن العشرة آلاف: أهي من ماله أم من مال الأُمّة؟ فإن كانت من ماله فهو الإسراف، والله لا يحبّ المسرفين. وإن كانت من مال الأُمّة فهي الخيانة، والله لا يحبّ الخائنين، ثمّ عزله فلم يولّه بعد حتّى مات[٣].

ودعا أبا هريرة، فقال له: علمت أنّي استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين! ثمّ بلغني أنّك ابتعت أفراساً بألف دينار وستّمائة دينار! قال: كانت لنا أفراس تناتجت، وعطايا تلاحقت. قال: حسبت لك رزقك ومؤونتك وهذا فضل فأدِّه. قال: ليس لك ذلك. قال: بلى وأُوجع ظهرك. ثمّ قام إليه بالدرّة فضربه حتّى أدماه. ثمّ قال: ائتِ بها. قال: أحتسبها عند الله. قال: ذلك لو أخذتها من

---

١. مسند أحمد ٥: ٢٣١، ح ١٧٣٥٧؛ كنز العمّال ١: ٦٦، ح ٢٤٣.

٢. المائدة (٥): ٧٩.

٣. راجع: تاريخ الطبري ٤: ٦٧ ـ ٦٨، حوادث سنة ١٧؛ الكامل في التاريخ ٢: ٥٣٦ ـ ٥٣٧، حوادث سنة ١٧.

حلال، وأدّيتها طائعاً! أجئت من أقصى حَجْر البحرين يجبي الناس لك، لا لله ولا للمسلمين؟ ما رجعت بك أُميمة ـ يعني أُمّه ـ إلّا لِرعية الحمر [١].

وفي حديث أبي هريرة: لمّا عزلني عمر عن البحرين، قال لي: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه، سرقت مال الله! فقلت: ما أنا عدوّ الله وعدوّ كتابه، ولكنّي عدوّ من عاداك، وما سرقت مال الله. قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ فقلت: خيل تناتجت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. قال: فقبضها منّي... [٢]. الحديث.

وكم لعمر مع عمّاله من أمثال ما فعله بخالد وأبي هريرة يعرفها المتتبّعون. عزل كلّاً من أبي موسى الأشعري، وقدامة بن مظعون، والحارث بن وهب، أحد بني ليث بن بكر، بعد أن شاطرهم أموالهم (١).

هذه مراقبة عمر لعمّاله، لا هوادة عنده لأحد منهم، لكنّ معاوية كان أثيره وخلصه، على ما كان من التناقض في سيرتيهما. ما كفّ يده عن شيء ولا ناقشه الحساب في شيء، وربما قال له: «لا آمرك ولا أنهاك» يفوّض له العمل برأيه.

وهذا ما أطغى معاوية، وأرهف عزمه على تنفيذ خططه الأُمويّة. وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره إزاء خطر فظيع، يهدّد الإسلام باسم الإسلام، ويطغى على نور الحقّ باسم الحقّ، فكانا في دفع هذا الخطر أمام أمرين لا ثالث لهما: إمّا المقاومة، وإمّا المسالمة. وقد رأيا أنّ المقاومة في دور الحسن تؤدّي

---

(١) فيما رواه الزبير بن بكار في كتابه الموفّقيّات ونقله عنه ابن حجر في ترجمة الحارث بن وهب في القسم الأوّل من إصابته [٣].

---

١. العقد الفريد ١: ٤٥ ـ ٤٦.

٢. الطبقات الكبرى ٤: ٣٣٥؛ العقد الفريد ١: ٤٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٤٢.

٣. الإصابة ١: ٧٠٠، الرقم ١٥١٢.

لا محالة إلى فناء هذا الصفّ المدافع عن الدين وأهله، والهادي إلى الله عزّ وجلّ، وإلى صراطه المستقيم؛ إذ لو غامر الحسن يومئذٍ بنفسه وبالهاشميّين وأوليائهم، فواجه بهم القوّة التي لا قبل لهم بها[١] مصمّماً على التضحية ـ تصميم أخيه يوم «الطفّ» ـ لانكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً، ولانتصرت الأُمويّة بذلك نصراً تعجز عنه إمكانيّاتها، ولا تنحسر عن مثله أحلامها وأُمنياتها؛ إذ يخلو بعدهم لها الميدان، تمعن في تيهها كلّ إمعان، وبهذا يكون الحسن ـ وحاشاه ـ قد وقع فيما فرّ منه على أقبح الوجوه، ولا يكون لتضحيته أثر لدى الرأي العامّ إلّا التنديد والتفنيد[٢].

---

(١) كما أوضحه الشيخ في كتابه هذا.

(٢) لأنّ معاوية كان يطلب الصلح ملحّاً على الحسن بذلك، وكان يبذل له من الشروط لله تعالى وللأُمّة كلّ ما يشاء، يناشده الله في حقن دماء أُمّة جدّه، وقد أعلن طلبه هذا فعلمه المعسكران، مع أنّ الغلبة كانت في جانبه لو استمرّ القتال، يعلم ذلك الحسن ومعاوية وجنودهما، فلو أصرّ الحسن ـ والحال هذه ـ على القتال، ثمّ كانت العاقبة عليه لعذله العاذلون وقالوا فيه ما يشاؤون.

ولو اعتذر الحسن يومئذٍ بأنّ معاوية لا يفي بشرط، ولا هو بمأمون على الدين ولا على الأُمّة، لما قبل العامّة يومئذٍ عذره، إذ كانت مغرورة بمعاوية كما أوضحناه. ولم تكن الأُمويّة يومئذٍ سافرةً بعيوبها سفوراً بيّناً بما يؤيّد الحسن أو يخذل معاوية، كما أسلفنا بيانه من اغترار الناس بمعاوية وبمكانته من أُولي الأمر الأوّلين، لكن انكشف الغطاء في دور سيّد الشهداء فكان لتضحيته ﷺ من نصرة الحقّ وأوليائه آثاره الخالدة، والحمد لله ربّ العالمين.

اقرأ فصل «سرّ الموقف» من هذا الكتاب[١].

---

١. راجع صلح الحسن ﷺ: ٢١٢ ومابعدها.

ومن هنا رأى الحسن عليه السلام أن يترك معاوية لطغيانه، ويمتحنه بما يصبو إليه من الملك، لكن أخذ عليه في عقد الصلح: أن لا يعدو الكتاب والسنّة في شيء من سيرته وسيرة أعوانه ومقويّة سلطانه، وأن لا يطلب أحداً من الشيعة بذنب أذنبه مع الأُمويّة، وأن يكون لهم من الكرامة وسائر الحقوق ما لغيرهم من المسلمين، وأن، وأن، وأن. إلى غير ذلك من الشروط التي كان الحسن عالماً بأنّ معاوية لا يفي له بشيء منها وأنّه سيقوم بنقائضها(١).

هذا ما أعدّه عليه السلام لرفع الغطاء عن الوجه الأموي المموّه، ولصهر الطلاء عن مظاهر معاوية الزائفة، ليبرز حينئذٍ هو وسائر أبطال الأُمويّة كما هم جاهليّين، لم تخفق صدورهم بروح الإسلام لحظة، ثأريّين لم تنسهم مواهب الإسلام ومراحمه شيئاً من أحقاد بدر وأُحد والأحزاب.

وبالجملة، فإنّ هذه الخطّة ثورة عاصفة في سلم لم يكن منه بدّ، أملاه ظرف الحسن، إذ التبس فيه الحقّ بالباطل، وتسنّى للطغيان فيه سيطرة مسلّحة ضارية.

ما كان الحسن ببادئ هذه الخطّة ولا بخاتمها، بل أخذها فيما أخذه من إرثه، وتركها مع ما تركه من ميراثه. فهو كغيره من أئمّة هذا البيت، يسترشد الرسالة في إقدامه وفي إحجامه. امتحن بهذه الخطّة فرضخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً طاهراً، لم تنجّسه الجاهليّة بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمّات ثيابها.

أخذ هذه الخطّة من صلح الحديبيّة فيما أثر من سياسة جدّه صلى الله عليه وآله، وله فيه

(١) اقرأ ما يتعلّق بنصوص المعاهدة وشروطها ومدى وفاء معاوية بكلّ منها في فصول هذا الكتاب[1].

١. راجع صلح الحسن عليه السلام: ٢٥٨ ومابعدها.

أُسوة حسنة، إذ أنكر عليه بعض الخاصّة من أصحابه، كما أنكر على الحسن صلح «ساباط» بعض الخاصّة من أوليائه، فلم يهن بذلك عزمه، ولا ضاق به ذرعه.

وقد ترك هذه الخطّة نموذجاً صاغ به الأئمّة التسعة ـ بعد سيّدي شباب أهل الجنّة ـ سياستهم الحكيمة، في توجيهها الهادئ الرصين، كلّما اعصوصب الشرّ. فهي إذاً جزء من سياستهم الهاشميّة الدائرة أبداً على نصرة الحقّ، لا على الانتصار للذات فيما تأخذ أو تدع.

تهيّأ للحسن بهذا الصلح أن يغرس في طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنّى له به أن يلغم نصر الأُمويّة ببارود الأُمويّة نفسها، فيجعل نصرها جفاءً، وريحاً هباءً.

لم يطل الوقت حتّى انفجرت أُولى القنابل المغروسة في شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره، إذ انضمّ جيش العراق إلى لوائه في النخيلة. فقال ـ وقد قام خطيباً فيهم ـ:

> يا أهل العراق، إنّي والله لم أُقاتلكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتزكّوا، ولا لتحجّوا، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون! ألا وإنّ كلّ شيء أعطيته للحسن بن عليّ جعلته تحت قدَمَيَّ هاتين![1].

فلمّا تمّت له البيعة خطب فذكر عليّاً فنال منه ونال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه، فقال له الحسن: «على رسلك يا أخي». ثمّ قام عليه السلام فقال: «أيّها الذاكر عليّاً! أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة

---

١. مقاتل الطالبيين: ٤٥ و٤٦؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٤ و١٥؛ بحار الأنوار ٤٤: ٤٩؛ تاريخ الإمام الزكيّ الحسن المجتبى عليه السلام، الباب ١٩، ح ٥.

وأُمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك عتبة، وجدّتي خديجة وجدّتك قُتَيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً!» فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين[١].

ثمّ تتابعت سياسة معاوية تتفجّر بكلّ ما يخالف الكتاب والسنّة من كلّ منكر في الإسلام، قتلاً للأبرار، وهتكاً للأعراض، وسلباً للأموال، وسجناً للأحرار، وتشريداً للمصلحين، وتأييداً للمفسدين الذين جعلهم وزراء دولته، كابن العاص، وابن شعبة، وابن سعيد، وابن أرطأة، وابن جندب، وابن السمط، وابن الحكم، وابن مرجانة، وابن عقبة، وابن سميّة الذي نفاه عن أبيه الشرعي عبيد، وألحقه بالمسافح أبيه أبي سفيان ليجعله بذلك أخاه، يسلّطه على الشيعة في العراق، يسومهم سوء العذاب، يذبّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويفرّقهم عباديد، تحت كلّ كوكب، ويحرق بيوتهم، ويصطفي أموالهم، لا يألو جهداً في ظلمهم بكلّ طريق.

ختم معاوية منكراته هذه بحمل خليعه المهتوك على رقاب المسلمين، يعيث في دينهم ودنياهم، فكان من خليعه ما كان يوم الطفّ، ويوم الحرّة، ويوم مكّة إذ نصب عليها العرّادات والمجانيق!

هذه خاتمة أعمال معاوية، وإنّها لتلائم كلّ الملائمة فاتحة أعماله القاتمة.

وبين الفاتحة والخاتمة تتضاغط شدائد، وتدور خطوب، وتزدحم محن، ما أدري كيف اتّسعت لها مسافة ذلك الزمن، وكيف اتّسع لها صدر ذلك المجتمع؟ وهي ـ في الحقّ ـ لو وزّعت على دهر لضاق بها وناء بحملها، ولو وزّعت على

---

١. مقاتل الطالبيين: ٤٥ و٤٦؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٤ و١٥؛ بحار الأنوار ٤٤: ٤٩؛ تاريخ الإمام الزكيّ الحسن المجتبى عليه السلام، الباب ١٩، ح ٥.

عالم لكان جديراً أن يحوّل جحيماً لا يطاق.

ومهما يكن من أمر، فالمهمّ أنّ الحوادث جاءت تفسّر خطّة الحسن وتجلوها. وكان أهمّ ما يرمي إليه سلام الله عليه، أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة، ليحول بينهم وبين ما يبيّتون لرسالة جدّه من الكيد.

وقد تمّ له كلّ ما أراد، حتّى برح الخفاء، وآذن أمر الأُمويّة بالجلاء، والحمد لله ربّ العالمين.

وبهذا استتبّ لصنوه سيّد الشهداء أن يثور ثورته التي أوضح الله بها الكتاب، وجعله فيها عبرةً لأُولي الألباب.

وقد كانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة، كلّ وجه منهما في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها، ويوازنه بالتضحية في سبيلها.

فالحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل الله، وإنّما صان نفسه يجنّدها في جهاد صامت، فلمّا حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنيّة قبل أن تكون حسينيّة.

وكان يوم ساباط أعرق بمعاني التضحية من يوم الطفّ لدى أُولي الألباب ممّن تعمّق؛ لأنّ الحسن عليه السلام أُعطي من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد.

وكانت شهادة «الطفّ» حسنيّة أوّلاً وحسينيّة ثانياً؛ لأنّ الحسن أنضج نتائجها، ومهّد أسبابها.

كان نصر الحسن الدامي موقوفاً على جلو الحقيقة التي جلاها لأخيه الحسين بصبره وحكمته، وبجلوها انتصر الحسين نصره العزيز وفتح الله له فتحه المبين.

وكانا عليهما السلام كأنّهما متّفقان على تصميم الخطّة: أن يكون للحسن منها دور

الصابر الحكيم، وللحسين دور الثائر الكريم؛ لتتألّف من الدورين خطّة كاملة ذات غرض واحد.

وقد وقف الناس بعد حادثتي ساباط والطفّ يمعنون في الأحداث فيرون في هؤلاء الأُمويّين عصبة جاهليّة منكرة، بحيث لو مثّلت العصبيّات الجلفة النذلة الظلوم لم تكن غيرهم، بل تكون دونهم في الخطر على الإسلام وأهله.

رأى الناس من هؤلاء الأُمويّين قردة تنزو على منبر رسول الله، تكشّر للأُمّة عن أنياب غول، وتصافحها بأيدٍ تمتدّ بمخالب ذئب، في نفوس تدبّ بروح عقرب.

رأوا فيهم هذه الصورة منسجمة شائعة متوارثة، لم تخفّف من شرّها التربية الإسلاميّة، ولم تطامن من لؤمها المكارم المحمّديّة، فمضغ الأكباد يوم هند وحمزة يرتقي به الحقد الأُموي الأثيم حتّى يكون تنكيلاً بربريّاً يوم الطفّ، لا يكتفي بقتل الحسين حتّى يوطئ الخيل صدره وظهره.

ثمّ لا يكتفي بذلك حتّى يترك عارياً بالعراء لوحوش الأرض وطير السماء، ويحمل رأسه ورؤوس الشهداء من آله وصحبه على أطراف الأسنّة إلى الشام. ثمّ لا يكتفي بهذا كلّه حتّى يوقف حرائر الوحي من بنات رسول الله على درج السبي!!!

رأى الناس الحسن يسالم فلا تنجيه المسالمة من خطر هذه الوحشيّة اللئيمة، حتّى دسّ معاوية إليه السمّ فقتله بغياً وعدواناً. ورأوا الحسين يثور في حين أُتيح للثورة الطريق إلى أفهامهم تتفجّر فيها باليقظة والحرّيّة، فلا تقف الوحشيّة الأُمويّة بشيء عن المظالم، بل تبلغ في وحشيّتها أبعد المدى.

وكان من الطبيعي أن يتحرّر الرأي العامّ على وهج هذه النار المحرقة منطلقاً إلى زوايا التاريخ وأسراره، يستنزل الأسباب من هنا وهناك بإمعان ويقظة، وسير

دائب يدنيه إلى الحقيقة، حقيقة الانحراف عن آل محمّد، حتّى يكون أمامها وجهاً لوجه، يسمع همسها هناك في الصدر الأوّل، وهي تتسارّ وراء الحجب والأستار، وتدبّر الأمر في اصطناع هذا «الداهية الظلوم الأُموي» اصطناعاً يطفئ نور آل محمّد، أو يحول بينه وبين الأُمّة.

نعم، أدرك الرأي العامّ ـ بفضل الحسن والحسين وحكمة تدبيرهما ـ كلّ خافية من أمر الأُمويّة وأُمور مسدّدي سهمها على نحو واضح.

أدرك ـ فيما يتّصل بالأُمويّين ـ أنّ العلاقة بينهم وبين الإسلام إنّما هي علاقة عداء مستحكم، ضرورة أنّه إذا كان الملك هو ما تهدف إليه الأُمويّة، فقد بلغه معاوية، وأتاح له الحسن، فما بالها تلاحقه بالسمّ وأنواع الظلم والهضم، وتتقصّى الأحرار الأبرار من أوليائه لتستأصل شأفتهم وتقتلع بذرتهم؟!

وإذا كان الملك وحده هو ما تهدف إليه الأُمويّة، فقد أُزيح الحسين من الطريق، وتمّ ليزيد ما يريد، فما بالها لا تكفّ ولا ترعوي، وإنّما تسرف أقسى ما يكون الإسراف والإجحاف في حركة من حركات الإفناء على نمط من الاستهتار، لا يعهد في تاريخ الجزّارين والبرابرة؟

أمّا ما أنتجته هذه المحاكمة لأُولي الألباب، فذلك ما نترك تقديره وبيانه للعارفين بمنابع الخير، ومطالع النور في التاريخ الإسلامي، على أنّا فصّلناه بآياته وبيّناته في مقدّمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، فليراجع.

ولِنكتفِ الآن بالإشارة إلى ما قلناه في التوحيد بين صلح الحسن وثورة الحسين، والتعاون بين هذين المظهرين على كشف القناع عن الوجه الأُموي المظلم، والإعلان عن الحقيقة الأُمويّة، فأقول عوداً على بدء: كانت شهادة الطفّ حسنيّة أوّلاً، وحسينيّة ثانياً. وكان «يوم ساباط» أعرق بمعاني الشهادة والتضحية من «يوم الطفّ» عند من تعمّق واعتدل وأنصف.

والفضل في كشف هذه الحقيقة إنّما هو لمولانا ومقتدانا علم الأُمّة، والخبير بأسرار الأئمّة، حجّة الإسلام والمسلمين، شيخنا المقدّس الشيخ راضي آل ياسين أعلى الله مقامه.

ذلك لأنّ أحداً من الأعلام لم يتفرّغ لهذه المهمّة تفرّغه لها في هذا الكتاب الفذّ الذي لا ثاني له، وها هو ذا مشرف من القمّة على الأُمّة، ليسدّ في مكتبتها فراغاً كانت في فاقة إلى سدّه، فجزاه الله عن الأُمّة وعن الأئمّة، وعن غوامض العلم التي استجلاها، ومخبّآته التي استخرجها ومحّص حقائقها، خير جزاء المحسنين، وحشره في أعلى علّيّين ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

حرّر في صور جبل عامل في الخامس عشر من رجب سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي

١. النساء (٤): ٦٩.

# (٢١)

# زكاة الأخلاق

(١)*

## [مكارم الأخلاق]

بعث الله محمّداً ﷺ بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات من توحيد الله تعالى، وتعظيمه بأنواع العبادات، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحفظ الجوار، ووفاء الذمام، وحبّ الوطن، وإحياء السنن، وإماتة البدع، والكفّ عن المحارم، والبعد عن الفواحش، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، واجتناب الزور، وهجران الشرور، وكتمان السرّ، وإعلان البرّ، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وإكرام الضيف، وتعاهد اليتيم، وإعطاء القانع، وصلة المعترّ، ومبرّة المسكين، ورحمة الأسير وابن السبيل، وإعانة الضعيف، وإدراك اللهيف، وإرشاد الضالّ، وتعليم الجاهل، وتعظيم الكبير، وتهذيب الصغير، والتعاون على البرّ، والاستباق إلى الخير، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، والإحسان إلى الناس.

ودفعِ السيّئة بالتي هي أحسن ﴿فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

---

* . طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ٩، رمضان ١٣٢٧.

١. فصّلت (٤١): ٣٤.

والاعترافِ بالحقّ، والإنصاف للخلق.

والشهادةِ بالقسط ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

والأخذِ بالفضل، والإعظام للقتل، والكفّ عن البغي، واجتناب الفساد في الأرض، ونصرة المظلوم، والأخذ على يد الظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاستراحة إلى العذر، والتأنّي عند الغضب، والصفح عند القدرة، والصبر على طوارق الدهر، وطلب الحكمة كأنّها ضالّته، والقناعة من الرزق بما قسم الله تعالى، والاقتصاد في الأمور، واختيار الوسط منها، وغضّ البصر وكفّ جميع الجوارح عمّا حرّم الله سبحانه.

وإصلاحِ السرّ؛ فإنّ من أصلح سرّه أصلح الله علانيته.

والعملِ للدين؛ فإنّ من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه.

وقبولِ الصلح من العدوّ إذا كان موافقاً للشرع؛ فإنّه ما عرض على قوم فأبوا إلّا ورثوا الحسرة والندامة.

والأخذِ بالحذر من العدوّ بعد صلحه؛ فإنّ مقاربته قد تكون لمكيدة.

والبعدِ عن الإدغال والتزلّف، والكفّ عن المدالسة والخداع؛ فإنّ ذلك من النفاق.

وتركِ المنّ بما يسديه المنعم؛ فإنّ المنّ يبطل الإحسان.

واجتنابِ الاستكثار؛ فإنّه يذهب بنور الحقّ.

والنزاهةِ عن الخلف بالوعد؛ فإنّه يوجب المقت ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[2].

---

١. المائدة (٥): ٨.

٢. الصفّ (٦١): ٣.

وتركِ العجلة بالأُمور قبل أوانها؛ فإنّها تورث الندامة.

والتجنّبِ من اللجاج فيها إذا اشتبهت؛ فإنّه طيش وسفاهة.

والإسراعِ إليها إذا استوضحت؛ فإنّ ذلك من الحزم.

وتركِ الاستبداد في الحقوق العامّة؛ فإنّ الله قد أوجب فيها المساواة.

والإقامةِ على العذر الواضح عند الله تعالى وعند الناس؛ فإنّه من الدين والعقل بمكان.

والبعدِ عن الدماء وسفكها بغير حلّها؛ فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها.

والبراءةِ من الشحّ والجبن؛ فإنّهما ينقصان المروءة.

والنزاهةِ من القسوة والغفلة؛ فإنّهما توجبان السخط، وتبعّدان عن الله تعالى.

والطهارةِ من الحسد؛ فإنّه موجع للقلب.

واجتنابِ الاحتكار في البيوع؛ فإنّ ذلك مضرّة للعامّة، وعيبٌ في السلطان.

والحذر من أن يكون الإنسان من المطفّفين ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١].

والارتيادِ للنفس في دار القرار؛ فإنّه ليس بعد الموت مستعتب.

وإكرامِها عن كلّ دنيّة؛ فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً.

وإطلاقِها من عبوديّة سواه تعالى؛ فإنّه قد جعلها حرّة.

وتنزيهِها عن الطمع؛ فإنّه يوردها موارد العطب.

ومقارنةِ أهل الخير؛ فإنّ من قارنها كان منهم.

---

١. المطفّفين (٨٣): ٢ ـ ٥.

ومباينةِ أهل الشرّ ؛ فإنّ من باينهم بان عنهم.

وتركِ الاتّكال على المُنى ؛ فإنّها بضائع النوكى.

وما لا يحصى ممّا اشتمل عليه الكتاب والسنّة. وكلام أميرالمؤمنين وأبنائه المعصومين صلوات الله عليهم. فالمستنّ بسنن نبيّه والمقتفي لأثره إنّما هو الكريم في خلقه، المهذّب في أفعاله. أمّا من فسدت أخلاقه أو ساءت نعوته، فإنّه مخالف لسننه المقدّسة، صادِفٌ عن شريعته الغرّاء، رجيمٌ بشهب الخذلان، طريد عن موارد الإحسان، مشوّه بمساوئ الخزي، مشهّر على مطيّة العار، يستشعر الدناءة، ويدثّر النقص والفضيحة، يرد مذموماً ويصدر مدحوراً.

أمّا من حاز مكارم الأخلاق فإنّه الأمثل بالصدّيقين، والأولى بسنن النبيّين والخلفاء الراشدين سلام الله عليهم أجمعين.

## (٢)*

# [شرف علم الأخلاق وأهمّيّته]

الأخلاق ملكات في النفس تقتفي صدور الأفعال بسهولة، والحقّ إمكان تغييرها؛ لعدم ما هو ذاتي(١) منها؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[١].
وقال رسول الله ﷺ: «بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق»[٢]؛ فإنّه لم يُبعث بالمحال.

وقال ﷺ: «حسّنوا أخلاقكم»[٣]؛ فإنّه لا يأمر بالممتنع.

وشواهد الإمكان من الكتاب والسنّة لا تحصى؛ على أنّ الوجدان شاهد بوقوع التغيير في الأخلاق، ووقوع الشيء أكبر دليل على إمكانه.

ألا ترى أنّ كثيراً من الأخيار أمسوا أشراراً، وكثيراً من الأشرار أصبحوا أخياراً، وربّ جبانٍ محجمٍ يكون بمعاشرة الشجعان ومصاحبة الفرسان وممارسة النزال ومعاركة الأهوال مقداماً شجاعاً. وربّ شجاعٍ يكون بمخالطة أهل الهلع والخوف وعلاقته معهم وإصغائه إليهم جباناً محجماً.

---

(١) فإنّ ما بالذات لا يزول بحكم العقل.

---

※. طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ١٠، شوّال ١٣٢٧.

١. الشمس (٩١): ٩.

٢. السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٣٢٣، ح ٢٠٧٨٢؛ كنز العمّال ١١: ٤٢٠، ح ٣١٩٧٣؛ مكارم الأخلاق للطبرسي ١: ٣٦.

٣. إحياء علوم الدين ٣: ٦١.

دع الإنسان، وعُجْ على أخلاق البهائم تجد الفرس الجموح يكون بـالعلاج منقاداً سلساً، والحيوان الوحشي يكون بالملاطفة آنساً.

ولو كان تغيير الأخلاق محالاً وزوالها مـمتنعاً، لبـطل التأديب والسـياسة، وكانت الشرائع والأديان عبثاً، وهذا من البديهيّات الأوّليّة، والقضايا المصحوبة بقياساتها وإن كابر في الإمكان من يترأّس بثياب العلماء وهو عن الفهم بمعزل، حيث أصرّ على أنّ مطلق الأخلاق لا يعقل زوالها وكافّة الخلال لا يمكن تغييره بلا عروة يستمسك بها، ولا برهانٍ يستضيء بنوره. بيد أنّه مقلّدٌ لشذاذٍ من قدماء الطبيعيّين المخالفين لجميع الشرائـع والأديـان، والحـاكـمين هـنا بـضدّ العـقل والوجدان، وكأنّه صار إلى قولهم طلباً للراحة وهرباً من مشقّة الرياضة؛ لأنّها على رأيهم من العبثيّات، وذلك أنّ مقاساة مشقّتها، والصبرَ على أعـباء كـلفتها لا يحسن إلّا إذا كان ذريـعةً إلى زوال الأخـلاق الفـاسدة، ووسـيلةً إلى تـطهير أرجاسها، وهذا لا سبيل إليه بناءً على ذلك الرأي الفاسد.

وأمّا على ما قلناه، فلا عذر لمن استشعر فساداً في أخلاقه، أو نـقصاً فـي نفسه حتّى يبذل جهده في إصلاح ما فسد من ملكاته، وإكمال ما نـقص مـن ذاته وصفاته.

ولا ينبغي لمن أسرف على نفسه وأولع فيما يـوبقها أن يـقوده القـنوط إلى الإعراض عن مجاهدتها، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَـنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَـنَا﴾[1]. ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَـقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[2].

---

١. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

٢. الزمر (٣٩): ٥٣.

لكن لمن أقلع عن ذنبه، وأناب إلى ربّه، وهذّب أخلاقه، وطهّر أعراقه؛ فإنّ مكارم الأخلاق من أعظم المنجيات الموصلة إلى السعادة الأبديّة، ورذائلَها من أكبر المهلكات الموجبة للشقاء السرمدي.

ألا وإنّ الإنسان روحٌ وبدن، ولكلٍّ منهما صحّة ومرض، والمتكفّل لبيان صحّة البدن ومرضه وأنواع معالجته إنّما هو علم الطبّ، والمتكفّل لبيان صحّة الروح بمكارم الأخلاق، ومرضِها برذائل الصفات، وتفصيلِ أدوائها وأقسام علاجها إنّما هو علم الأخلاق، فليطلبه من أراد الكرامة في دار المُقامة، وهو علم تُعرف به سعادة النفس وشقاؤها، وغايته إكمال الإنسان، وموضوعه النفس الناطقة وهي أشرف أنواع الأكوان، فيكون هذا العلم أشرف العلوم؛ لأنّ شرف العلوم بشرف موضوعه أو غايته.

## (٣) *

## [تزكية الأخلاق قبل الانهماك بطلب العلم]

لا ريب في أنّ الحياة الدائمة، والسعادة الأبديّة موقوفة على تهذيب الأخلاق وتزكيتها من شوب الدنس، وهذا لا يكون إلّا بالعمل على ما يقتضيه هذا الفنّ.

وقد عرفت أنّه من أشرف الفنون وأفضل العلوم، كان القدماء من الفلاسفة لا يطلقون العلم حقيقةً إلّا عليه، ويسمّونه الإكسير الأعظم، وكانوا يبالغون في تدريسه وتدوينه، والبحث عن إجماله وتفصيله على ما أدّت إليه غاية أنظارهم، أو بلغه مدى أفهامهم، ثمّ جاءت شريعة الإسلام ـ على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام ـ فاضمحلّ في جنبها جميع ما قرّره الحكماء أو صدعت به الرسل والأنبياء. وما زال في كلّ خلف من علماء الإماميّة من يرفع مناره ويصدع بوظائفه.

بَيْدَ أنّ جماعة في عصرنا تلبّسوا بثياب العلماء، وهم أسوأ حالاً من العامّة العمياء، قد نبذوه ظهريّاً، وكان لديهم نسياً منسيّاً، فمالوا عن وظائفهم، وترفّعوا بما يدّعون من معارفهم، وانهمكوا في جمع المال، وأغفلوا ما وراءهم من سوء المآل، وغلبهم حبّ الجاه، فهم له كادحون، وأسرتهم الدنيا، فهم لها ولمن في يديه شيءٌ منها عابدون، وليس ذلك إلّا لأنّهم لم يأتوا البيوت من أبوابها.

فيجب على طلبة العلم خصوصاً أن يبدؤوا بتزكية أخلاقهم، وتطهير قلوبهم وأعراقهم. فإذا أحرزوا المكارم، شرعوا في الفنون العربيّة، والعلوم الدينيّة، أو

* . طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ١١، ذي القعدة ١٣٢٧.

اللغات الأجنبيّة، والفنون الرياضيّة، أو غيرها من المعارف العصريّة؛ فإنّك لا تنتفع بعلمٍ ما لم يهذّبك صالح العمل.

وإليك مثلاً يوقفك على الحقيقة:

إذا كان الإنسان ذا علّة توجب سقماً في بدنه، وانحطاطاً في بنيته، فاشتغل عن علاجها واستئصال شأفتها بأكل الفواكه والمطبوخات والحلوى وسائر الطيّبات، فهل يجديه ذلك إلّا الفناء العاجل والحلول في قعر الرجم؟

وكذلك ذو الأخلاق السيّئة، والملكات الذميمة إذا انصرف عن علاجها إلى علم الصرف، أو تنحّى عن تهذيبها إلى علم النحو، أو أعرض عنها إلى علم العَروض، أو عرج على الفقه وهو لا يفقه مكارم الأخلاق، أو اجتهد في الرياضيّات قبل أن يرتاض.

ومن أعجب ما في الإنسان مبالغته في حفظ حياته الجسمانيّة، وعدم التفاته إلى حياته الروحانيّة؛ يطيع الطبيب اليهودي في شرب ما تَعافه الطبيعة، وتَنفَّرُ منه النفس؛ لاحتمال تحصيل صحّة بائدة، ويعصي الحكيمَ الربّانيَّ في تحصيل السعادة الدائمة. ولعلّ ذلك من عدم اليقين وضعف الإيمان، نسأل الله العصمة برحمته.

فالعاقل من اجتهد في تزكية نفسه قبل العطب في مفازة الشقاء، أو التردّي في هوّة العمى والضلالة.

ألا وإنّ للنفس الأمّارة لصوصاً تختلس مكنون الإيمان وتقطع سابلة التوبة، فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة قبل أن يقحموكم شفا جرف الهلكات، أو يولجوكم نيران الشهوات.

انشطوا لتربية أولادكم في حداثتهم؛ فإنّ نفوسهم حينئذٍ خالية عن كلّ ملكة، قابلة لانطباع الأخلاق فيها بسهولة كصحيفة بيضاء تقبل كلّ نقش يراد.

مرّنوهم على عبادة الله تعالى والخوف من أليم عذابه، وأدّبوهم بآداب الكتاب والسنّة، وشوّقوهم إلى ما أعدّ الله تبارك وتعالى لأهل الجنّة، وأبعدوهم عن أهل العقائد الفاسدة والأخلاق السيّئة؛ فإنّ القرب إليهم أوبى من ميكروب الوباء، وأقتل للنفس من الجهل والهمجيّة العمياء.

والريح آخذةٌ ممّا تمرّ به ... نتناً من النتن أو طيباً من الطيبِ

ومتى تفقّهوا في الدين، ورسخت فيهم عقائد المؤمنين، فلا جناح أن يتعلّموا الفلسفة وسائر الفنون المرغوبة في هذا العصر، بل ينبغي مع مَن به الكفاية لعلوم الإسلام أن يقوم منّا آخَرون، في البحث عن هذه الفنون وتطبيقها على القواعد الشرعيّة؛ فإنّ الصحيح من مسائلها لا يخالف الدين بل جلّ ما اكتشفه أهل الفلسفة الحاضرة موجود في الكتاب أو السنّة أو كلام أئمّة الهدى من آل محمّد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهنا أمر قلّ من يتنبّه إليه، وهو أنّ هذه العلوم قد هام بها الشرق، وأتلع مشرئبّاً إليها، ويوشك أن تطبق بلادنا، وتعكف عليها أبناؤنا وأحفادنا. فإن أعرضنا عنها كان الزعيم ببثّها والمستوي على عرش التدريس فيها إنّما هو الأجنبي، ويجدر به أن يُشرب في قلوبنا وينفث في أسماعنا أُموراً تخالف قواعد الدين، وتضرّ عقائد المسلمين من حيث لا نشعر بها، ولا نلتفت حتّى تكون فينا أخلاقاً راسخة، وملكات لا تزول يتطبّع بها أبناؤنا، وينشأ عليها أحفادنا، وحينئذٍ على الإسلام السلام.

أمّا إذا كنّا فيها على قدم راسخة، أفرغْنا قواعدها بقوالبَ لا تضرّ في الدين، ولا تمسّ ناموس المسلمين، ثمّ صدعْنا بأخذها عنّا وأنّها موروثة منّا ببراهينَ توجب القطع بذلك، وبهذا تكون من العلوم النافعة لتمدّن البلاد والعباد.

والسلام على من اتّبع الهدى والرشاد.

١٢

( ٤ )*

## [تهذيب النفس من سيّئات الأخلاق]

الأخلاق السيّئة أعظمُ صارفٍ عن المعارف الإلهيّة، والفيوضات الربّانيّة؛ ضرورةَ أنّ الأنوار العلميّة، والنفحات القدسيّة لا تحتجب عن الشخص لبخلٍ في المنعم جلّ وعلا، أو القصور في قدرته تعالى الله عن ذلك، وإنّما يحجبها عنه سوء أخلاقه، وما ران على قلبه من سوء عمله.

وكيف تشرق أنوار المعرفة في قلبٍ تضمَّن القسوةَ، وتخلّى من الخضوع، وتفرّغ للزخارف، وامتلأ من نوايا السوء، وأضمر الحقد والغلّ، وأكنّ الحسد والكبر، ومال إلى البهتان والزور، وجُبل على الغضب الذميم، والشهوات المردية.

كلّا إنّ «العلم(١) نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء»[1] ممّن هذّب أخلاقه وطهّر قلبه وكان كما قال أميرالمؤمنين وحامي بيضة الدين ـ سلام الله عليه ـ حيث وصف العلماء الربّانيّين بقوله: «هجم(٢) بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه

(١) هذا حديث نبوي على صاحبه وآله الصلاة والسلام.

(٢) لا يبلغ الواصف وإن أسهب، ولا يصف البليغ وإن أطنب، كنه هذه الكلمات، كما لا يخفى.

*. طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ١، الجزء ١٢، ذي الحجّة ١٣٢٧.

١. مصباح الشريعة: ١٦، الباب ٦. حكاه عن الصادق عليه السلام.

الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقة بالمحلِّ الأعلى»[١]. انتهى.

ألا وإنّ القلوب كالأواني لا يدخلها شيء، وهي مملوءة من غيره؛ فإنّ الآنية إذا كانت مملوءة من الماء لا يدخلها الهواء، والقلوب إذا كانت مشغولة بما يضادّ العلم لا تدخلها المعرفة، ولا تُشرق عليها النفحات القدسيّة.

أمّا إذا تفرّغت للعمل النافع، وغُسِل درنها بظهور المراقبة، وتخلّت من سورة القسوة، وتحلّت بزينة الخشوع، ورفعت عنها حجب السيّئات ورَين الخطيئات، فلا جرم تتفجّر منها ينابيع الحكمة، وتتفتّح لها أبواب الهداية، ويتّضح لذويها سبل المعرفة، فيكون أحدهم مصداقاً لقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «فزهر مصباح الهدى في قلبه...، وخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس»[٢]. انتهى.

ولا بدّ في تحصيل هذه المراتب أو بعضها من المجاهدة العظيمة، والمراقبة الدائمة، والمحاسبة بكلّ دقّة حتّى ينقى قلبه وتزكو أخلاقه.

نسأل الله التوفيق لذلك بلطفه وكرمه، إنّه أكرم الأكرمين.

---

١. نهج البلاغة: ٦٨٧، الحكمة ١٤٧.

٢. المصدر: ١٣٨، الخطبة ٨٧.

## (٥)*

## [الاهتمام بتربية الأولاد وتهذيب أخلاقهم]

إنّ من أهمّ الأُمور وأوكد الشؤون بذلَ الجهد في تـربية الأولاد، واسـتفراغ الوسع والطاقة في تهذيب أخلاقهم؛ فإنّ نفوسهم وقتئذٍ ساذجة تنطبع على مـا يراد، وقلوبهم خالية تميل إلى كلّ ما يمال بها إليـه، فـإذا شـبّوا عـلى مكـارم الأخلاق ومحاسن الصفات، شابوا عليها.

والولد أكبر أعمال أبيه، فإن عوّده الخير ـ فإنّ الخير عادة ـ سعدا جميعاً، وإن تركه هملاً كان الشقاء لهما سرمداً. وقد أمر الله بإرشاد الأهل وتزكية أخلاقهم، فقال ـ وهو الرؤوف الرحيم ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[1] بإرشادهم إلى حياة الأبد، وإبعادهم عن الشقاء السرمدي.

وحياة الأبد إنّما تكون بـمكارم الأخـلاق، والشـقاء بـارتكاب شـيء مـن الفواحش، وإنّ أولى أهلك بالوقاية، وأحقّهم منك بالإرشاد والهدايـة لَأولادك الذين هم بضعة منك، ولئن كنت تبالغ في حفظهم من أقلّ أذىً، وتصونهم عن أيسر مكروه، فأنت في وقايتهم من عذاب الأبد وشقاء السرمد أولى وأجـدر. نراك إذا انحرف مزاج أحدهم، أو عرض عارض على صحّته التي لا بدّ أن تبيد، ضاقت بك الدنيا برحبها أو تعرضَهم على الطبيب الماهر، وتستعملَ لهـم الدواء

* . طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ٢، الجزء ١، المحرّم ١٣٢٨.

١. التحريم (٦٦): ٦.

الناجع، فما بالك تنفق جميع همّك على صحّة البدن وهو فانٍ ألبتّة، ولا تبالي بصحّة النفس الباقية؟ أعاذنا الله من سبات العقل وخطل الآراء.

ينبغي للرجل أن يختار لنفسه من بيوتات النجابة زوجةً صالحة ذات دين متين، وأخلاق حسنة ليأمن منها على أولاده؛ فإنّ أوّل مدرسة يراها الصبيّ لَبيت أبيه وأُمّه، وأوّلَ معلّم يقرع مسامع الولد تعليمُه لَوالداه، وأوّلَ خليط يمتزج الطفل به فيتمذّق بمذاقه ويتخلّق بأخلاقه لَأُمّه يأوي إليها في نومه ويقظته ويصحبها ليلاً ونهاراً، والطبع مكتسب من كلّ مصحوب.

أجل تنبثّ الروح في جسده وهو في أحشائها ملاصقاً لفؤادها، ثمّ ينبت لحمه ويشتدّ عظمه على دمها ولبنها، فحريّ أن يكتسب من أخلاقها ويؤثّر فيه طبعها.

فإن احتاج إلى مرضعة غيرها فلا ترضعه إلّا امرأة عفيفة صالحة تأكل الحلال، ولا تباشر الحرام؛ فإنّ غذاءها إذا كان حراماً نبت لحم الرضيع عليه، فيكون بطبعه ميّالاً إلى الحرام، مولعاً بخبائث الأفعال.

ومن أقبح ما رأيت من بعض المترفين إرضاع أولادهم من المحضنات برغم أزواجهنّ، وفي ذلك ضروب من المحرّمات، وأنواع من المهلكات، وبه يكون الطفل جلّالاً كالدجاج يتربّى على العذرة، وينبت لحمه من الخبائث؛ فلا يفلح أبداً.

## (٦)*

# انتقاء الأصحاب

قال رسول الله ﷺ: «من أراد الله به خيراً، رزقه خليلاً صالحاً، إن نسي ذكّره، أو ذكر أعانه»[١].

يستفاد من هذا الحديث الشريف أنّه لا خير إلّا في صحبة رجل صالح من أهل المعرفة، بحيث يذكّرك الله والدار الآخرة إن نسيت، ويعينك إن ذكرت.

وقال ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[٢].

وقال ﷺ: «مثل الأخوين مثل اليدين، تغسل إحداهما الأُخرى»[٣].

لا يخفى ما في هذا الحديث من الإيماء إلى أنّ الصحبة الحسنة مشروطة بالتعاون على غسل الذنوب. ولذلك شبّههما ﷺ باليدين تغسل إحداهما الأُخرى.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «عليكم بالإخوان، فإنّهم عدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمعون إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»[٤].

وفيه دلالة على أنّه ينبغي أن تؤثر بالصحبة مَن يكون لك عدّةً في الدنيا

---

*. طبع هذا القسم في مجلّة العرفان، ج ٢، الجزء ٣، ربيع الأوّل ١٣٢٨.

١ و٣. إحياء علوم الدين ٢: ١٧٢.

٢. المستدرك على الصحيحين ٥: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ح ٧٣٩٩ ـ ٧٤٠٠؛ الأمالي للطوسي: ٥١٨، المجلس ١٨، ح ٤٢؛ كنز العمّال ٩: ٢١، ح ٢٤٧٣٢.

٤. مستدرك الوسائل ٨: ٣٢٣، الباب ٧ من أبواب أحكام العشرة، ح ٦. والآيتان في سورة الشعراء (٢٦): ١٠٠ ـ ١٠١.

وشفيعاً في الآخرة، من صلحاء المؤمنين وأبرار علمائهم.

وقال الإمام أبو محمّد الزكيّ ـ سلام الله عليه ـ، من موعظةٍ طويلة وعظ بها بعضَ أصحابه، وكان إذ ذاك قد لفظ طائفةً من كبده بما جرّعه[1] معاوية من السمّ بيد زوجته بنت الأشعث بن قيس[2]: «وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإن قعدتْ بك مؤونة مانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صُلْتَ شدّ صولك، وإن حاولتما أمراً أمّرك،

---

(١) لا ريب عندنا في أنّ الذي أمر بنت الأشعث بسمّ الحسن عليه السلام إنّما هو معاوية؛ تمهيداً لمبايعة يزيد. وهذا أمر لا يختلف فيه منّا اثنان، وبه تواترت الأخبار عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام [1].

ونقل ابن أبي الحديد في أوائل الجزء السادس عشر من شرح النهج [2] عن أبي الفرج الأُموي:

إنّ معاوية أرسل إلى بنت الأشعث بن قيس ـ وهي تحت الحسن ـ فقال لها: إنّي مزوّجك بابني يزيد على أن تسمّي الحسن، وبعث إليها بمائة ألف درهم ففعلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه.

ـ قال: ـ وتوفّي الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقّاص في أيّام متقاربة، وذلك بعدما مضى من ولاية معاوية عشر سنين.

ـ قال: ـ وكانوا يرون أنّه سقاهما السمّ. انتهى.

(٢) هذه الموعظة للحسن موجودة في بحار الأنوار، وهي من أبلغ كلام أهل البيت عليهم السلام [3].

---

١. راجع: مقاتل الطالبين: ٣١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ١٦؛ تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٨٤، الرقم ١٣٨٣.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٩.

٣. بحار الأنوار ٤٤: ١٣٩ ـ ١٤٠، تاريخ الإمام الزكي الحسن المجتبى عليه السلام، الباب ٢٢، ح ٦. راجع أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١١٣؛ مستدرك الوسائل ٨: ٢١١، الباب ٢٤ من أبواب آداب السفر...، ح ١.

وإن تنازعتما في شيءٍ آثرك، وإن مددت يدك بخير مدّها، وإن بدرتْ منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ ابتدأك، وإن نزلتْ بك إحدى الملمّات واساك. مَن لا تأتيك منه البوائق، ولا يخذلك عند الحقائق».

فكأنّه عليه السلام أراد أن يجمع حقوق الصحبة بأسرها، ويشترط أن يكون الصاحب قائماً بجميعها، فيكون حينئذٍ مصداقاً لقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

إنّ أخاك الصدق من كان معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتّت فيه شمله ليجمعك[1]

وقال الصادق عليه السلام: «لا تصحب خمسة:

الكذّاب؛ فإنّك منه على غرور، وهو مثل السراب، يقرّب منك البعيد، ويبعّد عنك القريب.

والأحمق؛ فإنّك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرّك.

والبخيل؛ فإنّه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان؛ فإنّه يسلمك عند الوثبة، ويفرّ عنك عند الشدّة.

والفاسق؛ فإنّه يبيعك بأكلة أو أقلّ منها».

فقيل له: وما أقلّ منها؟ قال: «الطمع فيها ثمّ لا ينالها»[2].

وقال أميرالمؤمنين لابنه الحسن الزكيّ عليهما السلام: «يا بنيّ، إيّاك ومصادقة الأحمق؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك.

وإيّاك ومصادقة البخيل؛ فإنّه يبعّد عنك أحوج ما تكون إليه.

وإيّاك ومصادقة الفاجر؛ فإنّه يبيعك بالتافه ـ أي القليل ـ.

---

١. حكاه عنه الغزالي في إحياء علوم الدين ٢: ١٨٧، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٨: ١١٣.

٢. الكافي ٢: ٦٤١، كتاب العشرة، باب من تكره مجالسته ومرافقته، ح ٧ بتفاوت.

وإيّاك ومصادقة الكذّاب؛ فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد، ويبعّد لك القريب»[١].

وقال ﷺ: «لا يكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته»[٢].

وله ـ سلام الله عليه ـ نواهٍ عن مصاحبة الأحمق كثيرةٌ، منها قوله:

فلا تـصحب أخـا الجـهلِ — وإيّـــاكَ وإيّـــاهُ
فكـم مـن جـاهلٍ أردى — حـليماً حـين آخـاهُ
يُـقاس المـرء بـالمرءِ — إذا مـا المـرء مـاشاهُ
وللشـيء مـن الشـيء — مـقاييسٌ وأشـباهُ
وللـقلب عـلى القـلب — دليـلٌ حـين يـلقاهُ[٣]

أجل، إنّه لا خير في صحبة الأحمق؛ لأنّ غايتها الوحشة والقطيعة، وعاقبتها الإثم والندامة.

حتّى قال بعضهم: النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة.

وقيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله.

وذلك لأنّ صاحبه مُلْقٍ بيده إلى الشرّ، مخاطرٌ بجاهه ونفسه وعرضه ودينه.

ولذا كانت مودّته أعظم ضرراً من عداوة العاقل، كما قال بعض الحكماء في شعره ـ وإنّ من الشعر لَحكمةً ـ:

إنّـي لآمَـن مِـن عـدوٍّ عـاقلٍ — وأخاف خِـلّاً يـعتريه جـنونُ
فـالعقل فـنٌّ واحـدٌ وطـريقه — أدري فأرصِدُ والجنونُ فنونُ[٤]

---

١. نهج البلاغة: ٦٦٠، الحكمة ٣٨.

٢. المصدر: ٦٨١ ـ ٦٨٢، الحكمة ١٣٤.

٣. حكاه عنه الغزالي في إحياء علوم الدين ٢: ١٨٦، والمتّقي الهندي في كنز العمّال ٩: ١٧٩، ح ٢٥٥٩٢.

٤. حكاه الغزالي أيضاً في إحياء علوم الدين ٢: ١٨٦.

وقال ابن أبي الحديد:

| | |
|---|---|
| حياتَكَ لا تصحبنَّ الجهول | فلا خيرَ في صحبةِ الأخرقِ |
| يظنّ أخو الجهل أنّ الضلا | ل عين الرشاد فلا يتّقي |
| ويُكسب صاحبه حمقةً | فيسرقُ منه ولم يسرقِ |
| وأُقسمُ أنّ العدوّ اللبيب | خيرٌ من المشفقِ الأحمقِ [1] |

إنّ الأحمق إذا ساوره الغضب أو الطمع أو الشهوة أو البخل أو الجبن، أطاع هواه، وهدم من مجده جميع ما بناه، وقَلَب لحميمه ظهر المجنّ، فخذله مع الخاذلين، وحاربه مع المحاربين، ونسي الفضل بينهما، فأيّ خيرٍ في صحبة الأحمق؟ يريد أن يزينك فيشينك، ويحاول أن ينصرك فيخذلك، يضرّك وهو الحريص على نفعك.

فأيّ خير في صحبته؟ إنّ في صحبته أنواعَ الضرر وأقسامَ الخطر، أقلّها سراية الحمق إلى رفيقه، كما دلّ عليه الكلام السابق لأمير المؤمنين، ولذلك قال عليه السلام: «لا تصحب المائق ـ أي الأحمق ـ فإنّه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله»[2].

صور ـ ابن شرف الدين

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٥٧.

٢. نهج البلاغة: ٧١٨، الحكمة ٢٩٣.

( ٢٢ )

# بغية الفائز في جواز نقل الجنائز

# الشهرستاني ونقل الأموات*

رأيت الفاضل الشهرستاني في الجزء الثاني والثالث من مجلّة العلم يُطلِق القول بتحريم نقل الأموات، ويعمّم التنديد به غير مفصّل بين ما كان منه قبل الدفن وبعده، ولا بين ما كان منه موجباً لهتك الميّت وغيره، ووجدته يذود عن جميع الأفراد بسوط واحد، وقد بلغ في تحامله كلّ مبلغ، وأرجف إرجافاً لا يُرجفه إلّا صحافيّ من أبناء النيرك أو رجل من ناشئة اليابان، حتّى ختم كلامه في الجزء الثالث من المجلّد الثاني بنقل أُمور لا يَتوهّم صدقها ذو مسكة، ولا يحبّ سماعها ذو وجدان.

وما كنّا نرضى لمثله أن يحتجّ بالتهويل، أو يجنح إلى بهتان القال وزور القيل، ولا كنّا نظنّه يتقوّل على العلماء، أو يخبط في أحكام الدين خبط عشواء، ولا كان في مرآة الخيال، ولا مسرحِ البال أن يجرؤ ـ وهو في النجف الأشرف ـ على مخالفة الإجماع، أو يجسر على عدم المبالاة بالسيرة والنصوص المنجبرة بعمل الأصحاب. وأُعيذه بالله أن ينسج على منوال من يجتهد في مقابل الدليل، أو يسلك سبيلَ من لا يعتمد إلّا على فلسفة جهله من ناشئة هذا الجِيل.

نقل الأموات إمّا قبل الدفن، أو بعده، إلى أحد المشاهد المقدّسة،

---

* . طبعت هذه المقالة في مجلّة العرفان، ج ٣، الجزء ٢٢ و ٢٤، ذي القعدة وذي الحجّة ١٣٢٩.

أو إلى غيرها. فهنا أربع مسائلَ:

**المسألة الأولى**: نقلهم قبل الدفن إلى أحد المشاهد المشرّفة؛ فإنّه مستحبٌ عندنا، كما في كشف اللثام[1].

وفي مفتاح الكرامة ـ نقلاً عن التذكرة والذكرى وجامع المقاصد والروض ـ:

أنّ عليه عملَ الإماميّة من زمن الأئمّة عليهم السلام (١) إلى الآنَ من غير تناكر فكان إجماعاً[2]. انتهى.

وفي الجواهر: بل هو أقوى منه بمراتبَ[3]. انتهى.

وفي المعتبر:

أنّه مذهب علمائنا خاصّةً، وعليه مذهب الأصحاب، وهو مشهور بينهم لا يتناكرونه[4]. انتهى.

---

(١) هذا وما بعده إلى آخر المبحث يكذب قول الشهرستاني في صفحة ٥١ من المجلّد الثاني:

كان دين الإسلام ـ على مبلّغه السلام ـ من مبدأ أمره يمنع نقل الموتى. إلى آخره.

وقولَه في صفحة ٥٠: شاع بعد القرن الرابع جواز نقل الموتى إلى مشاهد الأئمّة إلى آخره.

ومن وقف على ما نقلناه هنا عن علمائنا ـ رضي الله عنهم ـ علم تقوّل الشهرستاني عليهم؛ حيث قال في صفحة ٥٤:

أنظار المانعين من نقل الموتى حتّى إلى المشاهد، بأنّا لا نعرف قائلاً بذلك على الإطلاق فليدلّنا عليه إن كان من الصادقين.

---

١. كشف اللثام ٢: ٤١٣.

٢. مفتاح الكرامة ٤: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٣. جواهر الكلام ٤: ٥٩٥.

٤. المعتبر ١: ٣٠٧.

**قلت** : بل هو مشهور بين جميع المسلمين، وعليه عملهم من زمن الصحابة إلى الآنَ، والتاريخ شاهد صدق على ذلك. قال ابن عبد البرّ في ترجمة سعد من الاستيعاب:

ومات سعد بن أبي وقّاص في قصره بالعقيق ـ على عشرة أميال من المدينة ـ وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ودفن بالبقيع[١]. انتهى.

ومن راجع الاستيعاب[٢] وأُسد الغابة[٣] والإصابة[٤] وجد جماعة من مشهوري الصحابة ماتوا خارجَ المدينة فنقلوا إليها، كأبي هريرة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما.

وقد نقلت جنائزُ كثير من مشاهير أهل السنّة فشيّعها علماؤهم الأعلام والألوف المؤلّفة من لفيف الإسلام، فلم ينكر ذلك أحد منهم ولا ممّن تأخّر عنهم.

وفيما ذكره ابن خلّكان ـ ممّن نقلت جنائزهم من العلماء والأُمراء والوزراء ـ كفاية، فراجع من وفياته تراجم من نذكر في هذه المقالة أسماءهم(١) لتعلم الحقيقة.

---

(١) كلّ من نخبر عنه في هذه المقالة أنّه نقل قبل الدفن أو بعده ولا نذكر المأخذ فإنّما ننقله عن ترجمة ذلك الميّت المنقول من وفيات الأعيان، وإذا نقلنا من غير الوفيات ذكرنا المدرك في أصل المقالة، وربما لم تكن في الوفيات ترجمة لبعض المنقولين على حدة وإنّما يكونون مذكورين في تراجم غيرهم، فهؤلاء سنبيّن في أصل المقالة مستندنا في النقل عنهم أيضاً.

---

١. الاستيعاب ٢: ٦١٠، الرقم ٩٦٣.

٢. الاستيعاب ٤: ١٧٧١ ـ ١٧٧٢، الرقم ٣٢٠٨؛ ٢: ٦٢٠، الرقم ٩٨٢.

٣. أُسد الغابة ٦: ٣٣٩، الرقم ٦٣١٩؛ ٢: ٤٥٨، الرقم ٢٠٧٦.

٤. الإصابة ٧: ٣٦٢، الرقم ١٠٦٨٠؛ ٨٨، الرقم ٣٢٧١.

هذا إمام الحرمين وأعلم المتأخّرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق أبوالمعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني، المجمع على إمامته والمتّفق على تفضيله، مات سنة ٤٨٧ في بشتنقان[١] عن أربعمائة تلميذٍ تقريباً كلّهم من العلماء، فكسروا محابرهم وأقلامهم حزناً عليه، وحملوا جنازته إلى نيسابور، وصلّى عليه ولده أبو القاسم، فأُغلقت الأسواق يومئذٍ، ودفنوه في داره، ثمّ أخرجوه من قبره بعد سنين، ونقلوه إلى مقبرة الحسين فدفنوه جنب أبيه[٢].

وهذا إمام الأشاعرة ومؤسّس مذاهبهم أبو بكر محمّد بن الحسن بن فورك، المتكلّم الأُصولي الأديب النحوي الواعظ الإصفهاني الشهير، مات في طريق نيسابور سنة ٤٠٦، فلم يدفنوه حيث مات، وإنّما حملوه إلى نيسابور، فدفنوه بحيرتها رغبةً منهم بدفنه في مقبرة المسلمين ليناله يُمن جوارهم[٣].

وكذلك بأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى الكلبي الأشهبي الغزّي، حيث مات سنة ٥٢٤ ما بين مرو وبلخ، فحُمل نعشه إلى بلخ فدفن بها[٤].

ومثله الملك المظفّر تقيّ الدين أبو سعيد عمر بن شاهنشاه الأيّوبي صاحب حَماةَ، حيث مات سنة ٥٨٧ محاصراً لقلعة «منازْكَرْد» من نواحي خِلاط، فنُقل إلى حَماةَ فدفن بها[٥].

وهذا السلطان أبو مضر زيادة الله بن محمّد بن الأغلب، مات بالرَّقَّة سنة ٢٩٦، وحُمل إلى القدس فدُفن بها.

---

١. «بُشْتَنِقان» قرية من أعمال نيسابور، موصوفة باعتدال الهواء وخفّة الماء. راجع معجم البلدان ١: ٤٢٥.

٢. وفيات الأعيان ٣: ١٦٩، الرقم ٣٧٨.

٣. المصدر ٤: ٢٧٢، الرقم ٦١٠.

٤. المصدر ١: ٦٠، الرقم ١٨.

٥. المصدر ٣: ٤٥٧، الرقم ٥٠١.

ذكر ذلك جماعة منهم: ابن خلّكان في آخر ترجمة الحسين بن أحمد المعروف بالشيعي(١) [١].

وهذا القاضي بهاء الدين الشهروزي، مات سنة ٥٣٢ بحلب، وحُمل إلى صفّين فدُفن بها تبرّكاً بمجاورة المستشهدين فيها من الصحابة، كعمّار وخزيمة وابني بديل وغيره.

نصّ على ذلك جماعة كابن خلّكان في آخر ترجمة زنكي بن آق سنقر من وفياته[٢].

وهذا الملك الأفضل أبو الحسن عليّ بن السلطان صلاح الدين الأيّوبي، مات بسميساط، ونقل إلى حلب، فدفن بالقرب من مشهد الهروي، وذلك في سنة ٦٢٢[٣].

وهذا أبو الفضل جعفر المعروف بـ«ابن حنزابة» الوزير الخطير والعالم الكبير، مات سنة ٣١٩ بمصر، فحمل إلى الحرمين، وخرجت الأشراف إلى لقائه، فحجّوا به وطافوا ووقفوا بعرفة، ثمّ حملوه إلى المدينة الطيّبة ودفنوه في دار أُعدّت له.

نصّ على ذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٤] وغير واحد من المؤرّخين.

---

(١) هذا الشيعي هو الذي ملك أفريقيّة وهرب منه ملكها زيادة الله المذكور.

---

١. المصدر ١: ١٩٣، الرقم ١٩٩.

٢. المصدر ٢: ٣٢٩، الرقم ٢٤٥.

٣. المصدر ٣: ٤٢١، الرقم ٤٨٦.

٤. تاريخ مدينة دمشق ٧٢: ١٤٢، الرقم ٩٨٠٩.

وهذا أبو حسن عليّ الملقّب جلال الدين بن الجواد الإصفهاني، مات سنة ٥٧٤ بمدينة دنيسر [١]، وحُمل إلى الموصل، ثمّ إلى المدينة المنوّرة فدفن بها.

نصّ على ذلك ابن خلّكان في آخر ترجمة محمّد بن علي المعروف بالجواد الإصفهاني [٢].

وستسمع أنباء آخَرين من مشاهير المسلمين نقلت جنائزهم بعد الدفن بلا نكير ولا انتقاد، وذلك يدلّ على جوازه عندهم في هذه المسألة ـ أعني مسألة النقل قبل الدفن إلى أحد المشاهد ـ بطريقٍ أولى، وبه يعلم أنّ سيرة المسلمين بأجمعهم مستمرّة على ذلك لا يتناكرونه، وكفى به دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً.

ويدلّ عليه في مسألتنا هذه ـ مضافاً إلى إجماع الأصحاب وسيرتهم القطعيّة وكونِه مقتضى الأصل ـ اُمور:

**الأوّل**: نقل جنازة إسماعيل ابن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام من العريض ـ وقد مات بها ـ إلى المدينة الطيّبة بأمر أبيه أو تقريره عليه السلام.

نصّ على ذلك جماعة منهم شيخنا المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ في صفحة ٣٠٤ من إرشاده [٣].

**الثاني**: خبر اليماني عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وهو مشهور، فراجعه في إرشاد القلوب [٤] أو كتاب فرحة الغريّ.

---

١. دُنَيْسَر: بضمّ الدال وفتح النون وسكون الياء وفتح السين وبعدها راء، وهي مدينة بالجزيرة الفراتيّة بين نصيبين ورأس عين. معجم البلدان ٢: ٤٧٨.

٢. وفيات الأعيان ٥: ١٤٦ ـ ١٤٧، الرقم ٧٠٤.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ٢٠٩.

٤. إرشاد القلوب ٢: ٣٤٨، فضل مشهده الشريف الغروي.

**الثالث** : حديث عليّ بن سليمان قال: كتب إليه ـ صلوات الله عليه ـ عن الميّت يموت بعرفات: يدفن بعرفات، أو ينقل إلى الحرم؟ فأيّهما أفضل؟ فكتب: «يحمل إلى الحرم ويدفن [فهو] أفضل»[١].

ومثله خبر سليمان عن أبي الحسن عليه السلام[٢].

**الرابع** : الأخبار المستفيضة الصحيحة الدالّة على استحباب الدفن في المشاهد المباركة[٣]؛ ضرورةَ أنّ الأمر بالشيء ندباً أمر بمقدّماته كذلك.

**الخامس** : ما علمه الناس طرّاً من اختلاف الصحابة(١) في دفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة المهاجرين حمله إلى مكّة؛ لأنّها مسقط رأسه وموطن أهله، وإصرار آخَرين على حمله إلى بيت المقدس؛ لأنّه مدفن الأنبياء، ومنه معراجه إلى السماء. وقالت الأنصار: بل ندفنه في المدينة؛ لأنّها دار هجرته ومحلّ نصرته.

هذه حجّة الأنصار لم يُنقَل عنهم سواها، وأنت تعلم أنّه لو كان النقل حراماً لما أغفلوا الاحتجاج به، بل لو كان فيه أدنى شبهة لتشبّثوا بها.

على أنّه لو كان محظوراً لما حصل هذا النزاع أصلاً.

---

(١) ذكر هذا الاختلاف عنهم علماء الفريقين، فراجع كلام الشهرستاني في الخلاف الرابع من اختلافات الصحابة التي أوردها في المقدّمة الرابعة من كتاب الملل والنحل[٤].

---

١. الكافي ٤: ٥٤٣، باب النوادر، ح ١٤؛ تهذيب الأحكام ٥: ٤٦٥، ح ١٦٢٤.

٢. تهذيب الأحكام ٥: ٤٦٥، ح ١٦٢٥.

٣. راجع: وسائل الشيعة ٣: ١٦٢ ـ ١٦٤، الباب ١٣ من أبواب الدفن؛ مستدرك الوسائل ٢: ٣٠٨ ـ ٣١٤، الباب ١٣ من أبواب الدفن وما يناسبه.

٤. الملل والنحل ١: ٢٣.

وقد ذكر أصحابنا أنّ سبب اجتماع الصحابة على دفنه ﷺ في مسجده المطهّر بعد هذا الاختلاف إنّما هو قول عليّ: «قبض رسول الله ﷺ في أشرف البقاع فليدفن بها»[١].

وقال غيرنا: بل لرواية رواها أبو بكر عن النبيّ ﷺ تقتضي دفنه حيث قبض[٢].

هذا غاية ما ذكره الفريقان في سبب اتّفاق الصحابة على عدم نقله ﷺ، ولو كان حراماً لأبانه المعصوم يومئذٍ قطعاً.

**السادس**: ما صحّ عند الفريقين من حمل يوسف جنازة أبيه يعقوب عليهما السلام من مصر ودفنه في بيت المقدس عند أبيه إسحاق عليه السلام.

نقله العلّامة الطبرسي في آخر تفسير سورة يوسف قبل انتهاء المجلّد الثاني من مجمع البيان[٣] بورقتين عن كتاب النبوّة، مسنداً إلى محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام، ونقله أيضاً مرسلاً عن سعيد بن جبير.

وأخرجه الفاضل الراوندي في كتابه قصص الأنبياء[٤] عن الباقر عليه السلام.

وذكره ابن الشحنة في أوّل صفحة ١٨ من تاريخه روضة المناظر المطبوع في هامش المجلّد الأخير من كامل ابن الأثير.

وعن ابن إسحاق: أقام يعقوب بمصر ٢٢ سنة، ثمّ توفّي ودفن بالشام[٥]. انتهى.

---

١. بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٤، تاريخ نبيّنا ﷺ، باب وفاته وغسله و...، بعد ح ٦ بتفاوت في الألفاظ.

٢. راجع: تاريخ الطبري ٣: ٢١٣، حوادث سنة ١١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٣٣٢، حوادث سنة ١١؛ البداية والنهاية ٥: ٢٨٧، حوادث سنة ١١.

٣. مجمع البيان ٥: ٢٦٦، ذيل الآية ١٠١ من سورة يوسف (١٢).

٤. قصص الأنبياء للراوندي: ١٣٥.

٥. حكاه عنه المحقّق النجفي في جواهر الكلام ٤: ٣٤٧.

والذين صرّحوا بهذا لا يحصون وهو من المسلّمات.

**فإن قلت**: ربّما يكون هذا منسوخاً بشريعتنا.

**قلت**: إنّما فعله يوسف؛ لما فيه من اليمن لأبيه بسبب دفنه في مشاهد الأنبياء، وهذا ذاتيٌّ لمجاورتهم عليهم السلام فلا يأتي فيه النسخ.

على أنّه ليس الظاهر من نقل أئمّتنا لهذا الخبر وأشباهه عن الأنبياء إلّا إرادة العمل بمضمونه، ولو كان ذلك منسوخاً لبيّنوه حينئذٍ قطعاً.

وربما يقال: إنّ مدّعي النسخ عليه الإثبات.

وحسبك في رجحان النقل إلى المشاهد الشريفة [ما] عن الفاضل المقداد أنّه قال:

> تواترت الأخبار الدالّة على أنّ الدفن في مشاهد الأئمّة مسقط لسؤال منكر ونكير، والدفن عند رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل[1].

ولذلك أراد المؤتمن إسحاق بن الصادق عليه السلام لمّا توفّيت زوجته السيّدة نفيسة في مصر ـ وذلك في رمضان سنة ٢٠٨ ـ أن يحمل جنازتها من مصر إلى المدينة ويدفنها عند جدّها صلى الله عليه وآله، فلمّا عزم على ذلك سأله المصريّون بقاءها عندهم؛ لينالوا رحمة من الله تعالى بجوارها، فأجابهم.

ولولا استحباب النقل، ما عزم عليه هذا الرجل من سادة أهل البيت، وأعرف الناس بالسنّة.

وقد نقل هذه القضيّة عنه جماعة كثيرون، منهم ابن خلّكان في ترجمة السيّدة نفيسة من وفياته[2].

---

١. سمعه المحقّق النجفي عن بعض مشايخه، كما صرّح به في جواهر الكلام ٤: ٥٩٩.

٢. وفيات الأعيان ٥: ٤٢٤، الرقم ٧٦٧. راجع أيضاً شذرات الذهب ٢: ٢١، حوادث سنة ٢٠٨.

هذا كلّه مع قطع النظر عن ملاحظة نفس الأرض وما ورد فيها من الفضل والبركة، ولذلك مدخليّة في مسألة الدفن، كما يشعر به الحديث الذي أخرجه البخاري في باب وفاة موسى من كتاب بدء الخلق في الجزء الثاني من صحيحه[١]. وأخرجه مسلم في باب فضائل موسى من كتاب الفضائل من صحيحه: أنّ موسى عليه السلام لمّا حضرته الوفاة سأل ربّه أن يدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر[٢].

وقد ورد في فضل الغريّ أنّه: يحشر منه سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب، كلّ واحد منهم يشفع بكذا وكذا[٣]. وتمسّكاً بهذا وأمثاله هرع المؤمنون بأمواتهم من بقيّة المشاهد إلى الغريّ.

لكنّ الشهرستاني لا يقنع بسيرة المسلمين، ولا يعجبه إلّا ما يؤثر عن الغربيّين، فهو معذور بقوله في صفحة ٥٤: «ومن المفرطين» إلى آخر كلامه المُعربِ عن بلوغه الغايةَ في التمدّن، سامحه الله وهداه.

## المسألة الثانية: نقل الأموات قبل دفنهم إلى غير المشاهد المشرّفة

كما فعلوا أمسِ بجنازة مفتي الديار المصريّة الشيخ محمّد عبده، حيث نقلوها من الإسكندريّة إلى مصر.

وجنازةِ أدهم باشا الشهير، حيث نقلوها ـ كما في عدد ٤٤٩ من جريدة العمران ـ من مصر إلى الآستانة[٤].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٢٥٠، ح ٣٢٢٦.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٤٢، كتاب الفضائل، ح ١٥٨.

٣. بحار الأنوار ٩٧: ٢١، كتاب المزار، باب فضل النجف و...، ح ٢١.

٤. وقد نقلت جثّة أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب من الآستانة إلى «الحدث» قرب بيروت وطنه الأصلي، وأمثال ذلك لا تحصى. (العرفان)

وجنازةِ عبدالله بن أحمد بن غالب القرطبي، حيث مات سنة ٤٠٥ بـالبيرة، وحمل ـ كما في ترجمة ولده أبي الوليد أحمد بن عبدالله في وفيات الأعيان[١] ـ إلى قرطبة فدفن بها.

وجنازةِ فقيه الشافعيّة وأُصوليّهم أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الأسفرايني، حيث مات في نيسابور سنة ٤١٨ وصلّى عليه أهلها، ثمّ حمل إلى أسفراين فدفن بها[٢].

وجنازةِ الصاحب[(١)] إسماعيل بن عبّاد حيث مات سنة ٣٨٥ بالريّ، فحملوه إلى إصفهان فدفنوه بها[٣].

وجنازةِ أحمد بن جعفر البرمكي المعروف بجحظة، حيث مات بواسط سنة ٣٢٦، وحمل إلى بغداد[٤].

وجنائزَ كثيرةٍ لا يسع المقام استقصاءها.

والحكم في هذه المسألة الجواز على كراهة بـلا خـلاف بـين الأصـحاب، وتراهم يُرسلون الكراهة هنا إرسالَ المسلّمات، بل في مفتاح الكرامة ـ نقلاً عـن التذكرة و نهاية الإحكـام و الذكـرى و جـامع المـقاصد و شـرح الجـعفريّة و المـفاتيح ـ الإجماع على الكراهة فيها[٥].

---

(١) لا معنى لذكر الصاحب بن عبّاد في هذا المقام؛ لأنّه من رجال الإمـاميّة والكـلام مسوق لذكر غيرهم.

---

١. وفيات الأعيان ١: ١٣٩ ـ ١٤٠، الرقم ٥٧.

٢. المصدر: ٢٨، الرقم ٤.

٣. المصدر: ٢٣١، الرقم ٩٦.

٤. المصدر: ١٣٤، الرقم ٥٥.

٥. راجع مفتاح الكرامة ٤: ٢٩٠. راجع أيضاً: تذكرة الفقهاء ٢: ١٠٢؛ نـهاية الإحكـام ٢: ٢٨٣؛ ذكـرى الشيعة ٢: ١٢؛ جامع المقاصد ١: ٤٥٠؛ مفاتيح الشرائع ٢: ١٧٢.

## المسألة الثالثة: نقل الأموات بعد دفنها إلى أحد المشاهد المقدّسة

والمشهور بين أصحابنا فيها الحرمة، كما عن المسالك والروض والكفاية والتذكرة والمنتهى والقواعد والمختلف ونهاية الإحكام والتلخيص والسرائر والشرائع والذكرى والبيان[1].

والذي يقوى في النظر الجواز؛ وفاقاً لما حكاه السيّد في مفتاح الكرامة عن الموجز والجعفريّة وصاحب المدارك، وظاهر الوسيلة وجامع المقاصد وفوائد الشرائع وحاشية الإرشاد وشرح الجعفريّة[2].

والأصل يقتضي ما اخترناه، ودليل حرمة النبش ـ وهو الإجماع ـ لا يعارضه؛ لكون الإجماع لبّياً يقتصر فيه على الأفراد المتيقّنة، وهذا الفرد ليس منها؛ إذ عرفت وقوع الاختلاف فيه.

والظاهر من عمل كثير من أهل السنّة جوازه عندهم، وإليك جماعة ذكر ابن خلّكان في تراجمهم من وفياته نقلَهم بعد الدفن:

**فمنهم**: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك، وقد سمعت خبره في المسألة الأُولى[3].

**ومنهم**: إمام الأشاعرة ومؤسّس قواعدهم وأُصولهم القاضي أبو بكر محمّد بن

---

١. مسالك الأفهام ١: ١٠٣ ـ ١٠٤؛ روض الجنان ٢: ٨٥٤؛ كفاية الفقه ١: ١١٢؛ تذكرة الفقهاء ٢: ١٠٢؛ منتهى المطلب ١: ٤٠٣؛ قواعد الأحكام ١: ٢٣٤؛ مختلف الشيعة ٢: ٣٢٩، المسألة ٢٢٠؛ نهاية الإحكام ٢: ٢٨٣؛ تلخيص المرام: ١١؛ السرائر ١: ١٧٠؛ شرائع الإسلام ١: ٣٥؛ ذكرى الشيعة ٢: ١٢؛ البيان: ٨١.

٢. راجع مفتاح الكرامة ٤: ٢٩٠.

٣. وفيات الأعيان ٣: ١٦٩، الرقم ٣٧٨. وتقدّم أيضاً في ص ٦.

الطيّب الباقلاني البصري المتكلّم الشهير، مات في بغداد ـ بعد أن انتهت إليه الرئاسة في أُصول الدين ـ وصلّى عليه ولده، ودفن بداره في درب المجوس، ثمّ نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب؛ كراهةً لبقائه منفرداً، ورغبةً بكونه في مقبرة المسلمين ليناله يُمنُ جوارهم[١].

**ومنهم**: الإمام أبو حامد أحمد بن محمّد بن أحمد الأسفرايني، فقيه الشافعيّة ومن انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه، مات سنة ٤٠٦ ببغداد، ودفن في داره، ثمّ نقل سنة ٤١٠ إلى مقبرة باب حرب فدفن بها[٢].

**ومنهم**: شيخ الحنفيّة ومن انتهت إليه الرئاسة فيهم، أبو الحسين أحمد بن محمّد القدوري، مات سنة ٤٢٨ في بغداد، ودُفن في داره، ثمّ نقل إلى شارع المنصور، فدفن إلى جنب الخوارزمي الفقيه الحنفي[٣].

**ومنهم**: أبو العبّاس أحمد بن عبد السيّد الإربلي، دفن بظاهر الرها سنة ٦٣١، ثمّ نقلوه من هناك إلى الديار المصريّة سنة ٦٣٧، فدفن بالقرافة الصغرى[٤].

**ومنهم**: الملك المعظّم مظفّر الدين كوكبودي ابن بكتين صاحب إربل، مات سنة ٦٣٠ في بلد كان لمملوكه شهاب الدين، ثمّ نقل إلى قلعة إربل، ودفن بها، ثمّ حُمل بوصيّته منها إلى مكّة المعظّمة، وكان قد أُعدّ له قبّة يدفن فيها،

---

١. وفيات الأعيان ٤: ٢٦٩ ـ ٢٧٠، الرقم ٦٠٨.

٢. المصدر ١: ٧٤، الرقم ٢٦.

٣. المصدر: ٧٩، الرقم ٣٠.

٤. المصدر: ١٨٧، الرقم ٧٦.

فاتّفق أن رجع الحاجّ تلك السنةَ من الطريق فردّوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد[١].

**ومنهم**: أبو الحسين محمّد بن أحمد المعروف بابن سمعون الواعظ المشهور، مات ببغداد سنة ٣٨٧، ودفن في داره، ثمّ نقلوه سنة ٤٢٦ بعد دفنه بتسعة وثلاثين سنة، فدفنوه في مقبرة باب حرب[٢].

**ومنهم**: أبو جعفر محمّد بن عليّ المعروف بالجواد الإصفهاني، مات سنة ٥٥٩ وصلّي عليه، وكان يوماً مشهوداً من ضجيج الضعفاء والأرامل والأيتام حول جنازته، ودفن بالموصل إلى سنة ستّين، ثمّ نقل إلى مكّة وطِيف به حول الكعبة وصعدوا به إلى عرفات، وكانوا يطوفون به كلّ يوم مراراً، وكان معه شخص مرتّب يذكر محاسنه ويعدّد مآثره إذا وصلوا به إلى المزارات، فلمّا أتوا به إلى الكعبة وقف وأنشد:

يا كعبة الإسلام هذا الذي جاءكِ يسعى كعبةَ الجودِ

قُصدتِ في العام وهذا الذي لم يخلُ يوماً غير مقصودِ

ثمّ حُمل إلى المدينة ودُفن بالبقيع بعد أن طيف به حول حجرة الرسول ﷺ مراراً، وأنشد الشخص الذي كان مرتّباً معه فقال:

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائلُهْ

يمرّ على الوادي فتثني رماله عليه وبالنادي فتبكي أرامِلُهْ[٣]

ولو أردنا الاستقصاء لملأنا الدفاتر واستغرقنا المحابر، وفي هذا كفاية.

---

١. وفيات الأعيان ٤: ١٢٠، الرقم ٥٤٧، وفيه: أبوسعيد كوكبوري بن أبي الحسن عليّ بن بكتكين بن محمّد... .

٢. المصدر: ٣٠٥، الرقم ٦٣١.

٣. المصدر ٥: ١٤٣ ـ ١٤٦، الرقم ٧٠٤.

ويدلّ على ما اخترناه في هذه المسألة ـ مضافاً إلى الأصل ـ:

إخراجُ موسى جنازة يوسف عليه‌السلام من قبره في نيل مصر ـ وهو في صندوق من رخام ـ ودفنُه في بيت المقدس(١).

وإخراجُ نوحٍ تابوتَ آدم عليه‌السلام، وحملُه معه حتّى دفنه، كما نقله في الجواهر[١] وغيرها ـ بعد أن غيض الماء ـ بظهر النجف الأشرف.

## المسألة الرابعة: نقل الأموات بعد دفنهم إلى غير المشاهد المشرّفة

وهذا محرّم.

وقد نقل الشهيد الثاني في المسالك[٢] إجماع أصحابنا على الحرمة فيها.

وقال صاحب مفتاح الكرامة[٣]: كلّ إجماع نقل على تحريم النبش فهو منطبق عليها. انتهى.

---

(١) ذكره العلّامة الطبرسي في أواخر تفسير سورة يوسف من مجمع البيان[٤]، وابن الشحنة في صفحة ١٨ من تاريخه روضة المناظر المطبوع في هامش المجلّد الأخير من كامل ابن الأثير. وهو منقول عن العيون و الخصال و علل الشرائع و الكافي و الفقيه وغيرها من كتب الفريقين[٥].

---

١. جواهر الكلام ٤: ٥٩٦.

٢. مسالك الأفهام ١: ١٠٣.

٣. مفتاح الكرامة ١: ٢٩٢.

٤. مجمع البيان ٥: ٢٦٦، ذيل الآية ١٠١ من سورة يوسف (١٢).

٥. نقله عنهم العاملي في مفتاح الكرامة ٤: ٢٨٩. وللمزيد راجع: عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١: ٢٣٥، الباب ٢٦، ح ١٨؛ الخصال: ٢٠٥، باب الأربعة، ح ٢١؛ علل الشرائع ١: ٣٤٥، الباب ٢٣٢، ح ١؛ الكافي ٨: ١٣٦ ـ ١٣٧، ح ١٤٤؛ من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٣ ـ ١٩٤، ح ٥٩٤.

**قلت** : لكنّ الظاهر من عمل كثير من أهل السنّة جوازه عندهم أيضاً ، ألا ترى أنّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب دُفن أوّلاً بقلعة دمشق ـ كما في ترجمته من الوفيات[1] ـ وبقي إلى أن بنيت له قبّة ، فنُقل من مدفنه إليها.

ودُفن الأمير أبو يحيى [تميم] بن المعزّ ملك أفريقيا في قصره، ثمّ نُقل ـ كما في ترجمته من الوفيات[2] أيضاً ـ إلى قصر السيّدة بالمنستير فدفن به.

ودفن أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ـ ويعرف بالملك العادل ـ في قلعة دمشق، ثمّ نقل من بعد ذلك ـ كما في الوفيات[3] ـ فدفن بالمدرسة عند باب سوق الخوّاصين.

ولا يسعنا الاستقصاء، وهذا القدر كافٍ لما أردناه. وبه يندفع ما في صفحة ١٥ من المجلّد الثاني من مجلّة الشهرستاني حيث جعل النقل فاضحاً للشيعة والشريعة.

وما أدري أيّ أُمّة تعدّه فضيحة وعاراً؟ أمّا المسلمون فقد عرفت سيرتهم، واليهود ينقلون موتاهم إلى بيت المقدس من داني البلاد وقاصيها، والنصارى لا يتناكرونه وقد نقلت بالأمس جنازة جورج كرم من صوفر لبنان إلى الإسكندريّة، ونقلت جنازة الأمير ابن رسلان مبعوث اللاذقيّة من الآستانة إلى بيروت.

وفي صفحة ٦٦٩ من المجلّد السابع والثلاثين من مجلّة المقتطف: أنّ روبرت كوخ مات في مدينة «بادن بادن» وأُرسلت جثّته إلى مدينة «همبرج» وأُحرقت فيها حسب وصيّته. انتهى.

---

١. وفيات الأعيان ٧: ٢٠٦، الرقم ٨٤٦.

٢. المصدر ١: ٣٠٥، الرقم ١٢٦.

٣. المصدر ٥: ١٨٧، الرقم ٧١٥.

ليت شعري كيف نخشى في أفعالنا الشرعيّة انتقاد أُمّة تنفّذ هذه الوصيّة؟ وأيّ رشيد ينكر فعلنا وقد فعلته الأنبياء وأمرت به الأوصياء وجرت عليه العلماء والحكماء؟ وقد علم الناس حكمة أصحاب الإسكندر، ومع ذلك نقلوا جنازته من مدائن كسرى إلى الإسكندريّة فدفنوه بها.

لكنّ الشهرستاني نسج على منوال من يحسد أهل البيت في اعتصام الناس بهم والتجائهم إليهم، فأنكر ما أنكروه وهو لا يدري الحقيقة.

**القول في أدلّته، وهي أُمور:**

**الأوّل**: زعم أنّه يوجد في الكتب المعتبرة أنّ رجلاً مات بالرستاق ـ ناحية الكوفة ـ فحمل إليها، فأنهكه أميرالمؤمنين عليه السلام عقوبةً وقال: «ادفنوا الأجساد في مصارعها، ولا تكونوا كاليهود يحملون موتاهم إلى بيت المقدس». انتهى.

**قلت**: لا نعرف كتاباً واحداً يعتبره الأصحاب ـ فضلاً عن الكتب المتعدّدة ـ قد اشتمل على هذا الخبر الموضوع الذي أجمع المسلمون على عدم(١) العمل بمضمونه، كما سمعت فيما أسلفنا.

نعم، هو منقول عن كتاب الدعائم[1] فقط، وقد نصّ العلماء على سقوط ذلك

(١) إجماع العلماء على عدم العمل بالخبر مسقط له وإن كان صحيحاً، فكيف إذا كان في ذاته ساقطاً.

١. دعائم الإسلام ١: ٢٣٨ ذكر الدفن والقبور. نقله عنه المحدّث النوري أيضاً في مستدرك الوسائل ٢: ٣١٣، الباب ١٣ من أبواب الدفن وما يناسبه، ح ١٥.

الكتاب، وطعنوا صريحاً في مصنّفه، فلا يحتجّ بشيء ممّا انفرد بروايته، كما هو مقرّر معلوم.

وعلى هذا فإن دلّنا الشهرستاني على الكتب(١) المعتبرة التي نقل عنها هـذا الخبر، وإلّا فهو من المهوّلين.

**الثاني**: ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله في غزوة أُحد: «ادفنوا القتلى في مصارعهم»[1]. انتهى.

**وفيه**: أنّ نقل القتلى يومئذٍ كان شاقّاً متعسّراً؛ لكثرتهم، ولا سيّما بالنظر إلى حال الباقين، ونصبهم من أوزار الحرب، وجهدهم بمقاساة الطعن والضرب، وكونهم مثخنين بالجراح، مبهوظين من أعباء الكفاح، فالتعجيل يومئذٍ بدفن الشهداء لازم ضروري لشؤون الأحياء.

وأيضاً كان الشهداء ـ يومئذٍ ـ في أفظع الأحوال قد شوّهتهم آكلة الأكباد بالمُثلة، واتّخذت من آذانهم وآنافهم خلاخيل وقلائد، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، و... و... و... إلى آخر ما فعلت يومئذٍ هي وصواحباتها، فلو حملوا إلى المدينة المنوّرة ورأتهم نساؤهم وهم بتلك الحال لعزّ عزاؤهنّ وطبّق أرجاء الدنيا بكاؤهنّ، فكان دفنهم في مصارعهم أدخلَ بالعزاء، وأرفقَ بالأحياء، ولذلك أمر به رسول الله ﷺ، ولو كان النقل حراماً، لصرّح به يومئذٍ قطعاً.

---

(١) ولا نكتفي منه إلّا بذكر كتب متعدّدة؛ لأنّ أقلّ الجمع ثلاثة.

---

١. راجع: سنن ابن ماجة ١: ٤٨٦، ح ١٥١٩؛ كنز العمّال ٤: ٤٢٨، ح ١١٢٥١؛ دعائم الإسلام ١: ٢٣٨، ذكر الدفن والقبور، مستدرك الوسائل ٢: ٣١٣، الباب ١٣ من أبواب الدفن وما يناسبه، ح ١٤ و١٥.

وقد حمل(١) ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، فلم يندّد بهم ولا أنكر عليهم إنكارَه على فاعل المحرّمات. نعم، لمّا بلغه ذلك، قال:«ادفنوا القتلى في مصارعهم» رغبةً منه في راحتهم، وابتغاءً إلى تعجيل سلوتهم.

على أنّ هذا الدليل أخصّ من الدعوى، كما اعترف به الشهرستاني.

وقد صرّح بعض العلماء في مسألة رجحان النقل إلى المشاهد المقدّسة باستثناء الشهداء[١]؛ عملاً بهذا الخبر، بل في الجواهر ـ نقلاً عن الدروس ـ: أنّه المشهور[٢].

**وفيه نظر**؛ لقصور هذا الخبر سنداً ودلالة على تخصيص ما يدلّ على الاستحباب، ولو صحّ فإنّما هو قضيّة في واقعة لا يقاس عليها، فتأمّل ولا تذهل.

**الثالث**: ما زعمه من إجماع المسلمين على حرمة نقل الميّت من بلد إلى بلد.

---

(١) نصّ على ذلك أبو الفداء في تاريخه، وابن الشحناء، وهو الظاهر من ابن الأثير وغيره[٣].

---

١. كالشيخ الطوسي في المبسوط ١: ١٨٨، والمحقّق الكركي في جامع المقاصد ١: ٤٥٠، والشهيد الثاني في روض الجنان ٢: ٨٥١.

٢. جواهر الكلام ٤: ٣٠٣. راجع أيضاً الدروس الشرعيّة ١: ١١٥.

٣. المختصر في أخبار البشر ١: ١٣٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٢، حوادث سنة ٣. وراجع أيضاً تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣.

قال:

وغاية الأمر أنّ المجوّز يدّعي ورود حجّة تخصّص جواز نقله إلى المشاهد.

لكنّنا بعد الفحص والتدقيق وجدنا تلك الحجّة التي اعتمدها المجوّزون لا تعطي غايتهم، ولا تصلح لتخصيص الأُصول.

إلى آخر كلامه.

**والجواب أوّلاً**: أنّ المسلمين لم يجمعوا على ما قال، بل أجمع الأصحاب على استحباب النقل إلى المشاهد المشرّفة قبل الدفن. والظاهر من سيرة غيرهم الجواز مطلقاً كما سمعت فيما أوضحناه، فدعوى إجماع المسلمين على الحرمة غلط واضح، بل تقوّل فاضح.

**وثانياً**: أنّ الأصل يقتضي الجواز، وقد بيّنّا حجّة المجوّزين وقوّتها بما ينقطع معه شغب الشاغب، ويكون كلامه جفاءً كأمس الذاهب.

**الرابع**: ما زعمه من مخالفة نقل الأموات لحكمة الدفن أو علّته.

وحاصل هذا الدليل أنّ علّة الدفن ستر الميّت، وكتمانُ تفسّخه، وحفظُه عن الهتك، ومواراةُ القذارات المتكوّنة في جسده بعد موته، ونقله مستلزم لهتكه بتفسّخه وظهور القذارات فيه، فلو جاز لانتقضت حكمة الدفن. انتهى.

**والجواب**: منع استلزام النقل لذلك، ولو فرض حصوله في بعض الأفراد، فلا يقتضي حرمة الجميع، كما هو ظاهر.

والقول: إنّ مطلق النقل هتك لحرمة الميّت، وقاحة ومشاغبة؛ ضرورة أنّ العرف يحكم بضرس قاطع بأنّ نقل الميّت إلى المشاهد أجلّ تعظيم له وأكبر اعتناء به، ولذلك ترى الولد يبرّ بوالديه بحمل جنازتهما من فارس والهند حتّى يدفنهما في جوار الشافعين عليهما السلام، وأهل العرف يحسّنون عمله ويمدحونه على فعله.

وقد شاهدنا مجيء الجنائز من الأماكن البعيدة بكلّ تبجيل واحترام محفوظة في تابوت لا يقصر في كتمانها عن القبر، تفوح منه روائح الدهان الطيّبة، مجلّلاً بالحلل الثمينة والأبراد المطرّزة بأنواع الوشي، يخدمه جماعة من أرحام الميّت وأتباعهم، ويستقبله زمر من علماء المسلمين ولفيفهم حتّى يدخلونه على المعصوم، ثمّ يدفنونه بتربته المقدّسة.

ولم نرَ أيّام إقامتنا في النجف الأشرف تلك السنين الكثيرة جنازة مشوّهة، بل لم نسمع بذلك إلّا من الشهرستاني سامحه الله.

**الخامس:**

أنّ نقل الجنائز على الوجوه الشائعة تستلزم إضاعة الآداب المرسومة في شرعنا الأقدس من وضع الميّت مواجهاً للقبلة.

إلى آخر كلامه.

**وفيه:** استقبال الميّت يراعى وجوباً حين استحضاره، والصلاة عليه، ودفنه على الكيفيّات المعهودة، ويستحبّ حين تغسيله، أمّا حين حمله وتشييعه، فلا يجب ولا يستحبّ، بل لا يمكن غالباً.

فهل هذا الدليل إلّا نوع من التهويل، وقسم من الأباطيل، وخلط في العناوين، وخبط في أحكام الدين.

صور ـ عبد الحسين شرف الدين الموسوي

# نقل الأموات والسيّد الموسوي*

## تمهيد أخلاقي

حضرة منشئ مجلّة العرفان الغرّاء.

١ ـ يذوب القلب أسفاً على أُمّة تمكّن منها الحظُّ التَعِيس، فلا يكاد يفارقها.

ينهض فيهم الكاتب المُجدّ قاصداً كشفَ البراقع عن مخدّرات حقائقَ علميّةٍ أو دينيّة لكي يخدم بقطرة اليراع قوماً ضربوا عن المعارف صفحاً، وهو إذ ذاك لم يطهّر دنس يراعه بماء الأدب؛ فتراه يكدّر صفاء صبابته بأقذار لا تسوقه إليها ضرورة، ويقرن زاهي صوابه بواهي خطابه، فيزعج القرّاء الكرام، ويدع الإنسانيّة في خجل عميق، وهنالك يأنف رائد الحقّ من القبول والتسليم لا تنفّراً من الحقّ الصراح، بل نفرةً من أباطيلَ تحوم حولَه.

٢ ـ تلونا في الجزء ٢٢ من العرفان مقالة الفاضل ابن شرف الدين الموسوي الناقم على مقالة تحريم نقل الموتى، فحبّذناه على دخوله في هذه الثورة الأدبيّة

* . هذه مقالة السيّد الشهرستاني للردّ على مقالة بغية الفائز. وفي ذيلها تعليقات للسيّد شرف الدين. طبعت في مجلّة العرفان، ج ٤، الجزء ٣، ربيع الأوّل ١٣٣٠.

ـ وإن أساء فهماً[(١)] وأخطأ الحفرة، كما سيتلى عليك ـ فإنّ اشتراك الكتّاب والفضلاء فيها ـ تنقيداً[(٢)] كان أو تأييداً ـ ممّا يبشّرنا بنيل المرام واعتناق الحقيقة، فنشكره كثيراً.

لكن أثار عليه اللومَ ـ بل الأسفَ ـ تلويثُه ذنابةَ يراعه بكلمات سيّئة لا يرضى العقلاء بصدورها من سوقيّ على جرمقيّ، فكيف بها من فاضل على أبناء صنفه، سيّما في حومة الجدال العلمي.

٣ ـ كنّا نعرف أنّ غاية البحث والانتقاد، ونتيجةَ النقض والإبرام نيلُ الحقائق دون الشهوات، وإزهاقُ الباطل دون إهانة المقابل، فلو أصبح القول الجارح سلاحَ الفاضل المناضل[(٣)]، أو تسطيرُ القذف والسباب شراباً سائغاً بين الأفاضل، لأضحى السؤدد في ميادين البحث لأدنى الأراذل. وكان في كنانة أصحابنا سهماً[١] من القول قد سقيت نقيعاً فلا يندمل جرحها، وأسنّةٌ ذات شعب

(١) سلام عليك أيّها الفاضل ورحمة الله وبركاته.

إنّ من وقف على ما كتبته وكتبناه سابقاً في هذا الموضوع من أُولي النُّهى عرف المخطئ منّا والمصيب. على أنّي سأُوضح دلالة كلامك على ما فهمناه وفهمه الواقفون عليه من ذوي الأفهام بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى، فانتظر ذلك واستسلم لحكم الإنصاف.

(٢) التنقيد هنا غلط وصوابه انتقاد أو نقد، ولو قال: تفنيداً، لاستقام السجع مع صحّة اللفظ.

(٣) كان سلاحنا في مناضلتك قواطعَ الأدلّة وبوارقَ الحجج، كما يعترف به كلّ من وقف عليها، فلا وجه لهذا الكلام وشبهه.

١. كذا في الأصل، والصحيح أسْهُمٌ.

تأبى إصابةَ غير مراكزها. ولكن ـ لا وربّي عزّ شأنه ـ ما تلك بسنّة الأقلام، ولا جرت عليه سيرة الأعلام.

غلب الطيش (١) على السيّد الموسوي فسطّر ما ستر به رونقَ معانٍ أتعب النفس في تأليفها، وما أُبالغ في عتابه؛ فإنّ الأدب الإسلامي يأمرنا أن نحمل فعله على أصحّ المحامل، وإن لم يحمل هو فعلنا إلّا على أفسدها.

ولا نظنّ لفعله محملاً نعذره به غير إسكات المتحاملين عليه من جهّال بعض الفرق ـ والجهل مثال كلّ مفسدة ـ كما حصل مثل ذلك في بغداد، فأثارت التعصّباتُ عَلَيَّ شرذمة من أُمّتي بالرغم من حبّهم الأكيد لخاطري، والتعصّب حالة تحول بين المرء وبين وجدانه وإخوانه، فليتدبّر ما أقول، أصحابُ العقول، فكأنّ صولة القول من بعض أُولئك قد أثار (٢) في هؤلاء لهيباً كامناً، فقاموا دفاعاً عن شرف الجامعة، وما أدراك ما الجامعة؟ ويرشدنا إلى ذلك التزام السيّد الموسوي في سرد الجنائز المنقولة بأن تكون من رجال إخوتنا أهل السنّة حتّى أنّه عندما ذكر في جملتهم الصاحبَ بن عبّاد انتقد عليه صاحب العرفان الأغرّ [١] في الهامش قائلاً:

لا معنى لذكر الصاحب بن عبّاد في هذا المقام؛ لأنّه من رجال الإماميّة والكلام مسوق لذكر غيرهم.

هذا، وهو يعتقد البحث فقهيّاً على طريقة الشيعة والتقابل أيضاً في البحث بين

---

(١) سلام عليك ورحمة الله وبركاته من الفاضل.

(٢) أثار هنا فعلٌ مسندٌ إلى ضمير «صولة» فكان اللازم أن يقول: أثارت، كما هو واضح.

---

١. التعليقة ليست لصاحب العرفان، بل للسيّد شرف الدين، كما صرّح به صاحب العرفان في المجلّة فقال: الاستدراك ليس لنا، وإنّما هو للسيّد العلّامة ابن شرف الدين الموسوي بإمضاء منه، فاقتضى التنبيه.

شيعيّين، فكيف ينهض ما سعى في تأليفه دليلاً[١] أم كيف يجديه فتيلاً؟!
نعم لم يبعثه فيما أعلم على ذلك التجشّم غيرُ إسكات المندّدين، فشكراً له إن رام ذلك. لكنّه طاش قلمه[٢] وقصر فهمه، فتجاوز الحدود، وأخطأ المرمى.

## وهاك كشف الستر عن بعض ما خفي

إنّ أوّل ما انتقده القرّاء على الفاضل الموسوي اشتباهُ مَنزِعِ البحث، ومرمى المقالة، فخال تعميمَنا التحريمَ لكلّ جنازة على الإطلاق حتّى إلى المشاهد قبل الدفن[٣]، وبلا استلزامها أمراً محرّماً وهو ـ لَعمرو[٤] الحقّ ـ أمر لا يدّعيه أحد. وأيّ إنسان يقوم بهذه النهضة الكبرى، ويهزّ القرائح، ويثير العواطف، ويرجف المجتمعات والصحف، ويبذل القوى ويوطّن نفسه حتّى على القتل؟

---

(١) لم نتصدّ لذكر الجنائز المنقولة من غيرنا إلّا لدفع ما في مجلّتك من كون النقل فاضحاً للشيعة وللشريعة، ولذا لم نقتصر على جنائز المسلمين.
أمّا أدلّتنا فأُمور أُخر قد بخع لها أهل العرفان.

(٢) أُولو الألباب علموا أيّنا طاش قلمه وقصر فهمه؟ وأيّنا تجاوز الحدود الشرعيّة وحاول العيث في الأحكام الدينيّة؟

(٣) سأُوضح الآنَ دلالة كلامك على ما ألجأناك إلى التملّص منه.

(٤) لا وجه لكتابة «عمر الحقّ» بالواو؛ إذ لا تلحق الواو لهذه الكلمة إلّا إذا كانت عَلَماً أو محكيّةَ علَمٍ؛ لأنّ العلّة في إلحاقها حينئذٍ رفع الالتباس بين «عَمْرو» و«عُمَر» ولذلك اقتصروا في إلحاقها على صورتي الرفع والخفض؛ لانحصار الالتباس بهما دون صورة النصب؛ لأنّ عَمْراً يكتب في النصب بالألف؛ لكونه منصرفاً بخلاف عُمَر؛ لأنّه لا ينصرف، والشهرستاني قاس «عمر الحقّ» على «عمرو العاص» وهو ـ لَعمر الحقّ ـ قياس مع الفارق.

كلّ ذلك لأجل منع حمل جنائزَ لا يستلزم نقلها شيئاً من المحرّمات، ولا يعدّه عاقل من جملة المنكرات.

نعم، إنّ ما ينكره العلماء والعقلاء من كلّ فرقة إنّما هو نقلها المستلزمُ للهتك والعفونة، أو الإضرارِ، أو التفسّخِ، أو النبشِ لا لضرورة، وأنا أيضاً لم أقصد[(١)]

(١) كأنّك نسيت قولك: «كان دين الإسلام من مبدأ أمره يمنع نقل الموتى من بلد إلى بلد أشدَّ المنع وأبلغَه» واستشهادَك عليه بما روي عن النبيّ ﷺ من قوله في أُحد: «ادفنوا الأجساد في مضاجعها»[١] وبأوامره الأكيدة في تعجيل الدفن، وبما نقلتَه من تنديد أميرالمؤمنين عليه السلام بجماعة نقلوا إلى الكوفة ممّا يقرب منها جنازةً لهم حتّى أنهكهم بذلك عقوبةً، ثمّ أمرهم بدفن الموتى في مضاجعها.

أليس اعتمادك على هذا كلّه صريحاً باختيارك لعدم مشروعيّة النقل المنافي لتعجيل الدفن، ونصّاً بعدم جواز النقل إلى الكوفة ـ مثلاً ـ ولو من رستاقها، وإلى المدينة الطيّبة ـ على مشرّفيها السلام ـ ولو من أُحد؟

أنسيت أساليبك الدالّة على أنّ جواز النقل مطلقاً بدعة لا يعرفها الأقدمون، وأُحدوثة بعد أن خلت من الإسلام عدّة قرون؟

ألم تصرّح بأنّ نقل الموتى إلى المشاهد ـ بشرط أن يوصي الميّت به، ولا يستلزمَ هتكَ حرمته، ولا إضرارَ المؤمنين به ـ إنّما شاع الإفتاء بجوازه بعد القرن الرابع الهجري؟

ألم تزعم أنّ أوّل من فتح باب الترخيص به شيخنا الصدوق؛ حيث أورد في كتبه أحاديث تدلّ على ذلك زعمتَ أنّها ضعيفة؟

ألم تصرّح في مقام آخَرَ بأنّ رأي الأقدمين منع النقل مطلقاً؟ ←

١. راجع: سنن ابن ماجة ١: ٤٨٦، ح ١٥١٩؛ كنز العمّال ٤: ٤٢٨، ح ١١٢٥١؛ دعائم الإسلام ١: ٢٣٨، ذكر الدفن والقبور؛ مستدرك الوسائل ٢: ٣١٣، الباب ١٣ من أبواب الدفن ومايناسبه، ح ١٤ ـ ١٥.

غير هذه الصورة من مقالاتي، كما صرّحت في أكثرَ من عشرة مواضعَ من المجلّة، فكيف ينسب إليّ تعميم التحريم وقد ذكرت في أوّل التنقيب عن المسألة من ذكر إفراط الجهّال فيها بالعدد الثاني صفحة ١٥:

وغاية المقصد من هذا المبحث المهمّ أنّ النقل هكذا ـ المستلزمَ هتكَ شرف الميّت والإضرارَ بصحّة العموم ـ أمر لا يجوّزه عقل ولا شرع، ولا يفتي به حتّى المجوّزون لنقل الجنائز. إلى آخره.

أفبعد التصريح بالمقصد، وتحرير مَنزع البحث يبقى مجال لما زعم؟

---

← ألم تشوّق إلى هذا الرأي في أساليب كلامك مثل قولك:

لاندفعتَ إلى منع نقل الجنائز عن مضاجعها مطلقاً، واتّخذت رأي الأقدمين مذهباً لا تزول عنه أبداً، كما أظهر لي بعض العلماء قائلاً: إنّي أعتقد تحريم حمل الجنائز حتّى من الكوفة إلى الغريّ. إلى آخر كلامك.

بجدّك قل لي ـ إذا أردت أن تبالغ في المنع مطلقاً وقد فعلت ـ: هل كنت تزيد على القول بأنّ أهل القرون السالفة ـ وفيهم النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وأصحابهم والتابعون لهم بإحسان ـ مجمعون على عدم فتح باب الترخيص بالنقل مطلقاً؟ أم هل كنت تبلغ في المبالغة إلى أزيدَ من نسبة البدعة إلى إمام المحدّثين وصدوق المسلمين وغيره من شيوخ القرن الرابع؛ حيث أفتوا بجواز نقل الميّت إلى المشاهد إذا أوصى به ولم يستلزم محرّماً آخَرَ، ومع ذلك تقول: إنّا أسأنا فهماً وأخطأنا الحفرة؟

أنسيت ـ لا أبا لغيرك ـ تصريحكَ بأنّ نقل الميّت من بغدادَ إلى الكاظميّة موجب لترك سنّة الدين، وعلى ذلك حملت دفن من دُفن في بغداد من أعلام المؤمنين؟

ولو أردنا استيفاء ما هو صريح أو ظاهر من كلامك فيما فهمناه وفهمه الجميع، لطال المقام.

وأصرح من هذا[1] أنّني عَنونتُ فاتحة المقالة بقولي : منع العلم والدين هتك حرمة الجنائز بنقلها ، ثمّ افتتحت[2] البحث بقولي :

ترى الجاهل ـ وهو السواد الأعظم فينا ـ يتلقّى الحكم دون أن يتحرّى مواقعه ، ويحتجّ بالقضايا قبل أن يقدّر حدودها ، أو يتدبّر شروطها وقيودها ـ إلى قولي ـ : لا يلتفتون فيه إلى شروطه وموارده الصالحة ، وصاروا ينقلون بها كلّ ميّت وإن استلزم نقله تفسّخ أجزائه ، وتقطّع أوصاله ، وفساد جثّته ، وإهانته ، وإضرار مسلمي البلاد من تلك الجنازة المارّة بهم وهي منتنة الرائحة ، تُحدث في أهويتهم البسيطة أنواعَ الأمراض والأوبئة وأصناف جراثيم العلل .

فهل يظهر من هذا الكلام معنى غير أنّ مسألة نقل الجنائز لها مواردُ صالحة مقيّدة بقيود ، ولكن جهّالنا لا يراعونها ويفرّطون فيها حتّى يخرجوها عن صورتها المشروعة إلى الصور الممنوعة ؟

(١) هذه العبارة ـ بسبب أنّ الباء للسببيّة والنقلَ مصدر مضاف ، فيدلّ على العموم ـ ظاهرة بأنّ النقل بجميع أفراده من حيث كونه نقلاً سبب في الهتك ، ولو أردتَ غير هذا المعنى ، لقلتَ : منع الدين من نقل الجنائز إن استلزم هتكها ، أو المستلزم لهتكها ، أو منع من هتك الجنائز ببعض كيفيّات نقلها .

وحيث إنّ العبارة ظاهرة بما قلناه ، كان العنوان الذي عنونتَ به فاتحة مقالتك معلناً بما فهمناه .

(٢) أنا أستلفت القرّاء الكرام إلى مراجعة مجلّتك ليعلموا أنّ ما استفتحتَ به البحث من قولك : ترى الجاهل ، إلى آخره ، لا ينافي ما فهمناه ، وغايته أنّك ندّدت بالجاهلين إذ لم يراعوا في نقل جنائزهم ما اشترطه المجوّزون وهذا لا يدلّ على قولك بالجواز ، وكيف يدلّ على ذلك مع القرائن القاطعة باختيارك الأمر الذي ألجأناك إلى التملّص منه ، ولات حين مناص ؟ !

نعم ، تقتضي النصفة أن أقول : يوجد في خلال كلامي عبارات خالية عن التقييد ، مثل قولي : تاريخ ترخيص نقل الموتى في الإسلام . إلى آخره.

وقولي : اختلاف فقهائنا في نقل الموتى إلى المشاهد . إلى آخره .

واستشهادي بنوّاب الحجّة وعلماء الحلّة تفخيماً للأمر وإرهاباً للمفرطين .

ولكن إنّما يَستظهر منها تعميمَ الحكم وإطلاقَ القول مَن لم يعطف نظره إلى عنوان البحث ، وإلى تصريحاتي بأنّ نظري في هذا المبحث مقصور على خصوص نقل الموتى المستلزمِ للهتك والفتك والإضرار والنبش والعفونة .

وأمّا مع تقديم هذه التصريحات ، فهيهات أن يـذهب الفكـر إلى تـعميم القـول في النقل .

وفي مقالتي الثانية بالعدد ٣ صفحة ١١٢ قيّدت[١] أيضاً نقل الجنائز في عنوان البحث بالأوجه الشائعة ، لا مطلقاً ، ولم أذكره على سبيل العموم .

---

(١) نحن لا ننكر تصريحك في بعض المقامات بالمنع ممّا يستوجب الهتك أو الإضرار ، بَيْدَ أنّ ذلك ليس من باب التقييد لكلامك الأوّل في شيء ؛ لأنّ كلامك الأوّل متعلّق في خصوص النقل الذي لا يستلزم محرّماً آخَرَ ، فهو غير متناول لما دلّ عليه كلامك الثاني ليتقيّد به ، وهذا واضح .

على أنّ كلامك الأوّل لو كان مطلقاً ، لما أمكن تقييده ؛ لأنّ لسانه يأبى التقييد .

وأيضاً تقرّر في الأُصول أنّه لو ورد منعٌ عن عنوان مطلق ومنعٌ آخَرَ عـن بـعض أفراده ـ كما لو قال : لا تأكل حامضاً ، لا تأكل حامض الليمون ـ لا يحمل المطلق على المقيّد ، بل يجتنب عن الجميع ، ويكون تخصيص الفرد بالذكر ؛ لمزيد الاهتمام به لا للتقييد ، وكلامك أيّها الفاضل من هذا القبيل ؛ لأنّك تارةً تدعو إلى رأي الأقدمين بزعمك أنّه المنع من النقل مطلقاً ، وأُخرى تدعو إلى ترك ما يستلزم الهتك ، فحملنا كلامك على ما تقتضيه القواعد العربيّة من المنع عن الجميع ، وقـلنا : إنّـه إنّـما ←

أجل، كأنّ القوم كانوا يبتغون منّي تكرار قيود النقل كلّما جرى ذكر نقل الجنائز في أثناء الكلام فأُقيّده بـ«النقل المستلزم لهتك حرمة الميّت وفساد رائحته وتفسّخ أعضائه ونبشه بعد الدفن الشرعي وإضرار العموم به» وأنت تعلم أنّ الالتزام بتكرار هذه الذنابة الطويلة في الكلام يصعب كثيراً، ويعود على العبارة بتفاهة وركّة تذهبان رونقها، ويملّ القارئ.

مع أنّ الكلام ـ كما تراه ـ في غنىً عن هذه الذنابة الطُولىٰ إذا تقدّم في مفتتح

---

← خصّص بعض الأفراد بالذكر لمزيد الاهتمام به، وللتشنيع على من ينقل الموتى، وأكّد ذلك في نفوسنا ما أودعتَه في خاتمة كلامك، ولعلّك إذا ألجأناك تزعم أنّك إنّما حرّمتَ نقل الجنائز المستلزمَ [للهتك]، لا كلّها بقرينة ما ذكرته في الخاتمة، ونحن الآنَ حيث راجعت الحقَّ نرحّب بك، ولا نعاتبك على ما نلته منّا، ولا نحاسبك على بعض العبائر التي لا تليق بالطائفة عموماً وبشيوخها خصوصاً، ولا نندّد بك إذ قلت: إنّ دعاة الدين لو أخلصوا نيّتهم لشيّد بنيانه.

ولا نسألك بعدها عمّا أودعته في الخاتمة ممّا ينفر منه كلّ مستقيم، ونسامحك فيما تسامحت به من النقل عن العلماء؛ إذ أوردت كلامهم على غير وجهه، وصببته في غير قالَبه، وإليك التنبيه على بعض الموارد لتجري في النقل عن العلماء على ما تقتضيه قواعد الأمانة.

فأقول: إنّ الشيخ العظيم ابن إدريس لم يحرّم نقل الجنائز إلى المشاهد قبل دفنها وإنّما حرّمه بعد الدفن، فلماذا أوهمتَ أنّه قائل بالحرمة مطلقاً؟ وكذلك فعلت بما نقلته عن التذكرة و الفقيه ابنِ حمزة، ونسبت إلى الأقدمين القولَ بالمنع مطلقاً، مع إجماع الطائفة وسيرتها المستمرّة على استحباب النقل قبل الدفن إلى المشاهد، ونسبت الإفراط إلى من يحمل الميّت من مشهد إلى مشهد، مع علمك بأنّ فيهم العلماءَ الأعلام وساداتِ فضلاء الإسلام من المتقدّمين والمتأخّرين، وفي مقالتك على اختصارها ممّا ينتقد ولا يحسن السكوت عنه كثير، وقد سامحناك بها؛ لرجوعك إلى الصواب.

البحث ذكرُ القيود الكافية، ولا سيّما إذا تكرّر أثناءه توضيح المقصود، وتخلّله ذكرُ القيود، كما ترى في العدد ٣ صفحة ١١٤ بيانَ أنّ قرب الحرم من حدود عرفات لا يدع للفقيه مانعاً[١] عن نقل كهذا من قرب الدار، وحبّ الجار، وفقد الهتك والإضرار، فأين ذلك ممّا نحن فيه، أعني حمل الجنازة البالية من بلاد نائية يجري عليها كلُّ هتك وفتك؟

وكذلك تصريحي فيه ـ صفحة ١١٣ ـ بقولي: نعم، إنّ النقل على الأوجه الشائعة.[٢] إلى آخره، ثمّ اعتضادي بعبارة الجواهر، فهل كنّا مع هذه التنصيصات في حاجة إلى تكرار ذنابة القيود الطولى كلّما جرى اسم نقل الجنائز أثناء خوض البحث؟ مضافاً إلى إيضاحنا المقصدَ ذلك الإيضاحَ، فهل جاز أن ترتاب والصبح مُسفِر؟ ولأجل مقصدنا المقيّد ـ الذي أوضحناه في صدر البحث وفي خلاله ـ لنا توضيح نقلنا الإجماعَ الذي صُلْتَ علينا بسببه، لا لتحريم أصل نقل الموتى مطلقاً، وكيف تنقاد النفس لتصوير مثل ذلك حتّى في الواهمة؛ فإنّي لا أظنّ أن يوجد أدنى متعلّم في الفقه ولو من عائلة التجارة في البرازيل ـ أميركا ـ مثلاً وهو يزعم أنّ نقل الميّت إلى مشاهد الصالحين مع القرب والأمن عن المحاذير محرّم في شرع الإسلام، إذاً فكيف ينفذ هذا الظنّ السيّئ فيمن قضى شطراً كبيراً من عمره في تعلّم الفقه، وتربّى في المراكز الدينيّة كربلاءَ والنجفِ اللذان[٣] تنقل الجنائز إليهما في الأغلب، وهو قد نشأ بين الفقهاء وترعرع في عائلة العلم، فيزعم أنّه لا يعرف هذا الأمر الظاهر لكلّ مبتدئ في الفقه، فمهلاً مهلاً أيّها المنصفون[٤].

---

(١) هذا ينافي القول بالمنع مطلقاً وبه تبيّن التناقض في كلاميك.

(٢) تقدّم الجواب عن هذا، وحاصله عدم إمكان تقييد كلامك الأوّل بكلامك الثاني.

(٣) اللذان هنا لحن، وصوابه اللذَين.

(٤) أجبنا عن هذا كلّه، فراجع.

ثمّ إنّ الفاضل الموسوي ينتقد على قولي ـ ص ٥٠ ـ: أنظار المانعين من نقل الموتى، إلى آخره، قائلاً بـ: أنّا لا نعرف قائلاً بذلك على الإطلاق،[(١)] إلى آخره، والحالة أنّني كما صرّحت في عنوان البحث وفي فاتحة الكلام وفي أثنائه مراراً: أنّ بحثنا لا يحوم إلّا حول المسألة المقيّدة. ولو تنزّلنا لأجلك عن مساق البحث، واتّخذنا المراد منْعَ نقل الجنائز إلى المشاهد مطلقاً، لما رضينا بك أن تتّخذ جهلك[(٢)] بأقوال الفقهاء سيفاً تصول به، فيصدقَ عليك قول عليّ عليه السلام[(٣)]: «لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره، ولا يرى أنّ من وراء

(١) كنت رأيتك ذكرت في أنظار المانعين أُموراً لو تمّت، لحرم نقل الميّت حتّى من رستاق الكوفة إليها، ومن أُحد إلى المدينة مثلاً، بل لو تمّت، لحرم النقل الذي ينافي تعجيل الدفن مطلقاً، كما يظهر ذلك لكلّ من راجع مجلّتك، وحينئذٍ أنكرتُ قولك: «أنظار المانعين» وقلتُ: «لا نعرف قائلاً بذلك على الإطلاق» فليدلّنا الشهرستاني عليه إن كان من الصادقين.

والآنَ أتيتَنا بالسيّد الجزائري، فإن كان قائلاً بالمنع حتّى من الصورة المذكورة ـ ولا أظنّه كذلك ـ تكن أتيتَ بما طلبناه، ويكن هو محجوجاً بسيرة المسلمين وإجماع جميع الموحّدين؛ فإنّهم قاطبةً لا يمنعون من النقل إلى مكان قريب، كما هو بديهيّ لكلّ أحد. وإن لم يكن قائلاً بالمنع على الإطلاق، فلا يتمّ استشهادك بكلامه.

(٢) إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيّر قسّاً بالفهاهة باقل[١]

إلى آخر الأبيات.

(٣) ليتك تعظّم أميرالمؤمنين عليه السلام عند ذكره كما تعظّم نفسك إذا ذكرتها.

١. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٣٦؛ الكنى والألقاب ٣: ٢٧٤، النهرواني.

ما بلغ مذهباً لغيره »[١]. إلى آخره. ومن المقرّر أنّ عدم وجدانك للشيء لا يدلّ على عدم وجوده.

وقد أفاد شارح منظومة المرحوم «بحر العلوم» في مفتتح مسألة استحباب نقل الميّت إلى المشاهد المشرّفة دعوى جمعٍ الإجماعَ عليه، قال ما هذا لفظه:

ومن فقهاء العصر ـ يعني صاحب الجواهر ـ مَن نفى الخلاف فيه، مصرّحاً بأنّ ما مرّ من العمل أقوى من الإجماع بمراتبَ، لكن عزى في الأنوار النعمانيّة إلى جماعة عدمَ جوازه إلّا مع الوصيّة، ومال هو إلى العدم مطلقاً. انتهى.

فهل هذا الكلام منه في مثل المقام صريح في وجود المخالف بجواز النقل مطلقاً مثل السيّد الجزائري والجماعة، أم لا؟

ثمّ حكى السيّد الشارح عن الجزائري كلاماً ضافي الذيل ينكر فيه على البعض استدلاله بخبر نقل عظام يوسف عليه السلام من وجوه كثيرة إلى قبره. ويذكر فيه أيضاً هذه العبارة:

ومن ثمّ ذهب جماعة من الأصحاب إلى التفصيل، وهو أنّ الميّت إن أوصى بالنقل إلى أحد الأماكن الشريفة جاز، وإلّا فلا يجوز، مع أنّا لم نروِ حديثاً يدلّ على جواز النقل.

إلى آخر كلامه المسكّن لفورة الفاضل الموسوي.

ولو بلغته فتوى بعض أعلامنا[١] بأنّ الأحوط ترك نقل الموتى مطلقاً

---

(١) ليتك ذكرت اسمه.

---

١. نهج البلاغة: ٤٥، الخطبة ١٧.

حتّى لو لم يستلزم هتكاً ولا ضرراً ولا نبشاً، [١] لاستشعر منها وجود المخالف في أصل النقل حتّى يمهّد لهذا الاحتياط موضعاً.

وأمّا عجبه من جرأتي لمخالفة الإجماع وأنا في النجف الأشرف، فهو لَعمري ـ إذا أنصف ـ أوضحُ دليل له على صفاء فهم النجفيّين وذكائهم وحرّيّة أفكارهم؛ حيث أدركوا قصدي من بداية الأمر فلم يخطئوا مثله الحقيقة ـ وأهل البيت أدرى بالذي فيه ـ ولم يزل العلم ولا يزال يتلى بين علمائهم وفضلائهم وهم أحرى بأن يقدّروه أو ينتقدوا عليه.

ولا نعدّ استغرابه ما يجري على الجنائز هاهنا من الفظائع، إلّا كاستغرابنا ما يجري بين المتوحّشة من الهنود ناشئاً من بُعد الدار وعدم المشاهدة من إحراقهم الزوج الحيّ مع زوجته الميّتة. فلو قطنتم بلادنا، وفتّشتم عن أعمال نقلة الجنائز ومأموريها، وفظائع تدابيرهم في نقلها ودفنها ونبشها، واطّلعتم على جنازة المؤمن في «النعشْ خانه» وفي سراديب الدفن وفي توديعها وفي ... وفي ... وفي ... لاستحقرتم ما كتبناه.

ولَعمرو(١) الحقّ، إنّ أصوب انتقاد على عدولي في عنوان تلك المنقولات المنبّهة للغافلين عن قولي: منبّهات مبكيات، إلى قولي: ختام الكلام مضحك ومُبكٍ، [ما] نبّهني عليه بعض الفضلاء فشكراً له.

فيا أيّها القوم الكرام، قد برح الخفاء، وانكشف الغطاء، ولا ينفعنا تكذيب منكرات جهّالنا وهي في منظر من الجمهور ومسمع، وإنّما الدواء النافع

---

(١) لا وجه لكتابة «عمر الحقّ» بالواو، كما تقدّم.

---

١. للمزيد راجع: مفتاح الكرامة ٤: ٢٩٠؛ رياض المسائل ١: ٤٥١.

لاستئصال شأفتها بتاتاً هو ردع الجهّال عنها ، وإيضاح كونها أجنبيّةً عن الدين لدى الأغيار ، ومن أنذر فقد أعذر ، ولستُ أوّلَ سارٍ غرّه القمر .

نجف ـ السيّد[1] الشهرستاني صاحب العلم

صادف طبعَ ردّ السيّد الشهرستاني وجودُ السيّد ابن شرف الدين الموسوي في المطبعة لطبع كتابه الفصول المهمّة، فعلّق على الردّ شرحاً ، ورغبنا نـحن ذلك لينتهي الجدال في هذه المسألة ، وقد تبيّن للعيان حسن نيّة المتناظِرَيْن ، وظهر الصبح لذي عينين . العرفان

(١) تعظيم الشخص لنفسه بإمضائه قبيح ، كما لا يخفى .

( ٢٣ )

# ثبت الأثبات
# في سلسلة الرواة

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع إسناد العلماء، فعرجوا به إلى أوج الأوصياء والأنبياء، وكانوا رواة وحيه، وولاة أمره ونهيه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله جاء بالحقّ من عنده وصدّق المرسلين.

وأشهد أنّ خلفاءه المعصومين قد حملوا عنه ما حمله عن ربّ العالمين، فعقلوا من أحكام الدين ما عقله، ونقلوا بالإسناد اليه ما عن الله نقله؛ ولذا كانوا أعدال كتاب الله، وسَفَرَتَه، وثقل رسول الله وعيبته، وسفينة نجاة الأُمّة وقادتها، وأمانها من الاختلاف وحطّتها، «فالراغب عنهم مارق والمقصّر في حقّهم زاهق»[1] صلوات الله وسلامه عليهم ما روي الخبر عنهم، وأُسند الفضل إليهم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنّ من رواة آثار أُولي العصمة، وثقات أخبار أهل بيت الرحمة......

..................................................................

..................................................................

---

١. اقتباس من الزيارة الجامعة الكبيرة، راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، زيارة أُخرى جامعة للرضا...، ح ١.

وقد استجاز منّي اقتداء بالسلف الصالح، وتبرّكاً بالدخول في سلسلة الرواة الهداة، واحتفاظاً بتلك العنعنة المقدّسة المتّصلة بسادات الوصيّين، فخاتم النبيّين، فالروح الأمين، فاللوح، فالقلم، فربّ العالمين جلّت آلاؤه وتقدّست أسماؤه. ولمّا كان.........................................................................

..........................................................................................

لم يكن لي بدّ من إجابته، فأجزت له ـ بعد الاستخارة من الله عزّ وجلّ ـ أن يروي عنّي كتبي التي أشرت إليها فيما علّقته على الكلمة الغراء، وغيرها من مؤلّفاتي ومرويّاتي، وجميع ما تصحّ لي وعنّي روايته، إجازة عامّة بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، بحقّ روايتي لذلك ما بين قراءة وسماع وإجازة خاصّة وعامّة عن مشايخي، بطرقهم المتّصلة إلى أرباب جميع الكتب والمصنّفات من الخاصّة والعامّة، في جميع العلوم، ولا سيّما الكتب الأربعة وهي في شهرتها كالشمس، والكتب الثلاثة المتأخّرة عنها ـ الوافي والوسائل والبحار ـ وسائر كتب الحديث والفقه والتفسير والكلام، وبقيّة العلوم الإسلاميّة مطلقاً.

**أمّا مشايخي** قراءة وسماعاً وإجازةً فكثيرون، لكنّي أكتفي الآن بذكر بعض شيوخ إجازتي من أعلام الشيعة الإماميّة والزيديّة، ومن أهل السنّة من غير استقصاء، مقتصراً على ذكر خمسة من شيوخ الإماميّة:

**الأوّل**: والدي الفقيه الثبت العلّامة الثقة الصدوق المقدّس، السيّد الشريف يوسف بن الشريف الجواد بن الشريف إسماعيل بن الشريف محمّد بن الشريف محمّد الكبير بن الشريف إبراهيم الملقّب بشرف الدين بن زين العابدين بن نورالدين عليّ ـ صنو السيّد محمّد صاحب المدارك لأبيه، وشقيق الشيخ حسن

صاحب المعالم لأُمّه ـ ابن السيّد عليّ نور الدين المعروف بابن أبي الحسن الموسوي العاملي.

أجاز لي أن أروي عنه ﷺ عن جميع مشايخه الكرام، وأجلّهم أُستاذاه الإمامان: الشيخ محمّد حسين الكاظمي صاحب هداية الأنام في شرح شرائع الإسلام، والميرزا حبيب الله الرشتي صاحب البدائع في الأُصول.

أمّا الشيخ محمّد حسين، فيروي عن جماعة من أعلام الدين، أحدهم شيخ الفقهاء المحقّقين الشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة، عن كلّ من أبيه شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد جواد صاحب مفتاح الكرامة عن الوحيد الباقر البهبهاني، عن والده الأفضل محمّد أكمل، عن المحدّث المجلسي صاحب البحار بطرقه إلى جميع الكتب والأُصول والمصنّفات المذكورة في إجازات البحار[1].

وأمّا الميرزا حبيب الله، فيروي عن عدّة من مشايخ الإسلام، أجلّهم أُستاذه إمام المحقّقين الشيخ مرتضى الأنصاري، عن المحقّق المولى أحمد النراقي، عن مشايخه الأجلّاء: أبيه المولى مهديّ النراقي بن أبي‌ذرّ؛ والعلّامة بحر العلوم الطباطبائي، والعلّامة الحائري صاحب الرياض، والفقيه الأعظم كاشف الغطاء، والفقيه النبيه الميرزا محمّد مهديّ الشهرستاني، جميعاً عن الوحيد البهبهاني، عن أبيه الأكمل، عن العلّامة المجلسي صاحب البحار بطرقه.

**الثاني**: خالي الأعظم، البارع في العلوم والفنون، الحائز قصب السبق في كثير منها، الأورع الأبرّ الأتقى، الإمام أبو محمّد الحسن بن الهادي بن الشريف محمّد عليّ بن السيّد الصالح بن السيّد محمّد الكبير بن السيّد إبراهيم الملقّب بشرف الدين الموسوي العاملي، فإنّه ـ أعلى الله مقامه ـ أجاز لي إجازة عامّة أن

١. راجع بحار الأنوار، ج ١٠٢.

أروي عنه جميع ما يرويه عن مشايخه الأعلام ـ وهم كثيرون ـ بطرقهم الكثيرة الصحيحة المتّصلة بأهل بيت النبوّة ومختلف الملائكة. وقد ذكر أحوال مشايخه وطرقهم على طرز مبسوط في رسالة أفردها لذلك ووسمها بـبغية الوعاة في طبقات مشايخ الإجازات.

ومن جملة مشايخه المولى الزاهد العابد الفقيه الملّا عليّ بن الميرزا خليل، عن عدّة من مشايخه، منهم المولى الفقيه الشيخ عبدالعليّ الرشتي، عن أُستاذه العلّامة المهديّ الطباطبائي بحر العلوم، عن عدّة من مشايخه، منهم المحدّث البحريني صاحب الحدائق واللؤلؤة بطرقه المذكورة في اللؤلؤة.

**الثالث**: سيّدنا المولى المحقّق المتبحّر الميرزا محمّد هاشم بن السيّد زين العابدين الموسوي الأصفهاني صاحب كتاب مباني الأُصول، سمعت منه أيّام زيارته للنجف الأشرف سنة ١٣١٨هـ قبل وفاته بيسير، وأجاز لي أن أروي عنه، عن مشايخه وهم كثيرون، وأفضلهم الإمام المتبحّر السيّد صدر الدين، عن أبيه الإمام السيّد صالح، عن والده جدّنا السيّد محمّد الكبير بن السيّد إبراهيم الملقّب بشرف الدين الموسوي العاملي، عن شيخه وأُستاذه الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ صاحب الوسائل بطرقه المعروفة.

**الرابع**: شيخنا ثقة الإسلام العلّامة المتتبّع الشيخ الميرزا حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل وغيرها من المصنّفات، عن مشايخه بالطرق التي ذكرها على سبيل التفصيل في خاتمة المستدرك.

**الخامس**: شيخنا الإمام الشيخ فتح الله الشيرازي أصلاً، الأصفهاني انتساباً، الغروي موطناً ومدفناً، المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني، عن مشايخه الكرام، وهم كثيرون:

أحدهم: العلّامة الزاهد البارع في جميع الفنون السيّد مهديّ القزويني الحلّي،

عن عمّه العلم العلّامة صاحب المقامات والكرامات، عن خاله الذي كان آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات، السيّد مهديّ بحر العلوم، عن جماعة كثيرين من رؤساء المذهب والدين، أقتصر على ذكر أربعة منهم:

**أوّلهم** ـ وهو أجلّهم وأعلمهم ـ: أُستاذ المتأخّرين الوحيد المجدّد البهبهاني، عن أبيه المولى أكمل، عن العلّامة الشيرواني، والمحقّق جمال الدين الخونساري، والشيخ جعفر القاضي، والمولى محمّد شفيع الاسترآبادي، والعلّامة المجلسي صاحب بحار الأنوار، كلّهم عن العلّامة التقيّ المجلسي الأوّل، عن شيخنا البهائي، عن أبيه الفقيه الشيخ حسين، عن شيخنا الشهيد الثاني بطرقه المعروفة المذكورة في إجازته الكبيرة، المنبّه على بعضها في فاتحة المعالم والأربعين وخاتمة البحار والوسائل.

**ثانيهم**: العلّامة المحقّق المحدّث الصدوق الشيخ يوسف صاحب الحدائق الناضرة، بجميع طرقه المذكورة في اللؤلؤة.

**ثالثهم**: السيّد السند العلّامة السيّد حسين الخونساري، عن العالم الفاضل الآقا محمّد صادق، عن والده العلّامة محمّد بن عبد الفتّاح المشتهر بسراب، عن الفقيه الإمام السبزواري صاحب الذخيرة والكفاية، عن السيّد السند السيّد حسين بن السيّد حيدر الكركي العاملي، عن شيخنا البهائي، عن أبيه، عن الشهيد الثاني بطرقه كلّها.

**رابعهم**: العلّامة الجليل صاحب الكرامات الباهرة السيّد حسين القزويني صاحب معارج الأحكام ومستقصى الاجتهاد وغيرهما، عن أبيه العلّامة السيّد إبراهيم القزويني، عن العلّامة المجلسي الأوّل، عن شيخنا البهائي، عن أبيه، عن الشهيد الثاني بطرقه الآنفة الذكر.

ولنا طرق أُخر كثيرة من طرق الإماميّة لايسع هذا الإملاء تفصيلها، وفيما ذكرناه كفاية للاتّصال بجميع الكتب ومصنّفيها من الخاصّة والعامّة.

**أمّا مشايخ الزيديّة**، فإنّما لقيت منهم شيخنا العلّامة الثقة الشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني الصنعاني الزيدي إذ اجتمعت به أيّاماً عديدة في دمشق الشام، واستفدت منه فوائد جمّة، وذلك في شعبان سنة ١٣٣٨. وقد أجاز لي بطرقه كلّها التي بعضها عن شيخه القاضي العلّامة حسين بن محسن المغربي، عن شيخه السيّد العلّامة عبد الكريم أبي طالب بأسانيده وطرقه كلّها، وهي كثيرة. وقد فصّلها في كتابه المسمّى العقد النضيد فيما اتّصل من الأسانيد.

فليرو ـ أيّده الله تعالى ـ عنّي بهذا الطريق ما صحّت لي روايته من الكتب الزيديّة بالسند المتّصل بـالمجموع الفقهي والمسند الحديثي المسندين إلى الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وبـالصحيفة الرضويّة المسندة إلى الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، وبكلّ من أمالي أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ، وأمالي الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، وأمالي أخيه المؤيّد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وأمالي الإمام المرشد بالله، وأمالي الإمام الموفّق بالله، وشفا الأمير الحسين، وبقيّة كتب الزيديّة من أُصول وفروع عقليّة ونقليّة.

**وأمّا مشايخي من أهل السنّة** ـ قراءة وسماعاً وإجازة ـ فأكثر من مشايخي الإماميّة، بيد أنّي أقتصر الآن على ذكر خمسة من شيوخ إجازتي من أقطابهم:

**الأوّل**: أُستاذنا الشيخ سليم البشري المالكي، شيخ الأزهر وإمام علماء مصر في وقته، لقيته سنة ١٣٢٩ بمصر، وحضرت درسه في الأزهر مدّة من الزمان، وكانت بيننا مناظرات علميّة، ومراجعات خطّيّة مثّلت ورعه وإنصافه وعلوّ منزلته علماً وأخلاقاً وأدباً. أجازني إجازة عامّة مفصّلة قد اشتملت على جميع

أسانيده وطرقه المتّصلة بجميع كتب أهل السنّة نقليّة وعقليّة، وبمصنّفيها من المتقدّمين والمتأخّرين.

وإليك بعض طرقه إلى صحيح البخاري كما أجازه شيخه الإمام الشيخ محمّد الخناني، عن العلّامة الكبير الشيخ محمّد الأمير، عن العلّامة الشيخ عليّ العدوي، عن الشيخ محمّد عقيلة، عن الشيخ حسن بن عليّ العجيمي، عن الشيخ أحمد بن محمّد العجل، عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري، عن البرهان إبراهيم بن محمّد بن صدقة الدمشقي، عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأوّل الفرغاني، عن أبي عبد الرحمن محمّد بن شاذبخت الفرغاني، بسماعه عن الشيخ أبي لقمان يحيى بن عمّار بن مقبل شاهان الختلاني، عن محمّد بن يوسف الفربري، عن الإمام أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري، الجامع للكتاب المعروف بـصحيح البخاري، عن شيوخه بأسانيدهم وطرقهم كلّها.

**الثاني**: أُستاذنا الإمام الفقيه المحدّث محمّد المعروف بالشيخ بدر الدين الدمشقي، شيخ الإسلام بدمشق، وأعلم أعلامها في هذا العصر، وقد لقيته في شعبان سنة ١٣٣٨ بدمشق، وحضرت درسه ليالي شهر رمضان من تلك السنة، وجرت بيننا مذاكرة تتعلّق بمباحث الحسن والقبح العقليّين، وبإمكان رؤية الله تعالى وامتناعها، وبقِدم القرآن وحدوثه، فآل البحث إلى ميله التامّ إلى رأينا في كلّ من المسائل الثلاث.

وقد أجازني بالمعقول والمنقول من فروع وأُصول وغيرهما، ولا سيّما الأحاديث الشريفة والآثار المنيفة التي اشتملت عليها المجامع والمسانيد، كما أجازه بذلك شيوخه وأساتذته الكرام، أحدهم الإمام الشيخ إبراهيم السقا، عن الإمام الشيخ ثعيلب، عن العلّامة الشهاب الملوي، عن الإمام الشيخ عبدالله بن سالم صاحب الثبت المشهور، عن شيوخه بأسانيدهم وطرقهم كلّها، وهي بأجمعها

مذكورة في ثبته. وعن العلّامة الشيخ محمّد الأمير صاحب الثبت المبسوط، عن شيوخه بأسانيدهم وطرقهم المذكورة في ذلك الثبت، وقد حوى من الأسانيد مالا يحتاج معه إلى مزيد.

فروى صحيح البخاري عن العلّامة الشيخ عليّ الصعيدي، عن الشيخ محمّد عقيلة المكّي، عن الشيخ حسن بن عليّ العجيمي، عن ابن العجل اليمني، عن الإمام يحيى الطبري، عن البرهان إبراهيم بن محمّد بن صدقة الدمشقي، عن الشيخ عبدالرحمن الفرغاني، عن محمّد بن شاذبخت الفرغاني، بسماعه لجميعه على الشيخ أبي لقمان بن مقيل شاهان الختلاني، عن محمّد بن يوسف الفربري، عن جامعه محمّد بن إسماعيل البخاري.

وروى صحيح مسلم، ومسندي أحمد والشافعي، وموطّأ مالك عن الشيخ عليّ السقاط، عن الشيخ إبراهيم الفيومي، عن الشيخ أحمد الفرقاوي، عن الشيخ عليّ الأجهوري، عن الشيخ نور الدين عليّ القرافي، عن الحافظ جلال الدين السيوطي، عن البلقيني، عن التنوخي، عن سليمان بن حمزة، عن أبي الحسن عليّ بن نصر، عن الحافظ عبد الرحمن بن مندة، عن الحافظ أبي بكر محمّد بن عبدالله، عن مكّي النيسابوري، عن الإمام مسلم صاحب الصحيح، عن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني إمام مذهب الحنابلة، وصاحب الكتاب المعروف بـمسند أحمد، عن الإمام محمّد بن إدريس الشافعي إمام الطائفة الشافعيّة، وصاحب المسند المشهور بـمسند الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس الأصبحي، صاحب المذهب المالكي والكتاب المعروف بـموطّأ مالك، عن مشايخه كلّهم بطرقهم المتّصلة برسول الله ﷺ.

**الثالث**: شيخنا العلّامة الكبير والمحدّث الشهير الشيخ محمّد بن محمّد بن عبدالله الخاني الخالدي النقشبندي الشافعي، ولقد لقيته وسمعت منه في بيروت

ودمشق، وأجازني بجميع ما تجوز له وعنه روايته من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك، كما أجازه مشايخه الأعلام، ومنهم والده الشيخ محمّد بن عبدالله الخاني، والشيخ عبدالرحمن الكزبري، وشيخ الجامع الأزهر الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ مصطفى المبلط، والشيخ عثمان الدمياطي، والشيخ التميمي التونسي، والشيخ إسماعيل البرزنجي، كلّهم عن حضرة قطب الإرشاد الشيخ خالد الكردي العثماني، عن شيخه الشيخ محمّد الكزبري بأسانيده وطرقه المعروفة بين شيوخ أهل السنّة.

وأجازني هذا الشيخ ـ أعني الشيخ محمّد بن محمّد الخاني الخالدي ـ بثبت شيخ الشيوخ في الديار المصريّة الشيخ محمّد الأمير الكبير المالكي الأزهري، وقد عرفت أنّ هذا الثبت قد حوى من المسانيد ما لا يحتاج معه إلى مزيد.

وأجازني أيضاً بثبت محدّث الديار الشاميّة الشيخ عبد الرحمن الكزبري، الذي يتضمّن الإجازة بكتب الحديث المشهورة كلّها، وبإحياء علوم الدين للغزالي ومؤلّفات شيخ الإسلام يحيى النووي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وجلال الدين السيوطي، والقاضي زكريّا الأنصاري، ومؤلّفات ابن حجر المكّي، وشيخ الإسلام الشمس محمّد الرملي، ومؤلّفات الشهاب أحمد القسطلاني، والملّا عليّ القاري، وابن عطاء الله السكندري، والشيخ محيي الدين بن العربي، وتفسير القاضي البيضاوي، وجار الله الزمخشري، والجلالين، وأبي السعود، والسلسلة الفقهيّة المتّصلة بالفقهاء الشافعيّة والحنفيّة.

**الرابع**: علم الأعلام، ونادرة هذه الأيّام الشيخ محمّد المعروف بالشيخ توفيق الأيّوبي الأنصاري الدمشقي، وقد لقيته في صور ودمشق، وجرت بيننا مناظرات ومراجعات كثيرة، وأفادني واستفاد منّي فوائد خطيرة. وأجازني بمرويّاته كلّها عن شيوخه الكرام. وأعلى أسانيده في الحديث سند العلّامة السيّد سعيد أفندي

الأُسطواني، فإنّه يروي صحيح البخاري عن شيخه المحقّق محمّد الفاسيّ، عن محمّد بن سنّه، عن أبي الوفا أحمد بن محمّد العجل، عن قطب الدين محمّد النهرواني، عن والده أحمد، عن الحافظ أبي الفتوح أحمد بن عبدالله الطاووسي، عن المعمّر بابا يوسف الهروي، عن محمّد بن شاذبخت الفرغاني، عن المعمّر يحيى بن عمّار الختلاني، عن أبي عبداللّه محمّد بن يوسف الفربري، عن الشيخ البخاري، فيكون بيني وبين البخاري اثنتا عشرة واسطة.

وقد ذكر الشيخ عبدالخالق بن عليّ المزجاجي أنّه صحّ أنّ الشيخ قطب الدين محمّد النهرواني روى صحيح البخاري عن الحافظ نور الدين الطاووسي بلا واسطة والده، وبناء على ذلك يكون بيني وبين البخاري إحدى عشرة واسطة.

**الخامس**: الشيخ محمّد عبد الحيّ بن الشيخ عبد الكبير الكتّاني الفاسيّ الإدريسي، وقد اجتمعنا في مصر وتبادلنا فيها الزيارات، وكانت بيننا محاضرات ومناظرات في مسائل فقهيّة وأُصوليّة دلّت على غزارة فضله ورسوخ قدمه.

وقد أجاز لي أن أروي صحيح البخاري عنه من طريق المعمّرين، عن المعمّر عبد الهادي بن العربي المعزاوي الشهير بالعوّاد، عن الحافظ محمّد بن عليّ السلفي، عن أبي طالب المابزوني، عن محمّد بن عبداللّه المقرّب، عن قطب الدين المكّي، عن أبي الفتوح الطاووسي، عن المعمّر بابا يوسف الهروي، عن محمّد بن شاذبخت الفارسي، عن يحيى بن شاهان الختلاني، عن الفربري، عن البخاري.

قال الشيخ محمّد عبد الحيّ الكتّاني:

> هذا أعلى ما يوجد مطلقاً في سائر نواحي الأرض ـ قال: ـ وأرويه من طريق الجنّ عن الشيخ محمّد ابن المدني الشرفي، عن محمّد بن دحٍّ، عن عمر بن المكّي، عن شمهروش، عن البخاري.

وقد أجازني بهذا الطريق، وأجازني بجميع ما له من مرويّات ومقروآت

ومسموعات عن قريب من ثلاثمائة شخص ما بين رجال ونساء، بالمغرب الأقصى والأوسط والأدنى والحجاز ومصر والشام والعراق واليمن، وبكلّ ما له من مؤلّفات، وهي تزيد على الستّين، وبمؤلّفات والده أبي المكارم، وأخيه أبي الفيض، وجدّه أبي المفاخر، وخاله أبي المواهب، وسائر ما لأسلافه القادة الأجلّاء إجازة عامّة مطلقة.

وأجازني ببقيّة الكتب المذكورة أوائلها في رسالة العلّامة عبد اللّه بن سالم البصري المعروفة برسالة الأوائل. وبثبت الإمام الأمير الكبير، وحصر الشارد لمحدّث الحجاز الشيخ محمّد عابد السندي.

ويروي الشيخ محمّد عبدالحيّ المذكور صحيح البخاري عالياً، عن المعمّر أحمد، عن الملّا صالح السويدي البغدادي الشافعي، عن السيّد محمّد مرتضى الزبيدي الحسني، عن المعمّر محمّد بن سنّه الغُلاني، عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني، عن القطب النهرواني، عن أحمد بن أبي الفتوح الطاووسي عن المعمّر بابا يوسف الهروي ـ قال: عاش ثلاثمائة سنة ـ عن شاذبخت الفارسي الفرغاني، عن يحيى بن شاهان الختلاني، عن محمّد الفربري، عن البخاري.

قال الشيخ محمّد عبد الحيّ:

فبيني وبين البخاري عشرة وسائط. ـ قال: ـ وبيني وبين النبيّ ﷺ باعتبار ثلاثيّات البخاري أربع عشرة واسطة. ـ قال: ـ وهذا السند أعلى ما يوجد الآن في الدنيا شرقاً وغرباً.

قلت: فيكون بيني وبين رسول الله ﷺ بناء على هذا خمس عشرة واسطة.

ولنا شيوخ أُخر لا يسعني استقصاؤهم في هذا الثبت المختصر، وقد سمّيته: ثبت الأثبات في سلسلة الرواة، وقد اشتمل على ما فيه بلاغ للاتّصال بالكتب الإسلاميّة وبمصنّفيها من الخاصّة والعامّة، فليرو ـ سلّمه اللّه تعالى ـ عنّي هذه

الطرق وغيرها ممّا صحّت لي روايته.

وأُوصيه بما أوصاني به مشايخي من سلوك سبيل الاحتياط الذي لا يزِلُّ سالكه عن الصراط، وأن يصرف بقيّة عمره الشريف في ترويج الدين الحنيف. وعليه بتقوى الله وطاعته عزّوجلّ في السرّ والعلانية، عملاً بقوله تعالى: فـ﴿اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١].

وأُذكّره ونفسي بما أوصى به أمير المؤمنين، حيث قال لوصيّيه وخليفتيه سبطي رسول الله وريحانتيه من الدنيا، وسيّدي شباب أهل الجنّة: «أُوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً.

أُوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام.

اللّه اللّه في الأيتام، فلا تُغبّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم.

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة؛ فإنّها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربّكم لا تخلّوه ما بقيتم؛ فإنّه إن ترك لم تناظروا.

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإيّاكم والتدابر والتقاطع.

---

١. آل عمران(٣): ١٠٢.

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيولّى عليكم أشراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم»[١].

وألفِتُه إلى شؤون المؤمنين وسائر المسلمين، ولَمّ شعثهم، وجمع كلمتهم، وحضّهم على التمسّك بثقلي نبيّهم ﷺ، والاستنان بسننهم.

ولا يكن همٌّ..... غير الله والمسلمين، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «من أصبح وهمّه غير الله فليس من الله. ومن أصبح لا يهتمّ بالمسلمين فليس منهم»[٢].

ونختم الإجازة بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه أوحين يقوم: سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين»[٣].

[وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين].

صور ـ جبل عامل

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

---

١. نهج البلاغة: ٥٨١ ـ ٥٨٢، الرسالة ٤٧.

٢. كنز العمّال ١٦: ١١، ح ٤٣٧٠٦؛ حلية الأولياء ٣: ٤٨، الرقم ٢٠٥.

٣. بحار الأنوار ٧٩: ٣٢٩، كتاب الصلاة، الباب ٥، قُبيل ح ١.

( ٢٤ )

# تحفة المحدّثين

## فيمن أخرج عنه الستّة من المضعّفين

بسم الله الرحمن الرحيم

## حرف الألف

**١ ـ أبان بن صَمْعة البصري الأنصاري**، والد عُتْبة الغلام.

أخرج عنه مسلم والنسائي[١]. سمع أبا الوازع في إماطة الأذى عن الطريق[٢]. وروى عن عكرمة وجماعة، وله عن أُمّه عن عائشة.

وحدّث عنه: يحيى بن سعيد القطّان وأبو عاصم[٣].

ومات سنة ثلاث وخمسين ومائة[٤].

وقد اختلط قبل أن يموت بمدّة طويلة. قال عبد الرحمن بن مهدي: لقيت أبان بن صمعة وقد اختلط البتّة قبل أن يموت بزمانٍ[٥].

---

١. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٦٨، الرقم ٩٤؛ تهذيب الكمال ٢: ١٢، الرقم ١٣٨.

٢. الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٩٢، الرقم ٢١٠.

٣. راجع: الجرح و التعديل ١ (ق ١): ٢٩٧، الرقم ١٠٩؛ الثقات لابن حبّان ٦: ٦٧؛ رجال صحيح مسلم ١: ٦٩، الرقم ٩٤؛ تهذيب الكمال ٢: ١٢، الرقم ١٣٨.

٤. قال به ابن حبّان في الثقات ٦: ٦٧، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٦٩، الرقم ٩٤، والعصفري في تاريخ خليفة بن خيّاط: ٣٤٥، حوادث سنة ١٥٣.

٥. نقله عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ (ق١): ٢٩٧، الرقم ١٠٩، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٩٢، الرقم ٢١٠، والمزّي في تهذيب الكمال ٢: ١٢، الرقم ١٣٨.

وقال يحيى القطّان: تغيّر بأخَرة[١].

وقال أحمد بن حنبل: هو صالح الحديث، فقال له ابنه عبدالله بن أحمد: أليس قد تغيّر؟ قال: نعم[٢].

وقال ابن عديّ: إنّما عيب عليه اختلاطه لمّا كبر... إلى آخره[٣].

وأنت تعلم أنّ من كانت هذه حاله لا يحتجّ بحديثه حتّى ولو كان ثقة، إلّا إذا علم بصدور الحديث عنه قبل الاختلاط، وأنّى لنا بهذا، كما لا يخفى.

٢ ـ **أبان بن يزيد العطّار البصري**، يكنّى أبا زيد.

سمع يحيى بن أبي كثير، وقتادة، وغيلان بن جرير، وأبا عمران الجوني.

وروى عنه حبّان بن هلال، ويزيد بن هارون، وعفّان، ومسلم بن إبراهيم، وأبوداود، وعبد الصمد بن عبد الوارث[٤].

أخرج عنه مسلم[٥]، وقد أورده العلّامة أبو الفرج بن الجوزي في الضعفاء، ولم ينقل توثيقه عن أحد[٦].

وقال يحيى بن سعيد: لا أروي عن أبان العطّار[٧].

---

١. نقله عنه البخاري في التاريخ الكبير ١: ٤٥٢، الرقم ١٤٤٤، والمزّي في تهذيب الكمال ٢: ١٢، الرقم ١٣٨، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ١: ٩٥، الرقم ١٦٩.

٢. نقله عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٢٩٧، الرقم ١٠٩.

٣. الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٩٢، الرقم ٢١٠.

٤ و٥. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٦٩، الرقم ٩٤؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٤٢، الرقم ١٥٩؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٤، الرقم ١٤٣.

٦. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٦، الرقم ٢٠.

٧. نقله عنه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٣٩٠، الرقم ٢٠٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٦، الرقم ٢٠.

وقال عبّاس: سمعت يحيى يقول: حديث محمود بن عمرو عن أسماء الذي يرويه أبان بن يزيد، ليس بشيء[١].

ومن غرائبه عن قتادة، عن أبي مجلز، عن حذيفة: لعن رسول الله ﷺ من جلس وسط الحلقة[٢].

٣ ـ **إبراهيم بن إسماعيل** بن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري المدني

روى عن الزهري، وهو كثير الوهم عنه. وروى عن سالم بن عبدالله، وعمرو بن دينار.

وعنه وكيع، والدراوردي، وأبو نعيم[٣]. وأسند إليه الترمذي[٤]، وقد ضعّفه النسائي[٥].

وقال ابن معين: ليس بشيء[٦]. وقال أبو حاتم: كثير الوهم، ليس بالقويّ[٧].

وقال البخاري: كثير الوهم[٨]، واستشهد به في «بدء الخلق» في ذكر الجنّ من صحيحه[٩].

---

١. نقله عنه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٣٩١، الرقم ٢٠٩.

٢. رواه أبوداود في سننه ٤: ٢٥٨، ح ٤٨٢٦، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٣٩١، الرقم ٢٠٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٣: ٣٣٢، ح ٥٩٠٧.

٣ و٦. راجع: الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٨٤، الرقم ١٩٧؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢١، الرقم ٧١؛ تهذيب الكمال ٢: ٤٦، الرقم ١٤٨.

٥. الضعفاء والمتروكين: ٣٩، الرقم ١.

٦. نقله عنه ابن حبّان في المجروحين ١: ١٠٣، والمزّي في تهذيب الكمال ٢: ٤٦، الرقم ١٤٨، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٩، الرقم ٣٥.

٧. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٩، الرقم ٣٥.

٨. التاريخ الكبير ١: ٢٧١، الرقم ٨٧٢.

٩. راجع صحيح البخاري ٣: ١٢٠١، ح ٣١٢٣. ذكره في باب قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾.

٤ ـ **إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان**، هو أبو ثَورْ الكَلْبي، ويكنّى أبا عبدالله البغدادي الفقيه[١].

قال أبو حاتم: كان يتكلّم بالرأي فيخطئ ويصيب، ليس محلّه محلّ المستمعين في الحديث[٢].

وقد سمع أبو ثور هذا من سفيان بن عيينة[٣].

ومات سنة أربعين ومائتين ببغداد، وقد شاخ[٤].

٥ ـ **إبراهيم بن سعد** بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أبو إسحاق القرشي الزهري المدني.

كان على قضاء بغداد[٥]، واحتجّ به البخاري ومسلم في صحيحيهما[٦].

سمع أباه، وصالح بن كيسان، والزهري عندهما. ويزيد بن الهاد، ومحمّد بن

---

١. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٤٤، الرقم ٤١؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٢، الرقم ٧٩؛ تهذيب الكمال ٢: ٨٠ ـ ٨١، الرقم ١٦٩.

٢. حكاه عنه في الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٩٨، الرقم ٢٦٦.

٣. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٤٤، الرقم ٤١؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٢، الرقم ٧٩؛ تهذيب الكمال ٢: ٨٠ ـ ٨١، الرقم ١٦٩.

٤. راجع: تاريخ بغداد ٦: ٦٩، الرقم ٣١٠٠؛ تهذيب الكمال ٢: ٨٣، الرقم ١٦٩؛ ميزان الاعتدال ١: ٣٠، الرقم ٨٠.

٥. صرّح به ابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٣٨، الرقم ٢٧، وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٦، الرقم ٥١.

٦. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٥١، الرقم ٣٧؛ رجال صحيح مسلم ١: ٣٨، الرقم ٢٧؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٦، الرقم ٥١.

إسحاق، وعبد الملك بن الربيع، والوليد بن كثير عند مسلم.

روى عنه ابنه يعقوب عندهما. وعبد الصمد بن عبد الوارث، ويزيد بن هارون، وابن وهب وغيرهم عند مسلم[١].

ولد سنة عشر ومائة، ومات ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة[٢]، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وكان يضعّف. قال عبدالله بن أحمد:

سمعت أبي يقول: ذكر عند يحيى بن سعيد عقيلٌ وإبراهيمُ بن سعد فجعل كأنّه يضعّفهما، يقول: عقيل وإبراهيم ؟![٣]

وساق له ابن عدي غرائب عن الزهري ممّا خولف في إسنادها، يبدّل تابعيّاً بآخر[٤].

**٦ ـ إبراهيم بن سعيد الجوهري** الحافظ، أبو إسحاق البغدادي.

سمع أبا أُسامة في الجهاد، وأخرج عنه مسلم وسائر الستّة سوى البخاري[٥].

وسأل [عبدالله بن جعفر بن خاقان السُلمي][٦] إبراهيم بن سعيد هذا عن

---

١. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٥١، الرقم ٣٧؛ رجال صحيح مسلم ١: ٣٨، الرقم ٢٧؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٦، الرقم ٥١؛ تهذيب الكمال ٢: ٩٤ ـ ٩٥، الرقم ١٧٥.

٢. قال به ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧: ٣٢٢.

٣. نقله عنه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٢٤٦، الرقم ٧٧، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٣ ـ ٣٤، الرقم ٩٧.

٤. الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٢٤٦ ـ ٢٥٠، الرقم ٧٧.

٥. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣٩، الرقم ٣٠؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢١، الرقم ٧٥؛ تهذيب الكمال ٢: ٩٥ ـ ٩٦، الرقم ١٧٦.

٦. أضفناها من تهذيب الكمال.

حديث من مسند أبي بكر الصدّيق، فقال لجاريته: أخرجي لي الجزء الثالث والعشرين من مسند أبي بكر، قال: فقلت: لأبي بكر عشرون حديثاً، فمن أين ثلاثة وعشرون جزءاً؟[١]

وعن أبي نعيم بن عديّ بن عبد الرحمن بن يوسف قال:

سمعت حجّاج بن الشاعر يقول: رأيت إبراهيم بن سعيد الجوهري عند أبي نعيم يقرأ وهو نائم، وكان حجّاج يقع فيه[٢]. انتهى.

ومات سنة مائتين وسبع ـ وقيل: تسع، وقيل: أربع ـ وأربعين[٣]، والله أعلم.

٧ـ **إبراهيم بن سُوَيد النخعي** الصيرفي الكوفي الأعور.

سمع علقمة، وعبد الرحمن بن يزيد. وروى عنه الحسن بن عبيد الله، وزُبيد بن الحارث اليامي، وسلمة بن كُهَيل[٤].

وأخرج عنه مسلم في صحيحه[٥]، وضعّفه أبو عبد الرحمن النسائي[٦].

وهذا غير إبراهيم بن سويد بن حيّان المدني الذي يروي عن عمرو بن أبي عمرو، وابن عقيل، وغيرهما من تلك الطبقة[٧].

---

١. أورده المزّي في تهذيب الكمال ٢: ٩٧، الرقم ١٧٦.

٢. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٦، الرقم ٩٩.

٣. راجع المصدر.

٤. راجع: الجرح والتعديل ١ (ق ١): ١٠٣، الرقم ٢٩١؛ رجال صحيح مسلم ١: ٣٩، الرقم ٢٨؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢١، الرقم ٧٤.

٥. راجع صحيح مسلم ١: ٤٠١، كتاب المساجد و...، ح ٩٢، و٤: ١٧٠٨، كتاب السلام، ح ١٦، و٤: ٢٠٨٨، كتاب الذكر والدعاء و...، ح ٧٤.

٦. الضعفاء والمتروكين: ٤٤، الرقم ١٩.

٧. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٥٢، الرقم ٣٩؛ تهذيب الكمال ٢: ١٠٢ ـ ١٠٣، الرقم ١٨٠.

ويروي عنه سعيد بن أبي مريم عند البخاري في الحجّ[١].

٨ ـ **إبراهيم بن طَهْمان** الهروي الخراساني المرجئ، يكنّى أبا سعيد.

سكن نيسابور ثمّ مكّة، وهو من رجال البخاري ومسلم في صحيحيهما[٢].

سمع محمّد بن زياد، ويونس بن عبيد، وأبا حمزة، وحسيناً المعلّم عند البخاري. والحجّاج، وأبا حصين، وأبا الزبير، وسماكاً عند مسلم.

روى عنه أبو عامر العقدي عندهما: ومعن، وعبدالله بن المبارك، وحفص بن عبدالله عند البخاري. ويحيى بن الضريس، ومحمّد بن سابق، ويحيى بن بكر[٣] عند مسلم[٤].

مات سنة ستّين ومائة[٥].

وقد ضعّفه محمّد بن عبدالله بن عمّار الموصلي فقال: ضعيف مضطرب الحديث[٦].

وقال الدارقطني: إنّما تكلّموا فيه للإرجاء[٧].

وقال أبو إسحاق الجوزجاني: فاضل رمي بالإرجاء[٨].

---

١. صحيح البخاري ٢: ٦٠١، ح ١٥٨٧.

٢ و٤. للمزيد راجع: الجرح والتعديل ١ (ق ١): ١٠٧ ـ ١٠٨، الرقم ٣٠٧؛ رجال صحيح البخاري ١: ٥٣ ـ ٥٤، الرقم ٤١؛ رجال صحيح مسلم ١: ٤٠، الرقم ٣١؛ تاريخ بغداد ٦: ١٠٥، الرقم ٢١٤٣.

٣. كذا في المخطوطة ولكن في بعض المصادر: «يحيى بن أبي بكير».

٥. قال به ابن حبّان في الثقات ٦: ٢٧، وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٦، الرقم ٥٣.

٦. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٨، الرقم ١١٦، ومغلطاي في إكمال تهذيب الكمال ١: ٢٢١، الرقم ٢٢٧.

٧. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٨، الرقم ١١٦.

٨. أحوال الرجال: ٢٠٩، الرقم ٣٨٨.

وأشار إلى تليينه السليماني فقال:

أنكروا عليه حديثه عن أبي الزبير عن جابر في رفع اليدين، وحديثه عن شعبة، عن قتادة، عن أنس: «رفعت لي سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار ...»[١].

ونصّ أحمد بن حنبل على أنّه كان يرى الإرجاء[٢].

**٩ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن السَكْسَكي الكوفي**، يكنّى أبا إسماعيل.

سمع عبدالله بن أبي أوفى، وأبا بردة. وأخرج عنه البخاري وأبو داود والنسائي.

وروى عنه العوّام [بن حَوشَب] في الجهاد والشهادات[٣].

وقد ضعّفه أحمد بن حنبل[٤]، وليّنه شعبة[٥]. وقال النسائي: ليس بذلك القوي[٦].

**١٠ ـ إبراهيم بن المنذر**، أبو إسحاق المدني الحزامي.

هو من رجال البخاري وأبي داود والنسائي.

---

١. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٨، الرقم ١١٦. والرواية رواها الطبراني في المعجم الصغير ٢: ١٣١، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح ٢٧٤ بتفاوت يسير.

٢. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٨، الرقم ١١٦، ومغلطاي في إكمال تهذيب الكمال ١: ٢٢٧، الرقم ٢٢٧.

٣. راجع: الجرح والتعديل ١ (ق ١): ١١١، الرقم ٣٣١؛ رجال صحيح البخاري ١: ٥٥ ـ ٥٦، الرقم ٤٤.

٤. حكاه عنه المزّي في تهذيب الكمال ٢: ١٣٢، الرقم ٢٠١.

٥. راجع: الجرح والتعديل ١ (ق ١): ١١١، الرقم ٣٣١؛ الكامل في ضعفاء الرجال ١: ١١٠ ـ ١١١، الرقم ٥٧؛ ميزان الاعتدال ١: ٤٥، الرقم ١٣٥.

٦. الضعفاء والمتروكين: ٤٤، الرقم ١٨.

سمع الوليد بن مسلم، وأنس بن عياض، ومعن بن عيسى[١].

واحتجّ به البخاري في غير موضع، وروى عن محمّد بن أبي غالب عنه حديثاً في «الاستئذان»[٢].

توفّي سنة ستّ وثلاثين ومائتين[٣].

وكان ذا مناكير وخلط في القرآن، جاء إلى أحمد بن حنبل فسلّم عليه، فما ردّ عليه[٤].

وقال أبو حاتم: صدوق إلّا أنّه خلط في القرآن[٥].

١١ ـ **إبراهيم بن المهاجر** بن جابر البجلي الكوفي

احتجّ به مسلم. سمع صفيّة بنت شيبة، وأبا الشعثاء سُليماً، وإبراهيم النخعي، وطارق بن شهاب. وله عن مجاهد.

وروى عنه شعبة، وأبو الأحوص، وعمرو بن أبي قيس[٦].

قال يحيى: إنّه ضعيف[٧]. وقال ابن عدي: يكتب حديثه في الضعفاء[٨].

---

١. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٥٨ ـ ٥٩، الرقم ٤٩؛ تاريخ بغداد ٦: ١٨٠، الرقم ٣٢٣٥؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٠٧ ـ ٢٠٩، الرقم ٢٤٩.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٣١٤، ح ٥٩١٧.

٣. صرّح به الكلاباذي في رجال صحيح البخاري ١: ٥٩، الرقم ٤٩، والمزّي في تهذيب الكمال ٢: ٢١١، الرقم ٢٤٩.

٤. للمزيد راجع: تاريخ بغداد ١: ١٨٠، الرقم ٣٢٣٥؛ تهذيب الكمال ٢: ٢١٠، الرقم ٢٤٩.

٥. نقله الخطيب والمزّي في المصدرين المذكورين قُبيل هذا.

٦. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٤٦، الرقم ٤٦؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٢٣، الرقم ٨٤؛ تهذيب الكمال ٢: ٢١١ ـ ٢١٢، الرقم ٢٥٠.

٧. حكاه عنه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٢١٤، الرقم ٥٩.

٨. الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٢١٥، الرقم ٥٩.

وقال ابن حبّان:

روى عمرو بن أبي قيس، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن محمّد بن عبدالرحمن بن أبي ذباب، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنّة ولد زنى، ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء»[١]. انتهى.

وهو كما ترى.

**١٢ ـ إبراهيم بن يزيد بن عمرو**

وقيل: ابن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذُهل بن ربيعة بن حارثة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع[٢].

هو أبو عمران النخعي الكوفي من رجال البخاري ومسلم.

سمع علقمة بن قيس، وهمام بن الحارث، والأسود بن يزيد، وأباعبيدة بن عبدالله بن مسعود، وعبيدة عندهما. وسهم بن منجاب، وعبدالرحمن، وأبامعمر، وعبيد بن نضلة، وعابساً، وعبد الرحمن بن يزيد عند مسلم.

وروى عنه الحكم، ومنصور، والأعمش، وابن عون، وزبيد عندهما.

وروى عنه فضيل بن عمرو، ومغيرة، وزياد بن كليب، وواصل، والحسن بن عبيدالله، وحمّاد بن أبي سليمان، وسماك عند مسلم[٣].

مات سنة ستّ ـ أو خمس ـ وتسعين ـ وهو ابن ستّ وأربعين سنة ـ

---

١. المجروحين لابن حبّان ١: ١٠٢.

٢. قال به ابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٤٧، الرقم ٤٩، وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٨، الرقم ٦١.

٣. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٦٠، الرقم ٥١؛ رجال صحيح مسلم ١: ٤٧، الرقم ٤٩؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٥ ـ ١٦، الرقم ٦١؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٣٣ ـ ٢٣٤، الرقم ٢٦٥.

بعد موت الحجّاج بأربعة أشهر[١].

وقد قال فيه الشعبي: ذاك الذي يروي عن مسروق ولم يسمع منه شيئاً[٢].

وقال يونس بن بكير: عن الأعمش قال: ما رأيت أروى حديثاً لم يسمعه من إبراهيم بن يزيد النخعي[٣].

وقد رأى زيد بن أرقم وغيره، ولم يصحّ له سماع من صحابيّ، وكان لا يحكم العربيّة وربّما لحن، وكان لا يرى أبا هريرة فقيهاً، وكان يرسل عن ابن مسعود وجماعة آخرين وهو لم يسمع منهم[٤].

١٣ ـ **إبراهيم بن يوسف** بن إسحاق بن أبي إسحاق الهمداني السبيعي الكوفي.

هو من رجال البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي. سمع أباه عند البخاري ومسلم.

وروى عنه إسحاق السلولي عندهما. ومحمّد بن العلاء، وشريح بن مسلمة عند البخاري[٥].

---

١. قال به ابن حبّان في ثقاته ٤: ٨، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٤٧، الرقم ٤٩؛ وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٩، الرقم ١٦.

٢. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٥، الرقم ٢٥٢.

٣. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٥، الرقم ٢٥٢، وابن ماكولا في إكمال تهذيب الكمال ١: ٣٢٠، الرقم ٣١٦.

٤. للمزيد راجع المصدرين المذكورين قبيل هذا.

٥. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٦١ ـ ٦٢، الرقم ١٩٧؛ رجال صحيح مسلم ١: ٤٨، الرقم ٥١؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٩ ـ ٢٠، الرقم ٦٣؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٤٩، الرقم ٢٦٩.

روى عبّاس عن يحيى: إنّه ليس بشيء[1]. وقال الجوزجاني: ضعيف[2]. وقال النسائي: ليس بالقوي[3]. وقال أبو داود: ضعيف[4]. وقال أبو حاتم: لم يسمع من أبيه شيئاً[5].

وقد مات مع سفيان بن عيينة في عام واحد[6].

١٤ ـ **أُبيّ بن العبّاس** بن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري المدني.

سمع أباه. روى عنه معن بن عيسى القزّاز، عن أُبي بن العبّاس بن سهل، عن أبيه العبّاس، عن جدّه سهل. ولأُبي هذا عن أبي بكر بن حزم، وعنه جماعة[7].

وقد ضعّفه ابن معين[8]. وقال أحمد بن حنبل: منكر الحديث[9]. وقال النسائي والدولابي: ليس بالقوي[10]. واعترف الذهبي في ميزانه بأنّه لم يكن بالثبت، وكان أخوه عبد المهيمن واهياً[11].

---

١. حكاه عنه المزّي في تهذيب الكمال ٢: ٢٥٠، الرقم ٢٦٩.

٢. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٦، الرقم ٢٥٨.

٣. الضعفاء والمتروكين: ٤٣، الرقم ١٦.

٤. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٦، الرقم ٢٥٨.

٥. راجع الجرح والتعديل ١ (ق ١): ١٤٨، الرقم ٤٨٧. وفيه: «يكتب حديثه، وهو حسن الحديث».

٦. صرّح به الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٦، الرقم ٢٥٨.

٧. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٩٠ ـ ٩١، الرقم ٩٩؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٣٩ ـ ٤٠، الرقم ١٤٨؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٥٩، الرقم ٢٧٧.

٨. حكاه عنه المزّي في تهذيب الكمال ٢: ٢٦٠، الرقم ٢٧٧، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٧٨، الرقم ٢٧٧.

٩. حكاه عنه المزّي في تهذيب الكمال ٢: ٢٦٠، الرقم ٢٧٧.

١٠. راجع: الضعفاء والمتروكين: ٤٥، الرقم ٢٣؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٥٩، الرقم ٢٧٧.

١١. ميزان الاعتدال ١: ٧٨، الرقم ٢٧٣.

**١٥ ـ أحمد بن إسحاق الحضرمي**، أخو يعقوب بن إسحاق.

وهو أكبر سنّاً من أخيه، يكنّى أبا إسحاق، من أهل البصرة.

أخرج عنه مسلم. وقد سمع وهيب بن خالد، وهماماً، وأبا عوانة، وعبدالعزيز بن المختار، وحمّاد بن سلمة.

وروى عنه أحمد بن أبي خيثمة، وعباس الدوري، وعمر بن حميد، وأبوبكر بن أبي شيبة، وأحمد بن سعيد الدارمي، وزهير بن حرب[١].

وتوفّي بالبصرة في شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومائتين[٢].

لم يوثّقه البخاري ولم يروِ عنه، بل تركه أحمد بن حنبل، كما في ميزان الاعتدال[٣] وغيره[٤].

**١٦ ـ أحمد بن بشير الكوفي**

هو أبو بكر مولى آل عمرو بن حُريث المخزومي، ويقال له: الشيباني.

أخرج عنه البخاري. وقد روى عن هاشم بن هاشم بن عتبة. وروى عنه محمّد غير منسوب، ولعلّه ابن سلام البيكندي في آخر كتاب الطبّ[٥].

---

١. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣٦، الرقم ٢٠؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، الرقم ٨.

٢. قال به ابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٣٦، الرقم ٢٠، وابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٥، الرقم ٤٦.

٣. ميزان الاعتدال ١: ٨٢، الرقم ٢٩٥.

٤. كابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ١: ١٤، الرقم ٩.

٥. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٢٧ ـ ٢٨، الرقم ٣؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٩، الرقم ١٢؛ تهذيب الكمال ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، الرقم ١٤.

ومات سنة سبع وتسعين ومائة بعد وكيع بخمسة أيّام[١].

وله عن الأعمش وهشام بن عروة.

وكان رأساً في الشعوبيّة، خاصم فيها فوضعه ذلك عند الناس[٢].

وقال الدارقطني: ضعيف لا يعتبر بحديثه[٣]. وقال النسائي: ليس بذاك القوي[٤].

وقال الدارمي: هو متروك[٥].

وقد روى أحمد بن بشير هذا عن الأعمش، عن بشير بن سلمة، عن عطاء، عن جابر مرفوعاً، قال:

تعبّد رجل في صومعته، فمطرت السماء، فأعشبت الأرض، فرأى حماراً يرعى، فقال: يا ربّ، لو كان لك حمار رعيته مع حماري[٦].

**١٧ ـ أحمد بن سليمان**

وسليمان والده يعرف بأبي الطيّب، ويكنّى أحمد هذا أبا سليمان، وهو مَرْوَزي من الموالي[٧].

---

١. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٢٧ ـ ٢٨، الرقم ٣؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٩، الرقم ١٢؛ تهذيب الكمال ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، الرقم ١٤.

٢. حكاه الخطيب عن ابن نُمير في تاريخ بغداد ٤: ٤٨، الرقم ١٦٥٣، والمزّي في تهذيب الكمال ١: ٢٧٥، الرقم ١٤.

٣ و٤. حكاهما عنهما المزّي في تهذيب الكمال ١: ٢٧٥، الرقم ١٤، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٨٥، الرقم ٣٠٦.

٥. حكاه عنه الخطيب في تاريخ بغداد ٤: ٤٦، الرقم ١٦٥٣، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٨٥، الرقم ٣٠٦.

٦. رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١: ١٦٥، الرقم ١، والخطيب في تاريخ بغداد ٤: ٤٦، الرقم ١٦٥٣.

٧. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٣٢ ـ ٣٣، الرقم ١٠؛ تهذيب الكمال ١: ٣٥٧، الرقم ٥٢.

أخرج عنه البخاري في مناقب أبي بكر حديثاً واحداً[١]، وكان شُرطيّاً في بخارى[٢].

وقد سمع إسماعيل بن مجالد، وسمع من إبراهيم بن سعد، وعبدالله بن الرقّي وغير واحد[٣].

ضعّفه أبو حاتم[٤].

وكان يأتي بالمناكير، فمنها ما رواه بإسناده إلى عائشة: أنّ امرأةً أهدت إليها تمراً فأكلت منه، فقالت المرأة: أقسمت عليكِ إلّا ما أكلتيه كلّه، فقال النبيّ ﷺ: «الإثم على المحنث»[٥].

**١٨ ـ أحمد بن شبيب بن سعيد**، أبو عبدالله البصري.

أخرج عنه البخاري في مناقب عثمان[٦]، وفي الاستقراض[٧] مفرداً، وفي مواضع أُخر مقروناً إسناده بإسناد آخر.

يروي أحمد هذا عن أبيه شبيب، وله عن عبدالله بن رجاء المكّي[٨].

---

١. صحيح البخاري ٣: ١٣٣٨، ح ٣٤٦٠.

٢. صرّح به الكلاباذي في رجال صحيح البخاري ١: ٣٢ ـ ٣٣، الرقم ١٠، والمزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٥٧، الرقم ٥٢.

٣. راجع: تاريخ بغداد ٤: ١٧٤، الرقم ١٨٥٦؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٠، الرقم ١٧.

٤. حكاه عنه ابنه في الجرح والتعديل ١: ٥٢، الرقم ٥٧.

٥. رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٩: ٤٢٣، ح ٢٤٨٨٩، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠: ٧١، ح ١٩٨٩٢.

٦. صحيح البخاري ٣: ١٣٥١، ح ٣٤٩٣.

٧. المصدر ٢: ٨٤٢، ح ٢٢٥٩.

٨. راجع: التاريخ الكبير ٢: ٦، الرقم ١٥١٠؛ رجال صحيح البخاري ١: ٣٣ ـ ٣٤، الرقم ١٢؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٠، الرقم ١٨؛ تهذيب الكمال ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨، الرقم ٤٧.

قال الأزدي: منكر الحديث، غير مرضيّ[١].

**١٩ ـ أحمد بن صالح** أبو جعفر المصري

أخرج عنه البخاري في مواضع من صحيحه[٢]، وروى عن محمّد غير منسوب عنه في أوّل التوحيد[٣]. وقد سمع أحمد هذا: عبدالله بن وَهْب وعنبسة بن خالد. وحدّث عن: ابن عيينة وخلقٍ، وآخِرُ مَن حدّث عنه ابن أبي داود[٤].

وكان مولده سنة سبعين ومائة، ومات بمصر في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين[٥].

ذكره النسائي فقال: ليس بثقة ولا مأمون[٦].

وقال أبو سعيد بن يونس: لم يكن له آفة غير الكبر[٧].

وقال النسائي أيضاً: تركه محمّد بن يحيى، ورماه يحيى بن معين بالكذب[٨].

وقال ابن عدي: كان النسائي سيّء الرأي فيه وأنكر عليه أحاديثَ[٩].

---

١. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٠٣، الرقم ٤٠٤.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢١٢٠، ح ٥٢٥٦. وراجع أيضاً الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٠، الرقم ١٩.

٣. صحيح البخاري ٦: ٢٦٨٦، ح ٦٩٤٠. وراجع أيضاً رجال صحيح البخاري ١: ٣٤ ـ ٣٥، الرقم ١٣.

٤. راجع: الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٠، الرقم ١٩؛ تهذيب الكمال ١: ٣٤٠ ـ ٣٤٢، الرقم ٤٩.

٥. راجع: التاريخ الكبير ٢: ٦، الرقم ١٥١٠؛ رجال صحيح البخاري ١: ٣٤ ـ ٣٥، الرقم ١٣؛ تهذيب الكمال ١: ٣٥٤، الرقم ٤٩.

٦. الضعفاء والمتروكين: ٥٩، الرقم ٧١. وفيه: «ليس بثقة»، حكاه بتمامه عنه المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٤٥، الرقم ٤٩.

٧. حكاه عنه المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٤٥، الرقم ٤٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٠٤، الرقم ٤٠٦.

٨. نقله عنه المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٤٦، الرقم ٤٩.

٩. الكامل في ضعفاء الرجال ١: ١٨٠، الرقم ٢١.

وقال معاوية بن صالح عن ابن معين: أحمد بن صالح كذّاب يتفلسف، رأيته يخطِر في جامع مصر[١].

وكان مشهوراً بالكبر.

٢٠ ـ **أحمد بن عبد الرحمن** بن وَهْب بن مسلم القرشي المصري ـ المعروف ببَحْشَل ـ ابن أخي عبدالله بن وهب، يكنّى أبا عبدالله.

سمع عمّه عبدالله بن وَهْب[٢]. روى عنه مسلم فضل قرأءة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[٣] وفي غير موضع من صحيحه[٤].

مات سنة أربع وستّين ومائتين[٥].

ذكره ابن يونس، فقال: لا تقوم به حجّة[٦].

وقال ابن عدي: رأيت شيوخ مصر مجمعين على ضعفه، والغرباء لا يمتنعون عن الأخذ عنه[٧].

قلت: أهل مكّة أعرف بشعابها.

وقد ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال فنقل عدّة من أحاديثه التي أنكروها عليه[٨]، فراجع.

---

١. نقله عنه المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، الرقم ٤٩.

٢ و٤. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣٥، الرقم ١٦؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٤ ـ ١٥، الرقم ٤٤؛ تهذيب الكمال ١: ٣٨٧ ـ ٣٨٨، الرقم ٦٨.

٣. صحيح مسلم ١: ٥٥٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح ٢٦٣.

٥. صرّح به المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣٩١، الرقم ٦٨، وابن حجر في تهذيب التهذيب ١: ٥٥، الرقم ٩١.

٦. نقله عنه المزّي في تهذيب الكمال ١: ٣١٩، الرقم ٦٨.

٧. الكامل في ضعفاء الرجال ١: ١٨٤، الرقم ٢٢.

٨. ميزان الاعتدال ١: ١١٣ ـ ١١٤، الرقم ٤٤٤.

وقال ابن حبّان حيث ذكره:

أتى بمناكير في آخر عمره، فروى عن عمّه، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله زادكم صلاة إلى صلاتكم وهي الوتر» ـ قال: ـ فهذا موضوع[1].

وعوتب أبو بكر محمّد بن إسحاق في روايته عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، مع ما حدّث به من المناكير، فقال ـ معتذراً ـ: إنّما أروي عنه؛ لأنّه لمّا أنكروا عليه تلك الأحاديث رجع عنها عن آخرها إلّا حديث مالك عن الزهري عن أنس: «إذا حضر العشاء...»[2].

قلت: هذا الاعتذار لا يجدي شيئاً، كما ترى؛ لأنّ رجوعه عنها كالاعتراف بوضعها، والنفس بعدها لا تركن إليه أبداً.

### ٢١ ـ أحمد بن عَبْدَة بن موسى الضبّي البصري

وفي ميزان الاعتدال نسبه إلى مصر[3].

هو أبو عبدالله. سمع حمّاد بن زيد، وعبد العزيز الدراوردي، وسليم بن أخضر وغير واحد. روى عنه مسلم في غير موضع[4].

قال الإمام الحافظ محمّد بن طاهر المقدسي المعروف بـ«ابن القيسراني» في

---

١. المجروحين لابن حبّان ١: ١٤٩ بتفاوت في الألفاظ. والرواية رواها عبدالرزّاق في مصنّفه ٣: ٧، ح ٤٥٨٢.

٢. راجع تهذيب الكمال ١: ٣٨٩، الرقم ٦٨. والرواية رواها أحمد عن الزهري، عن أنس في مسنده ٤: ٢٢١، ح ١٢٠٧٧، ومسلم في صحيحه ١: ٣٩٢، كتاب المساجد و...، ح ٦٤.

٣. ميزان الاعتدال ١: ١١٨، الرقم ٤٦٣.

٤. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣١ ـ ٣٢، الرقم ٤؛ تهذيب الكمال ١: ٣٩٧ ـ ٣٩٨، الرقم ٧٥.

كتاب الجمع بين كتابي الكلاباذي والإصفهاني في رجال البخاري ومسلم، عند ذكره لأحمد بن عبدة الضبّي:

وأنكر على مسلم إخراج حديثه عن حمّاد بن زيد، عن أيّوب، عن نافع: ذكر لابن عمر: عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة؟ أنّه قال: لم يعتمر منها.

ـقال القيسراني: ـوهذا حديث لم يروه غير أحمد بن عبدة عن حمّاد، وهو غير صحيح. وقد صحّ أنّ النبيّ ﷺ اعتمر من الجعرانة بدليل آخر[١]. انتهى.

وقال ابن خِراش: تكلّم الناس في أحمد بن عبدة[٢].

## ٢٢ ـ أحمد بن عيسى المصري التُسْتَري

نزل بغداد، وحدّث عن عبدالله بن وهب عند البخاري ومسلم. وقد رويا عنه[٣].

مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين[٤].

وقد نقل أبو داود عن يحيى بن معين أنّه حلف بالله أنّه كذّاب[٥].

وقال سعيد البَرْدَعي:

شهدت أبا زرعة ذُكر عنده صحيح مسلم فقال: هؤلاء قوم أرادوا التقدّم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتشرّفون به[٦]، ـوقال: ـيروي عن أحمد بن عيسى في صحيحه[٧]: ما رأيت أهل مصر يشكّون في أنّه... وأشار إلى لسانه [يعني كذّاب][٨].

---

١. الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٣، الرقم ٣٦.

٢. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١١٨، الرقم ٤٦٣.

٣. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣٦، الرقم ٢١؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٧، الرقم ٧.

٤. قال به ابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٧، الرقم ٧.

٥. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٢٥، الرقم ٥٠٧.

٦. في المصدر: «يتسوّقون به».

٧. في المصدر: «في الصحيح».

٨. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٢٦، الرقم ٥٠٧. ومابين المعقوفين من المصنّف.

قلت: وقد سمع أحمد بن عيسى من يغنم بن سالم، ذاك المتروك الذي يروي عن أنس أحاديثَ باطلة[١].

## ٢٣ ـ أحمد بن القاسم

ويعرف القاسم بأبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، ويكنّى أحمد هذا أبا مصعب القرشي الزهري.

أخرج البخاري ومسلم عنه. وقد حدّث عن المغيرة بن عبد الرحمن، ومحمّد بن إبراهيم بن دينار عند البخاري[٢].

وحدّث عن مالك بن أنس حديثاً واحداً عند مسلم يرفعه: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه»[٣].

أخرجه مسلم عن أبي مصعب أحمد بن أبي بكر هذا، وليس له في كتابه غير هذا الحديث.

مات بالمدينة سنة اثنتين وأربعين ومائتين[٤].

قال أبو خيثمة لابنه أحمد: لا تكتب عن أبي مصعب أحمد بن أبي بكر، واكتب عمّن شئت[٥].

---

١. للمزيد راجع ميزان الاعتدال ٤: ٤٥٩، الرقم ٩٨٤٥.

٢. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٥ ـ ٤٦، الرقم ٣٠؛ رجال صحيح مسلم ١: ٣٢، الرقم ٥؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٨، الرقم ٩.

٣. صحيح مسلم ٣: ١٥٢٦، كتاب الأمارة، ح ١٧٩. ورواه أيضاً ابن ماجة في سننه ٢: ٩٦٢، ح ٢٨٨٢.

٤. قال به البخاري في التاريخ الكبير ٢: ٥ ـ ٦، الرقم ١٥٠٦، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم ١: ٣٢، الرقم ٥.

٥. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٨٤، الرقم ٣٠٣.

**٢٤ ـ أحمد بن مقدام**، أبو الأشعث العجلي البصري.

سمع محمّد بن عبد الرحمن الطفاوي، وفضيل بن سليمان، وحمّاد بن زيد[١].

روى عنه البخاري في مواضع من صحيحه[٢].

قال الذهبي:

وإنّما ترك أبو داود الرواية عنه لمزاحٍ فيه. قال أبو داود: كان بالبصرة مجّان يلقون صُرّة الدراهم ويرقبونها، فإذا جاء مَنْ لحظها فرفعها صاحوا به وخجّلوه، فعلّمهم أبو الأشعث أن يتّخذوا صرّةً فيها زجاج، فإذا أخذوا صرّة الدراهم فصاح صاحبها وضعوا بدلها في الحال صرّة الزجاج ـ قال أبو داود ـ كان يعلّمهم المجون[٣].

قلت: بل يعلّمهم الشعبذة؛ لتكون وسيلتهم إلى أن يأخذوا أموال الناس.

وأمّا تركه فإنّه لم يكن مقصوراً على أبي داود؛ إذ تركه مسلم بن الحجّاج وغير واحد، كما هو معلوم.

**٢٥ ـ أحمد بن المنذر بن الجارود البصري**

سمع أبا أُسامة، وزيد بن الحُباب، وعبد الصمد بن عبد الوارث[٤].

روى عنه مسلم في غير موضع من صحيحه، ولأحمد هذا رواية عن حمّاد بن مسعدة[٥].

---

١ و٢. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٤، الرقم ٢٧؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٢، الرقم ٢٩.

٣. ميزان الاعتدال ١: ١٥٧، الرقم ٦٢٩. وفيه: «... كان يعلم المجان من المجون».

٤ و٥. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٣٥، الرقم ١٨؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٥، الرقم ٤٥؛ تهذيب الكمال ١: ٤٩٠، الرقم ١١١.

قال أبو حاتم: لا أعرفه[١].

٢٦ ـ **أحمد بن يزيد** بن إبراهيم بن الوَرْتَنيس، أبو الحسن الحرّاني، يعرف بالوَرْتَنيسي.

سمع زهير بن معاوية. وروى عنه محمّد بن يوسف البِيْكَندي حديثاً في صفة النبيّ ﷺ[٢]، أخرجه البخاري في باب علامات النبوّة[٣].

وله عن فليح، والمسعودي، وعنه فهد بن سليمان وطائفة[٤].

ضعّفه أبو حاتم[٥].

وممّا رواه عن فليح، عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً:

أنّه مرّ ببقعة بين البقيع والمناصع فقال: «نِعْمَ موضع الحمّام هذا» فاتّخذ حمّاماً[٦].

قال أبو حاتم: هذا حديث باطل[٧].

---

١. حكاه عنه ابنه في الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٧٨، الرقم ١٧٠.

٢. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٥، الرقم ٢٩؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٢، الرقم ٣١؛ تهذيب الكمال ١: ٥٢٠ ـ ٥٢١، الرقم ١٢٧.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٢٣، ح ٣٤١٩.

٤. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٥، الرقم ٢٩؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ١٢، الرقم ٣١؛ تهذيب الكمال ١: ٥٢٠ ـ ٥٢١، الرقم ١٢٧.

٥. راجع الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٨٢، الرقم ١٩١.

٦. راجع: ذكر أخبار إصبهان ١: ٢٣٠؛ ميزان الاعتدال ١: ١٦٣ ـ ١٦٤، الرقم ٦٦٠؛ تهذيب التهذيب ١: ٩٠ ـ ٩١، الرقم ١٥٨.

٧. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٦٤، الرقم ٦٦٠، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ١: ٩١، الرقم ١٥٨.

**٢٧ ـ أحمد**، غير منسوب.

يروي عن عبدالله بن وهب المصري. حدّث عنه البخاري في غير موضعٍ من صحيحه[١].

فهو مجهول، وقد اختلفوا فيه، فقال قوم: إنّه أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب. وقال آخرون: إنّه أحمد بن صالح، أو أحمد بن عيسى. وكلّ من هؤلاء الثلاثة يروي عن عبدالله بن وهب[٢].

وقد سمعت القول في تضعيف كلّ منهم فيما ذكرناه قريباً عنهم، فراجع[٣].

**٢٨ ـ أحمد** آخر، غير منسوب.

يروي عن محمّد بن أبي بكر المقدّمي في «التوحيد» حديثاً أخرجه عنه البخاري[٤]، وهو مجهول.

**٢٩ ـ أحمد** ثالث، غير منسوب.

يروي عن عبيد الله بن معاذ في تفسير «سورة الأنفال» حديثاً أخرجه عنه البخاري[٥]، وهو مجهول أيضاً.

---

١. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٧، الرقم ٣٢؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٣٣، الرقم ٣٣؛ تهذيب الكمال ١: ٥٢٦، الرقم ١٣١.

٢. للمزيد راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٤٧، الرقم ٣٢؛ تهذيب الكمال ١: ٥٢٦، الرقم ١٣١.

٣. راجع ص ١٦ ـ ١٩، الرقم ١٩، ٢٠، ٢٢.

٤. صحيح البخاري ٦: ٢٦٩٩، ح ٦٩٨٤. للمزيد راجع أيضاً: رجال صحيح البخاري ١: ٤٧، الرقم ٣٣؛ تهذيب الكمال ١: ٥٢٦، الرقم ١٣١.

٥. صحيح البخاري ٤: ١٧٠٤، ح ٤٣٧١. للمزيد راجع أيضاً تهذيب الكمال ١: ٥٢٦، الرقم ١٣٢.

**٣٠ـ أحوص بن جوّاب أبو الجوّاب الضبّي الكوفي**

روى عنه مسلم في صحيحه.

وقد سمع عمّار بن رزيق، وسليمان بن قرم، ومحمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو أكبر مشايخه.

وروى عنه محمّد بن عمرو بن جبلة، ومحمّد بن إسحاق الصغاني، وحجّاج بن الشاعر، ومحمّد بن عبدالله بن نمير[١].

قال يحيى بن معين: ليس بذاك القوي[٢].

قلت: وقد تركه البخاري، وروى عنه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي[٣].

**٣١ـ أزهر بن سعد السمّان البصري**، مولى باهلة.

يكنّى أبا بكر، وهو من رجال البخاري ومسلم. سمع ابن عون عبدالله عندهما.

وروى عنه عبدالله المسندي، وعليّ بن المديني، وعمرو بن عليّ عند البخاري. ومحمّد بن المثنّى، وأحمد بن عثمان النوفلي، وإسحاق الحنظلي، والحسن الحلواني عند مسلم[٤].

---

١. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٨٤، الرقم ١٣٣؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٥١، الرقم ١٩٤؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٨٨، الرقم ٢٨٦.

٢. نقله عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ (ق١): ٣٢٨، الرقم ١٢٥٣.

٣. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٨٤، الرقم ١٣٣؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٥١، الرقم ١٩٤؛ تهذيب الكمال ٢: ٢٨٨، الرقم ٢٨٦.

٤. راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٩١، الرقم ١٠٠؛ رجال صحيح مسلم ١: ٨٣، الرقم ١٣٠، وفيه: «ابن عوف» بدل «ابن عون»؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٤٠، الرقم ١٤٩؛ تهذيب الكمال ٢: ٣٢٣، الرقم ٣٠٧.

مات سنة ستّ وثلاثين ومائتين[١]، وكان ابن أربع وتسعين سنة.

وقد أورده العقيلي في كتاب الضعفاء[٢]. وقال أحمد بن حنبل: ... ابن أبي عدي أحبّ إليّ من أزهر السمّان[٣].

**٣٢ ـ أُسامة بن زيد الليثي**، مولاهم المدني، يكنّى أبا زيد.

حدّث عن إبراهيم بن عبدالله بن حنين، وحفص بن عبدالله بن أنس، ودينار القرّاظ، ونافع، ويعقوب بن عبدالله بن أبي طلحة، وأبي حازم دينار، وأبي سعيد مولى عبدالله بن عامر بن كريز، وطاووس.

وروى عن ابن وَهْب، وعبدالله بن موسى، وحاتم بن إسماعيل، وزيد بن الحباب[٤].

وعدّه القيسراني في أفراد البخاري ومسلم[٥].

وذكره أحمد بن حنبل فقال: ليس بشيء، فراجعه ابنه عبدالله فيه فقال: إذا تدبّرت حديثه تعرف فيه النكر[٦].

---

١. لم نعثر على قائل به، والكلاباذي وابن القيسراني والمزّي ذكروا سنة موته ٢٠٣. وللمزيد راجع: رجال صحيح البخاري ١: ٩١، الرقم ١٠٠؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٤٠، الرقم ١٤٩؛ تهذيب الكمال ٢: ٣٢٣، الرقم ٣٠٧.

٢. الضعفاء الكبير ١: ١٣٢ ـ ١٣٣، الرقم ١٦٤.

٣. نقله عنه العقيلي في المصدر.

٤. راجع: رجال صحيح مسلم ١: ٧٠، الرقم ٩٨؛ تهذيب الكمال ٢: ٣٤٧ ـ ٣٤٩، الرقم ٣١٧؛ ميزان الاعتدال ١: ١٧٤، الرقم ٧٠٦.

٥. الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٤١، الرقم ١٥٢.

٦. حكاه المزّي في تهذيب الكمال ٢: ٣٤٩، الرقم ٣١٧، والذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٧٤، الرقم ٧٠٦.

وكان يحيى القطّان يضعّفه[١]. وقال النسائي: ليس بالقوي[٢]. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتجّ به[٣].

وقال ابن الجوزي:

واختلفت الرواية فيه عن ابن معين، فقال مرّة: ثقة صالح، وقال مرّة: ليس به بأس، وقال مرّة: ترك حديث بأخرة[٤].

مات سنة ثلاث وخمسين ومائة[٥].

❊ ❊ ❊

هذا ما حصلنا عليه من نسخة تحفة المحدّثين، ويظهر ممّا كتبه المؤلّف في كتابه بغية الراغبين وتعليقته على الكلمة الغرّاء أنّ الكتاب كان من جملة نفائسه، أُتلف أو أُحرق مع بقيّة كتبه التي طالتها يد الغدر والخيانة، أو أنّه فقد مع المفقودات.

ونحن بدورنا نناشد جميع المؤمنين الذين لديهم اطّلاع عن مؤلّفات السيّد شرف الدين ﷺ أن يخبرونا إذا كان لديهم علم عن نسخة تحفة المحدّثين، وسوف نقوم بتحقيقها وطبعها إن شاء الله تعالى.

---

١. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٧٤، الرقم ٧٠٦.

٢. الضعفاء والمتروكين: ٥٤، الرقم ٥٣، وفيه: «ليس بثقة».

٣. راجع الجرح والتعديل ١ (ق ١): ٢٨٥، الرقم ١٠٣١.

٤. نقله عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ١٧٤، الرقم ٧٠٦.

٥. قال به الذهبي في المصدر: ١٧٥.

( ٢٥ )

# الفضائل الملفّقة

## (١)

# حديث التجلّي*

وقد أسندوه إلى خمسة من الصحابة مرفوعاً، وهم أنس، وجابر، وأبو هريرة، وعائشة، وعليّ، وواضعوه أحد عشر رجلاً، سرقه بعضهم من بعض، فركّبوه على ما اختلقوا له من الأسانيد.

**الأوّل**: أبو بكر محمّد بن عبد بن عامر بن مرداس بن هارون بن موسى التميمي السمرقندي السغدي(١) قال: أخبرنا عبد بن حميد الكَسي، حدّثنا عبدالرزّاق، أخبرنا معمّر عن قتادة، عن أنس، قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ من الغار، أخذ أبو بكر بغرزه ـ أي بركابه ـ فنظر النبيّ ﷺ إلى وجهه فقال:

---

(١) المولود سنة ثلاث عشرة ومائتين[١].

---

*. إنّ النسخة التي حصلنا عليها من الفضائل الملفّقة فقدت ورقتان من أوّلها، وقد وجدنا مطالبها مذكورة بألفاظها تقريباً في خاتمة كتاب كلمة حول الرؤية فأضفناها بعين العبارة. وللمزيد راجع ج ٤ من هذه الموسوعة.

١. كما في تاريخ بغداد ٢: ٣٨٩، الرقم ٩٠٥.

«يا أبابكر، ألا أُبشّرك؟» قال: بلى فداؤك أبي وأُمّي، قال ﷺ: «إنّ الله يتجلّى للخلائق عامّة، ويتجلّى لك يا أبا بكر خاصّة».

رواه في الفضائل في بعض أرباب السنن والمسانيد[١]، وأخرجه بالإسناد والطريق والألفاظ التي سمعتها إمام الخطباء والحفظة، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي أثناء ترجمة محمّد بن عبد السمرقندي في ص ٣٨٨ من المجلّد الثاني من تاريخ بغداد[٢] فقال:

هذا الحديث لا أصل له عند ذوي المعرفة بالنقد، ـ قال: ـ وقد وضعه محمّد بن عبد إسناداً ومتناً. ـ قال: ـ وله أحاديث كثيرة تشابه ما ذكرناه، وكلّها تدلّ على سوء حاله وسقوط رواياته.

ـ ثمّ قال: ـ حدّثني عليّ بن محمّد بن نصر، قال: سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا الحسين يعقوب بن موسى الفقيه ببغداد يقول: لقيت جماعة يحدّثون عن محمّد بن عبد السمرقندي أحاديث موضوعة، قد حدّث بها في بلدان شتّى، فسألت جعفر بن محمّد بن الحجّاج المعروف ببكّار الموصلي عنه، قال: قدم علينا الموصل، وحدّث بأحاديث مناكير، فاجتمع جماعة من الشيوخ، وصرنا لننكر عليه، فإذا هو جالس في مسجد يعرف بمجسد النبيّ ﷺ، وله مجلس وعنده خلق من كتبة الحديث ومن العامّة. قال: فلمّا بصر بنا من بعيد علم أنّا قد اجتمعنا للإنكار عليه، فقال قبل أن نصل [إليه][٣]: حدّثنا قتيبة بن سعيد، عن ابن لهيعة، عن جابر بن عبدالله أنّ رسول الله ﷺ قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق». ـ قال: ـ فوقفنا

---

١. أخرجه ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ١: ٣٠٤، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦.

٢. تاريخ بغداد ٢: ٣٨٨ ـ ٣٨٩، الرقم ٩٠٥.

٣. أضفناه من المصدر.

ولم نجسر أن نقدم عليه خوفاً من العامّة ـ قال: ـ فرجعنا ولم نجسر أن نكلّمه(١).

**قلت**: ومن ألمّ بترجمة محمّد بن عبد هذا ـ وهي في ص ٣٨٦ إلى ص ٣٩٠ من المجلّد ٢ ـ من تاريخ بغداد[١] علم أنّه كان دجّالاً محتالاً يكذب ويضع ويسرق الأحاديث والإفرادات، فيحدّث بها ويتابع الضعفاء والكذّابين في رواياتهم الأباطيل عن الثقات(٢).

**الثاني**: محمّد بن بيان بن مسلم أبو العبّاس الثقفي، حدّث عن شيخه الحسن بن كثير، عن أحمد بن حنبل، عن عبد الرزّاق، عن معمّر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، إنّ الله يتجلّى للخلائق عامّة، ويتجلّى لك خاصّة».

(١) لأنّ العامّة يومئذٍ كانوا في منتهى التعصّب للقول بقدم القرآن؛ إذ كانوا يرون المناقشة في ذلك زندقة وكفراً، وكانت الثورة منهم على القائلين بحدوثه بالغة كلّ مبلغ، فهذا الرجل محمّد بن عبد لمّا خاف إنكار الشيوخ عليه في أباطيله التي كان يحدّث بها، تترّس منهم بهذا الباطل الذي افتراه على جابر، بل على رسول الله في كون القرآن غير مخلوق؛ ظنّاً منه أنّ الشيوخ سينكرونه عليه وحينئذٍ تأخذهم العامّة فتكفيه أمرهم.

(٢) وترجمه الذهبي في ص ٩٦ من المجلّد ٣ من ميزان الاعتدال فقال: محمّد بن عبد السمرقندي في حدود الثلاثمائة، معروف بوضع الحديث[٢]. إلى آخره.

١. تاريخ بغداد ٢: ٣٨٦ ـ ٣٩٠، الرقم ٩٠٥.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٣، الرقم ٧٩٠٠.

أخرجه من هذا الطريق، أبو العبّاس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه شجرة العقول[١]، وغير واحد من المؤلّفين في فضائل الصحابة[٢].

وهذا أيضاً كسابقه باطل؛ لأنّ محمّد بن بيان كان من الدجّالين، ورواة الأباطيل(١)، وشيخه هذا الحسن بن كثير من النكرات المجهولة باتّفاق أهل العلم(٢)، فأهون بهما وبحديثهما.

وقد ترجم الخطيب محمّد بن بيان هذا في ص٩٧ والتي بعدها من المجلّد الثاني من تاريخ بغداد[٣] فأورد من موضوعاته عن أنس أنّه قال: لمّا نزلت سورة التين على رسول الله ﷺ فرح لها فرحاً شديداً، فسألنا ابن عبّاس عن تفسيرها، فقال: أمّا قول الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ فبلاد الشام، ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ فبلاد فلسطين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فطور سينا الذي كلّم الله عليه موسى. ﴿وَهَذَا ٱلْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ فبلد مكّة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ محمّد ﷺ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

---

(١) تفهم ذلك من ترجمة الخطيب له، وهي في ص ٩٧ من المجلّد الثاني من تاريخ بغداد[٤]، وتفهمه أيضاً من ترجمة الذهبي له، وهي في ص ٣٢ من المجلّد الثالث من ميزان الاعتدال[٥].

(٢) ذكر الذهبي الحسن بن كثير في ص ٢٤١ من المجلّد الأوّل من ميزانه[٦]، فأرسل كونه مجهولاً إرسال المسلّمات.

---

١. حكاه عنه السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦.

٢. كابن الجوزي في الموضوعات ١: ٣٠٦، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦.

٣. تاريخ بغداد ٢: ٩٧، الرقم ٤٩٣.

٤. تاريخ بغداد ٢: ٩٧، الرقم ٤٩٣.

٥. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٣، الرقم ٧٢٨٦.

٦. المصدر ١: ٥١٩، الرقم ١٩٣٥.

عبّاد اللات والعزّى، ﴿إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أبو بكر وعمر، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عثمان بن عفّان، ﴿فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ عليّ بن أبي طالب. الحديث.

قال الشيخ أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي[١] ـ بعد إيراد هذا الحديث من هذا الطريق بعين لفظه ـ:

هذا الحديث باطل لا أصل له، والرجال المذكورون في إسناده كلّهم أئمّة مشهورون غير محمّد بن بيان، ونرى العلّة من جهته ـ قال: ـ وتوثيق ابن الشخير له ليس بشيء؛ لأنّ من أورد مثل هذا الحديث بهذا الإسناد، فقد أغنى أهل العلم عن أن ينظروا في حاله، ويبحثوا عن أمره ـ قال: ـ ولعلّه كان يتظاهر بالصلاح، فأحسن ابن الشخير به الظنّ وأثنى عليه، وقد قال يحيى بن سعيد القطّان: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث[٢]. انتهى بلفظه[٣].

**الثالث**: بنوس بن أحمد بن بنوس الواسطي؛ إذ حدّث عن أبي خليفة الجمحي،

---

(١) في أوّل ص ٩٨ من المجلّد الثاني من تاريخ بغداد[١]، فراجع.

(٢) كيف يكذّب الصالحون في الحديث: «فيتبوّؤن مقاعدهم من النار» نعوذ بالله من مطلق الكذب، ولا سيّما إذا كان على الله ورسوله.

(٣) ولمحمّد بن بيان ترجمة في ص ٣٢ من المجلّد الثالث من ميزان الذهبي[٢]، نصّ فيها على اتّهامه بوضع الحديث، ثمّ قال: روى بقلّة حياء من الله تعالى، فَساقَ حديثه في تفسير ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.

---

١. تاريخ بغداد ٢: ٩٨، الرقم ٤٩٣.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٣، الرقم ٧٢٨٦.

عن أحمد بن المقدام العجلي، عن يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «إنّ الله يتجلّى للخلائق عامّةً، ويتجلّى لك خاصّة».

أخرجه السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[1]، ثمّ قال: بنوس مجهول، لا يُعرف. انتهى.

**قلت**: وقد ترجم الذهبي بنوساً في ميزانه[2] فقال: بنوس بن أحمد الواسطي وضع عن أبي خليفة الجمحي حديثاً. انتهى.

**قلت**: أشار بهذا إلى حديث التجلّي، ومن عرف مَن هو الذهبي، ثمّ علم بأنّه يرسل الحكم بوضع هذا الحديث إرسالَ المسلّمات، يعلم بأنّ الحكم بوضعه أمر مفروغ منه.

**الرابع**: إبراهيم بن مهديّ بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر أبو إسحاق الأُبلّي؛ إذ حدّث عن السكن بن سعيد القاضي ومحمّد بن سعيد بن مهران، قالا: حدّثنا عمرو بن عون، حدّثنا يزيد بن هارون، عن قتادة، عن أنس، قال رسول الله ﷺ: «والله يتجلّى للخلائق عامّةً، ويتجلّى لأبي بكرٍ خاصّةً».

---

(١) الصفحة ١٢٢[1].

(٢) صفحة ١٦٤ من جزئه الأوّل[2].

---

١. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦.

٢. ميزان الاعتدال ١: ٣٥٣، الرقم ١٣٢٣.

أخرجه من هذا الطريق أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات[1] وقال: في سنده مجاهيلُ، وأحدهم قد سرقه من محمّد بن عبدة.

ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[2]. وحسبك ما يذكره الخطيب في ترجمة إبراهيم بن مهديّ الصفحة ١٧٩ من المجلّد السادس من تاريخه[3]؛ إذ أخرج بالإسناد إلى أبي الفتح محمّد بن الحسين.

**الخامس:** محمّد بن خالد الختلي؛ إذ حدّث عن كثير بن هشام الكلابي، عن جعفر بن برقان، عن محمّد بن سوقة، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر قال: جاء وفد عبد القيس إلى رسول الله ﷺ فكلّمه بعضهم بكلام لغا فيه، فالتفت النبيّ ﷺ إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر، سمعت ما قالوا؟» قال: نعم، وفهمته. قال: «فأجبهم» قال: فأجابهم بجواب وأجاد الجواب، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، أعطاك الله الرضوان الأكبر» فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: «يتجلّى الله لعباده المؤمنين في الآخرة عامّةً، ويتجلّى لأبي بكر خاصّةً».

أخرجه الحاكم في المستدرك(١)، ولم يصرّح بصحّته.

---

(١) صفحة ٧٨ من جزئه الثالث[4].

---

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٧، باب فضل أبي بكر.

٢. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦.

٣. تاريخ بغداد ٦: ١٧٩، الرقم ٣٢٣٣.

٤. المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٧ ـ ٢٨، ح ٤٥٢٠.

وتعقّبه الذهبي في التلخيص[1] فقال:

تفرّد به محمّد بن خالد، عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن ابن سوقة، وأحسب محمّداً وضعه.

**قلت**: وأورده أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات[2]، ثمّ قال: تفرّد به محمّد بن خالد، وهو كذّاب.

ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[3].

وما رأيت أحداً ممّن ترجم محمّد بن خالد الختلي إلّا جرحه.

قال الذهبي في ترجمته من الميزان(١):

محمّد بن خالد الختلي، قال ابن الجوزي في الموضوعات: كذّبوه. روى عن كثير بن هشام حديث «يتجلّى لأبي بكر خاصّة».

قال ابن مندة: صاحب مناكيرَ.

ثمّ ذكر الذهبي بعض مناكيره.

**السادس**: عليّ بن عبدة بن قتيبة بن شريك بن حبيب أبو الحسن التميمي المكتب؛ إذ حدّث [عن] يحيى بن سعيد القطّان، عن ابن أبي ذئب، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال النبيّ ﷺ: «إنّ الله يتجلّى للناس عامّةً، ويتجلّى لأبي بكر خاصّة».

---

(١) صفحة ٥١ من مجلّده الثالث[4].

---

١. التلخيص ضمن المستدرك للحاكم ٣: ٧٨.

٢. الموضوعات ١: ٣٠٧، فيه: «وقد كذّبوه».

٣. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٧.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٥٣٤، الرقم ٧٤٧٠. راجع أيضاً الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٧.

أخرجه الخطيب في ترجمة علي بن عبدة من تاريخ بغداد[1]، ثمّ قال ما هذا لفظه:

وهو باطل لا أعلم أحداً رواه ـ لا عن جابر، ولا عن ابن المنكدر، ولا عن ابن أبي ذئب، ولا عن يحيى بن سعيد ـ غير عليّ بن عبدة إلّا ما أخبرنا [به] أبوالقاسم عبدالرحمن بن محمّد [عن] عبدالله السرّاج بنيسابور، أخبرنا أبوحامد أحمد بن عليّ بن حسنويه المقرئ، حدّثنا الحسن بن علي بن عفّان، حدّثنا يحيى بن أبي بكير، حدّثنا ابن أبي ذئب، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يتجلّى للمؤمنين عامّة، ويتجلّى لأبي بكر خاصّة».

قال الخطيب:

وهذا أيضاً باطل، والحمل فيه على أبي حامد أحمد بن حسنويه، فإنّه لم يكن ثقة، ونرى أنّ أبا حامد رفع إليه حديث عليّ بن عبدة فسرقه وركّبه على هذا الإسناد، مع أنّا لا نعلم أنّ الحسن بن علي بن عفّان سمع من يحيى بن أبي بكير شيئاً.

ثمّ نقل عن أبي الحسن الدارقطني القول بأنّ عليّ بن عبدة كان يضع الحديث. ونقل عنه أيضاً القول بأنّ عليّ بن عبدة كان متروكاً، إلى آخر ما ذكره من أحواله الدالّة على سقوطه، فراجع(١).

---

(١) راجع ترجمة ابن عبدة في صفحة ١٩ والتي بعدها من المجلّد الثاني عشر من تاريخ بغداد[2]، تجد كلّ ما نقلناه عنه.

---

١. تاريخ بغداد ١٢: ١٩ ـ ٢٠، الرقم ٦٣٨٠.

٢. تقدّم آنفاً.

وهذا الحديث أخرجه أبو الفرج بن الجوزي في موضوعاته[1] من طريق عليّ بن عبدة، ثمّ قال: عليّ بن عبدة يضع.

وأخرجه ابن عديّ في كامله[2] ثمّ قال: هذا حديث باطل.

ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة(١) جازماً ببطلانه.

والذهبي ترجم في ميزانه ابن عبدة بعنوانين، قال في الأوّل منهما(٢): عليّ بن الحسن المُكْتِب: هو عليّ بن عبدة يروي عن يحيى القطّان، كذّاب.

ثمّ أخرج حديث التجلّي لأبي بكر خاصّة من طريق ابن عبدة، فقطع بأنّه مِن وضعه، وأنّ أبا حامد أحمد بن عليّ بن حسنويه المقرئ إنّما سرقه من ابن عبدة فركّبه على إسناد آخَرَ اختلقه له.

ونقل عن الدارقطني القول بأنّ ابن عبدة كان يضع الحديث. وذكر أنّ ابن عديّ روى في كامله حديث التجلّي لأبي بكر من طريق ابن عبدة، فقال: هذا باطل.

هذا ملخّص ما ذكره الذهبي في العنوان الأوّل من عنوانَيْ ابن عبدة في ميزان الاعتدال.

---

(١) صفحة ١٢٣[3].

(٢) صفحة ١٢١ من مجلّده الثاني[4].

---

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٧.

٢. الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢١٦، الرقم ١٣٧٠.

٣. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٧.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ١٢٠، الرقم ٥٨٠٨.

أمّا العنوان الثاني، فقال فيه(١):

عليّ بن عبدة التميمي، أبو الحسن المُكْتِب، يروي عن إسماعيل بن علية والقطّان وغيرهما، قال الدارقطني: كان يضع الحديث.

**قلت:** مرّ ذكره في عليّ بن الحسن. انتهى.

**السابع:** أبو حامد أحمد بن عليّ بن حسنويه المقرئ النيسابوري؛ إذ عرفت(٢) أنّه وقع إليه حديث عليّ بن عبدة فسرقه وركّبه على إسناد آخَرَ اختلقه، فقال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن عفّان العامري، عن يحيى بن بكير، عن ابن أبي ذئب، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر، عن رسول الله ﷺ: «إنّ الله يتجلّى للناس عامّةً، ولأبي بكر خاصّة».

وقد أخرجه من هذا الطريق أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات[١]، واعتمد في الحكم بوضعه على ما ذكره الخطيب[٢] من سرقة أبي حامد وعدم وثاقته.

ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[٣] معتمداً على ذلك أيضاً.

---

(١) صفحة ٢٣٢ من مجلّده الثاني[٤].

(٢) ممّا نقلناه عن الخطيب والذهبي في أحوال عليّ بن عبدة وحديثه في التجلّي لأبي بكر، فراجع.

---

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٧.

٢. للمزيد راجع تاريخ بغداد ١٢: ٢٠، الرقم ٦٣٨١.

٣. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٧.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ١٤٤، الرقم ٥٨٨٦.

والذهبي ترجم أبا حامد أحمد بن عليّ بن حسنويه في الميزان(١)، فنقل نصّ الخطيب على عدم وثاقته، ثمّ نقل القول بأنّه:

حدّث عن جماعة لم يدركهم، كمسلم والقدماء، حتّى قال الحاكم: لو اقتصر أبو حامد على سماعاته الصحيحة كان أولى له، لكنّه حدّث عن جماعة أُشهد بالله أنّه لم يسمع منهم، إلى آخره.

**الثامن**: أبو القاسم عمر بن محمّد بن عبدالله بن حاتم البزّاز الترمذي؛ إذ حدّث عن كلٍّ من خاله أحمد بن محمّد بن عبيد الله الخلّال وعبّاس بن يوسف الشكلي، عن الحسن بن عرفة، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ألا أُبشّرك؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: «إنّ الله يتجلّى للخلائق عامّةً، ويتجلّى لك خاصّةً».

أخرجه الخطيب في ترجمة أبي القاسم صفحة ٢٥٥ من المجلّد الحادي عشر من تاريخه[١]، ثمّ قال:

قال ابن أبي الفوارس: توفّي أبو القاسم الترمذي في أوّل سنة أربع وستّين وثلاثمائة، وكان فيه نظر. انتهى.

---

(١) صفحة ٥٧ من مجلّده الأوّل[٢].

---

١. تاريخ بغداد ١١: ٢٥٥، الرقم ٦٠٠٨.

٢. ميزان الاعتدال ١: ١٢١، الرقم ٤٧٦.

**قلت** : وترجمه الذهبي في الميزان(١)، فنقل عن أبي الفتح بن أبي الفوارس أنّ فيه نظراً، ثمّ قال:

له حديث باطل يُذكر في ترجمة جدّه لأُمّه محمّد بن عبيد الله الخلّال. ـ قال: ـ وله عن العبّاس الشكلي وعن آخر عن الحسن بن عرفة: حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر، حديث التجلّي لأبي بكر: «إنّ الله يتجلّى لك خاصّة».

**قلت** : والكلمة متّفقة على عدم الوثوق بأبي القاسم، وعدم اعتبار حديثه.

وقد أخرج ابن الجوزي حديثه هذا في كتاب الموضوعات[1]. ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[2]، ثمّ قالا: في أبي القاسم عمر بن محمّد الترمذي نظر.

**قلت** : وجه النظر أنّه كان معروفاً بوضع الحديث في فضل أبي بكر وعمر، وهو الذي حدّث عن جدّه لأُمّه محمّد بن عبيد الله بن مرزوق بن دينار الخلّال، عن عفّان بن مسلم، عن حمّاد، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا عُرج بي، رأيت في السماء خيلاً موقوفة مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول ولا تعرق، رؤوسها من الياقوت الأحمر، وحوافرها من الزمرّد الأخضر، وأبدانها من العِقْيان الأصفر، ذوات أجنحة، فقلت: لمن هذه؟ فقال جبرائيل: هي لمحبّي أبي بكر وعمر، يزورون الله عليها يوم القيامة».

(١) صفحة ٢٦٩ من مجلّده الثاني[3].

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

٢. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٣. ميزان الاعتدال ٣: ٢٢٢، الرقم ٦٢٠٤.

أخرجه الخطيب في ترجمة محمّد بن عبيد الله بن مرزوق الخلّال، صفحة ٣٣٠ من المجلّد الثاني من تاريخه[١].

وقد اتّفقت الكلمة على بطلانه(١) متناً وسنداً، والحمل فيه على أبي القاسم الترمذي، فإنّ لجدّه محمّد بن عبيد الله الخلّال أحاديثَ عن عفّان كثيرةً، وعامّتها مستقيمة، كما صرّح به الخطيب في ترجمة الخلّال من تاريخه(٢)[٢].

**التاسع**: أحمد بن محمّد بن عمر بن يونس بن القاسم، أبو سهل الحنفي اليمامي؛ إذ حدّث عن أبيه، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ من الغار يريد المدينة، أخذ أبو بكر بغرزه، فقال له: «ألا أُبشّرك يا أبا بكر؟ إنّ الله يتجلّى للخلائق يوم القيامة عامّةً، ويتجلّى لك خاصّة».

(١) تجد هذا الحديث في ترجمة محمّد بن عبيد الله بن مرزوق في صفحة ٩٩ من المجلّد الثالث من ميزان الذهبي[٣].

(٢) تعصّب للرؤية من أذناب القائلين بها قوم دسّوا أنفسهم في زمرة المحدّثين ـ والمحدّثون منهم براء ـ فتهافتوا على أباطيل يصوغونها، كان بعضهم يسرقها من بعض، فيركّبونها على أسانيد متعدّدة بطرق مختلفة؛ إغراءً للعامّة، واستحواذاً بتعدّد أسانيدها واختلاف طرقها.

١. تاريخ بغداد ٢: ٣٣٠، الرقم ٨١٧.

٢. المصدر: ٣٢٩.

٣. ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٨، الرقم ٧٩١١.

أخرجه ابن حبّان في كتاب الضعفاء[١]، وأبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات[٢]، ثمّ قال: أحمد اليمامي كذّاب، وتراه سرقه وغيّر إسناده.

**قلت**: ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[٣].

والذهبي ترجم أحمد اليمامي في الميزان، فقال(١):

كذّبه أبو حاتم وابن صاعدة. ـ قال: ـ وقال الدارقطني: ضعيف، وقال مرّةً: متروك. ـ قال: ـ وقال ابن عديّ: حدّث عن الثقات بمناكيرَ وبنسخ عجائب.

إلى آخر ما قال في أحواله.

وترجمه الخطيب في تاريخه(٢)، فكان ممّا قال فيه: وكان غيرَ ثقة. ثمّ ذكر أنّ عبد الرحمن بن أبي حاتم سأل عنه أباه، فقال: قدم علينا وكان كذّاباً، وكتبت عنه، ولا أُحدّث عنه.

ثمّ أخرج بالإسناد إلى عبدالله بن عديّ الحافظ أنّه قال: إنّ أحمد بن محمّد بن عمر اليمامي حدّث بأحاديثَ مناكيرَ عن ثقات، وحدّث بنسخ وعجائب.

ثمّ أخرج بسنده إلى عليّ بن أحمد بن سليمان بن علان أنّه قال: كان سلمة بن شبيب يكذّب أحمد بن محمّد اليمامي.

---

(١) صفحة ٦١ من المجلّد الأوّل[٤].

(٢) صفحة ٦٥ من مجلّده الخامس[٥].

---

١. المجروحين ١: ١٤٣.

٢. الموضوعات ١: ٣٠٨.

٣. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٨.

٤. ميزان الاعتدال ١: ١٤٣، الرقم ٥٥٩.

٥. تاريخ بغداد ٥: ٦٥ ـ ٦٦، الرقم ٢٤٣٨.

ثمّ روى بالإسناد إلى أبي أحمد محمّد بن محمّد الحافظ النيسابوري قال:

سمعت يحيى بن محمّد بن صاعد يرمي أحمد بن محمّد بن عمر اليمامي بالكذب. ـ قال: ـ قرأت بخطّ أبي الحسن الدارقطني وحدّثنيه عنه أحمد بن أبي جعفر القطيفي. قال: إنّ أحمد بن محمّد بن عمر بن يونس بن القاسم اليمامي متروك الحديث.

**العاشر**: أبو قتادة عبدالله بن واقد الحرّاني؛ إذ حدّث عن ابن جريح، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة، عن عائشة: أنّ رسول الله قال لأبي بكر: «ألا أُبشّرك بالرضوان الأكبر؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «إنّ الله يتجلّى للناس عامّةً، ويتجلّى لك خاصّةً».

أخرجه أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات[1]، ثمّ قال: عبدالله بن واقد، متروك.

**قلت**: وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال أيضاً: تركوه.

وقال أبو زرعة والدارقطني: ضعيف.

وقال أبو حاتم: ذهب حديثه.

وروى عبدالله بن أحمد عن ابن معين: ليس بشيء.

وروى الدولابي عن عبّاس، عن يحيى: ليس بشيء.

وقال يعقوب بن إسماعيل بن صبيح الحرّاني: كان عبدالله بن واقد يكذب.

وقال الجوزجاني: متروك.

وقال ابن حبّان: لا يجوز أن يحتجّ بخبره.

---

١. الموضوعات ١: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

وقد ترجمه الذهبي في الميزان[١]، فنقل من جرحه عن السلف كما ذكرنا. وأورد من مناكيره عدّة أحاديثَ كان ختامها ما حدّث به أبو قتادة، عن حياة بن شريح، عن بكر بن عمرو، عن مِشْرَح، عن عقبة بن عامر، قال رسول الله ﷺ: «لو لم أُبعث فيكم، لبُعث فيكم عمر».

**الحادي عشر**: إبراهيم بن عبدالله بن خالد؛ إذ حدّث عن محمّد بن بشر بن مروان الكندي الواعظ، عن عطاء بن المبارك، عن أبي عبيدة بكر بن الأسود الناجي، عن الحسن البصري، قال: قال عليّ بن أبي طالب: «يا رسول الله، مَن أوّل من يحاسب الله يوم القيامة؟» قال ﷺ: «أبو بكر الصدّيق». قال: «ثمّ مَن؟» قال: «ثمّ عمر بن الخطّاب». قال: «ثمّ مَن؟» قال: «ثمّ أنت يا عليّ». قال عليّ: «يا رسول الله، أين عثمان بن عفّان؟» قال: «إنّي سألت عثمان بن عفّان حاجة سرّاً، فقضاها سرّاً، فسألت الله عزّ وجلّ أن لا يحاسب عثمان، ثمّ ينادي منادٍ: أين السابقون الأوّلون؟ فيقال: مَن؟ فيقول: أين أبو بكر الصدّيق؟ فيتجلّى الله عزّ وجلّ لأبي بكر خاصّةً وللناس عامّةً».

أخرجه أبو الحسين عبد الملك بن بشران في فوائده(١).

---

(١) عن إبراهيم بن عبدالله بن خالد، بواسطة أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس النجّار، الفقيه الحنبلي المشهور.

---

١. ميزان الاعتدال ٢: ٥١٧ ـ ٥١٩، الرقم ٤٦٧٢. للمزيد راجع أيضاً: الضعفاء الصغير: ١٣٨، الرقم ١٩٨؛ الجرح والتعديل ٢ (ق ٢): ١٩٢، الرقم ٨٨٣.

وأورده السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[1]، ولم يعلّق عليه شيئاً.

وأهل العلم يعلمون أنّ سنده هذا كظلماتٍ بعضها فوق بعض، والآفة فيه إنّما هو إبراهيم بن عبدالله.

وقد ترجمه الذهبي في ميزانه فقال(١):

إبراهيم بن عبدالله بن خالد، أحد المتروكين.

قال ابن حبّان: إبراهيم بن عبدالله بن خالد يسرق الحديث، ويروي عن الثقات ما ليس من حديثهم. وهو الذي يروي عن وكيع، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبّاس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة يكون أبو بكر على أحد أركان الحوض، وعمر على الركن الثاني، وعثمان على الثالث، وعليّ على الرابع، فمَن أبغض واحداً منهم لم يَسْقِهِ الآخرون.

وقد روى عن حجّاج، عن ابن جريح، عن عمرو بن دينار، عن ابن عبّاس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ تحت العرش: هاتوا أصحاب محمّد، فيؤتى بأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فيقال لأبي بكر: قف على باب الجنّة فأدخِل فيها مَن شئت وردّ من شئت. ويقال لعمر: قف عند الميزان فثقّل من شئت برحمة الله، وخفّف من شئت. ويعطى عثمانُ غُصنَ شجرة من الشجرة التي غرسها الله بيده، فيقال: ذِد بهذا عن الحوض مَن شئت. ويعطى عليّ حلّتين، فيقال له: خذهما؛ فإنّي ادّخرتهما لك يوم أنشأت خلق السماوات والأرض.

---

(١) الصفحة ٢٠ من مجلّده الأوّل[2].

---

١. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٨.

٢. ميزان الاعتدال ١: ٤٠، الرقم ١٢٤.

وقد روى عن حجّاج، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً: من شرب مسكراً نجس ونجست صلاته أربعين صباحاً، فإن مات فيهنّ مات كافراً.

قال الذهبي ـ بعد نقل هذا كلّه ـ: قلت: هذا رجل كذّاب. قال الحاكم: أحاديثه موضوعة. انتهى.

هذا بعض المأثور من أحوال إبراهيم بن عبدالله.

أمّا شيخه محمّد بن بشر بن مروان الكندي، فقد ترجمه الذهبي في الميزان[١] فذكر أنّه:

حدّث عن ابن المبارك وتكلّم الناس فيه. ـ قال: ـ روى عنه ابن أبي الدنيا وغيره. وقال يحيى: ليس بثقة. وقال الدارقطني: ليس بالقويّ في حديثه.

**قلت**: وذكره الخطيب فلم يوثّقه ولم يثنِ عليه، وكلّ ما قال فيه: سمع عليَّ بن هاشم بن البريد، روى عنه أحمد بن مهران الأصبهاني.

ثمّ أخرج من طريقه بالإسناد إلى زيد بن عليّ: أنّ البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان براءة من عليّ، والبراءة منه براءة منهم[٢].

وحسبك أنّه ما احتجّ بمحمّد بن بشرٍ حافظٌ، ولا رَكَنَ إلى حديثه ذو دين. وربما كان شيخه عطاء بن المبارك مثله أو أسوأ حالاً منه، فراجع ما نقله عنه في ميزان الاعتدال[٣]؛ إذ قال: عطاء بن المبارك يروي عن أبي عبيدة الناجي، قال الأزدي: لا يدري ما يقول. انتهى.

**قلت**: ومثله شيخه أبو عبيدة الناجي، وهو بكر بن الأسود العائذي الكوفي.

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩١، الرقم ٧٢٧٤.

٢. تاريخ بغداد ٢: ٨٨ ـ ٨٩، الرقم ٤٧٥.

٣. ميزان الاعتدال ٣: ٧٦، الرقم ٥٦٤٥.

قال الدارقطني ـ كما في ترجمة بكر من الميزان[1] ـ: ليس بالقويّ.

وذكره الذهبي في الكنى أيضاً من ميزانه[2]، فقال: أبو عبيدة الناجي، هو بكر بن الأسود، واهٍ قد مرّ. انتهى.

بقي من رجال هذا السند الحسن بن يسار البصري، وقد تكلّموا فيه لهفوةٍ منه صدرت في القَدَر، وكان كثيرَ التدليس، كما يعلم ذلك من ترجمته في الميزان[3]، لكنّه حجّة عند الشيخين فمن دونهما.

وعلى كلٍّ، فالأخير إنّما هو إبراهيم بن عبدالله، كما سمعت. وقد تجلّى لك أنّ حديث التجلّي ممّا توازر على وضعه جماعة من الوضّاعين، سرقه بعضهم من بعضٍ، فركّبوه على أسانيدَ متعدّدةٍ، وطرقٍ مختلفة، كما فصّلناه، والحمد لله.

---

١. المصدر ١: ٣٤٢، الرقم ١٢٧١.

٢. المصدر ٤: ٥٤٨، الرقم ١٠٣٩٢.

٣. المصدر ١: ٥٢٧، الرقم ١٩٦٨.

## (٢)

## [حديث القدح والمنديل]

الوضوء،ما أخرجه أبو الحسين بن المهتدي بالله في فوائده بسنده إلى محمّدبن زياد الميموني(١)، عن ميمون بن مهران، عن المسيّب بن عبد الرحمن، عن حذيفة بن اليمان، قال: صلّى بنا رسول الله صلاة الفجر، فلمّا انفتل من صلاته قال: «أين أبو بكر الصدّيق؟» فأجاب أبو بكر من آخر الصفوف: لبّيك، لبّيك يا رسول الله، قال: «أفرجوا لأبي بكر الصدّيق، أُدنُ منّي يا أبا بكر لحقت معي التكبيرة الأُولى؟» قال: يا رسول الله، كنت معك في الصفّ الأوّل، فكبّرتَ وكبّرتُ، فاستفتحتَ بالحمد فقرأتها، فوسوس إليّ شيء من الطهور، فخرجت إلى باب المسجد، فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول: وراءكَ، فالتفتُّ فإذا أنا بقدح من ذهب، مملوء ماءً أبيضَ من الثلج، وأعذبَ من الشهد، وألْيَنَ من الزبد، عليه منديل أخضر، مكتوب عليه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله،

(١) هو محمّد بن زياد اليشكري الطحّان معروف بالميموني، وقد ترجمه الخطيب في الصفحة ٢٧٩ من المجلّد الخامس من تاريخه[1] بما يدلّ على أنّه من الدجاجيل ووضّاعي الأباطيل. والذهبي ترجمه في صفحة... من المجلّد ٣ من الميزان[2] بما يدلّ على ذلك أيضاً.

١. تاريخ بغداد ٥: ٢٧٩ ـ ٢٨١، الرقم ٢٧٧٨.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٢ ـ ٥٥٣، الرقم ٧٥٤٧.

الصدّيق أبو بكر، فأخذت المنديل فوضعته على منكبي، وتوضّأت للصلاة وأسبغت الوضوء، ورددت المنديل على القدح ولحقتك وأنت راكع الركعة الأُولى، فتمّمت صلاتي معك. قال النبيّ ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، الذي وضّأك جبرائيل، والذي مندلك ميكائيل». الحديث.

وتراه حاكماً بنفسه على نفسه بالبطلان.

سبوح لها منها عليها شواهدُ

وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات[1] وصرّح بأنّه موضوع، ثمّ تناول راويَه بالجرح، فقال: محمّد بن زياد كذّاب. فأرسل كونه كذّاباً إرسالَ المسلّمات. وقد كان معروفاً بذلك.

قال محمّد بن عثمان بن أبي شيبة:

سمعت يحيى بن معين يقول: كان ببغداد قوم يضعون الحديث، كذّابون، منهم: محمّد بن زياد، كان يضع الحديث. انتهى.

وقال إبراهيم بن عبدالله بن الجُنيد:

سمعت يحيى بن معين يقول: محمّد بن زياد الطحّان ليس بشيء، كذّاب، يروي عن ميمون بن مهران ما يروي. انتهى.

وسأل عبدالله أباه الإمام أحمد بن حنبل عن محمّد بن زياد الطحّان وحديثه عن ميمون بن مهران، فقال الإمام أحمد: محمّد بن زياد كذّاب، خبيث، أعورُ، يضع الحديث. انتهى.

وسأل محمّد بن عليّ الآجري أبا داودَ عن محمّد بن زياد الميموني، فقال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما كان أجرأه على قول: حدّثنا ميمون بن مهران. انتهى.

وقال عليّ بن المديني ـ وقد سأله ابنه عبدالله عن محمّد بن زياد صاحب

---

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣٠٩.

ميمون ـ فقال: كتبت عنه كتاباً فرميت به. وضعّفه جدّاً.

وقال هارون بن سروة ـ ويحيى بن مَعين يسمع ـ: جاء كتاب البغداديّين إلى أبي المليح ـ وأنا حاضر ـ يسألونه عن محمّد بن زياد الطحّان، فقال: إنّما جاءنا محمّد بن زياد الطحّان الأعور بعدما مات ميمون بن مهران. انتهى.

أي كان بسبب موته آمناً فيما يفتريه عليه، ولو كان حيّاً لخشي من تكذيبه إيّاه.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: محمّد بن زياد الطحّان، كان كذّاباً.

وقال عمرو بن عليّ:

محمّد بن زياد ـ صاحب ميمون بن مهران ـ متروك الحديث، كذّاب، مُنكر الحديث، سمعته يقول: حدّثنا ميمون بن مهران، عن ابن عبّاس. ثمّ ساق حديثاً من منكراته.

وقال محمّد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح: محمّد بن زياد بن مهران ـ صاحب ميمون ـ هو متروك الحديث.

وقال عمرو بن زرارة: كان محمّد بن زياد متّهماً بوضع الحديث.

وقال أبو زرعة: محمّد بن زياد صاحب ميمون، كان يكذب.

وقال أبو عيسى الترمذي: محمّد بن زياد ـ صاحب ميمون بن مهران ـ ضعيف في الحديث جدّاً.

وقال أحمد بن شعيب النسائي: محمّد بن زياد يروي عن ميمون بن مهران، متروك الحديث.

إلى آخر ما وصفه به أئمّة الجرح والتعديل.

وقد ترجمه الخطيب في صفحة ٢٧٩ من المجلّد الخامس من تاريخه[1]، فنقل

---

١. تاريخ بغداد ٥: ٢٧٩ ـ ٢٨١، الرقم ٢٧٧٨. للمزيد راجع أيضاً: الضعفاء الصغير: ٢٠٦، الرقم ٣١٧؛ أحوال الرجال للجوزجاني: ١٩٨، الرقم ٣٦٣؛ تهذيب الكمال ٢٥: ٢٢٢ ـ ٢٢٥، الرقم ٥٢٢٤.

عن الأئمّة من جرحه كلّ ما نقلناه.

وأورده الذهبي في صفحة ٦٠ من المجلّد الثالث من ميزانه[١] فأورد عن السلف في جرحه كثيراً ممّا أوردناه.

هذا الحديث في فضل أبي بكر ـ أعني حديث القَدَح والمنديل، كما سمعته ـ إنّما أخذه عن محمّد بن زياد الميموني عليّ بن داود الدمشقي، وأخذه عن عليّ بن داود جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، فحدّث به جعفر بن أبي عثمان، عن عليّ بن داود، عن محمّد بن زياد، كما في فوائد أبي الحسين بن المهتدي بالله (١).

قال الذهبي في ترجمة عليّ بن داود الصفحة ٢٤ من المجلّد الثاني من ميزانه[٢]: عليّ بن داود يروي عن محمّد بن زياد الميموني، وعنه جعفر بن أبي عثمان الطيالسي غير منكر. انتهى.

**قلت**: أراد به خبر القَدَح والمنديل وجبرائيل وميكائيل، إلى آخر ما كان من هذا القبيل، وقد سمعته على التفصيل.

والظاهر من ترجمة عليّ بن داود في الميزان[٣] أنّه هو الآفة في ذلك الخبر (٢). والحقّ أنّ الآفة إنّما هو محمّد بن زياد الميموني.

---

(١) وكما في كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وفي كتاب اللآلئ المصنوعة للسيوطي[٤].

(٢) وهذا هو الذي فهمه السيوطي ...، فراجع ما ذكره في لآلئه المصنوعة[٥].

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٢ ـ ٥٥٣، الرقم ٧٥٤٧.

٢ و٣. المصدر ٣: ١٢٦، ح ٥٨٣٨.

٤. الموضوعات ١: ٣٠٨ ـ ٣٠٩؛ اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٥. اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٩.

## (٣)

## ضمان الخلافة لأبي بكر، ومبايعة الملائكة إيّاه بها، وعقد لوائه تحت العرش، وخصائص أُخرى

كلّ ذلك جاء في حديث أسندوه إلى أُمّ المؤمنين عائشة، ولهم فيه **أربعة طرق**:

**الأوّل**: محمّد بن بابشاذ، أبو عبدالله البصري؛ [illegible] حدّث عن سلمة بن شبيب، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ، فلمّا ضمّني و[illegible] الفراش قلت: يا رسول الله، ألستُ أكرم أزواجك عليك؟ قال: «بلى يا عائشة». قلت: فحدّثني عن أبي بفضيلة، قال: «حدّثني جبرائيل أنّ الله تعالى لمّا خلق الأرواح، اختار روح أبي بكر الصدّيق من بين الأرواح، وجعل تربتها من الجنّة، وماءها من الحيوان، وجعل له قصراً في الجنّة من درّةٍ بيضاء، مقاصيرها فيها من الذهب والفضّة البيضاء، وإنّ الله تعالى آلى على نفسه أن لا يسلبه حسنةً، ولا يسأله عن سيّئة، وإنّي ضمنت له على الله كما ضمن الله له على نفسه أن لا يكون لي ضجيعاً في حفرتي، ولا أنيساً في وحدتي، ولا خليفةً من بعدي على أُمّتي إلّا أبوكِ يا عائشة، بايع على ذلك جبرائيل وميكائيل، وعُقدت خلافته برايةٍ بيضاء، وعقد لواؤه تحت العرش، وقال الله تعالى للملائكة: أرضيتم ما رضيت لعبدي؟ فكفى لأبيك فخراً أن يبايع له جبرائيل وميكائيل وملائكة السماء وطائفة من الشياطين! يسكنون البحر،

فمن لم يقبل هذا فليس منّي ولست منه». قالت عائشة: فقبّلت أنفه! وما بين عينيه. فقال: «حسبكِ يا عائشة فمَن لستِ بأُمّه فما أنا بنبيّه، ومن أراد أن يتبرّأ من الله ومنّي فليتبرّأ منكِ». انتهى.

أخرجه من هذا الطريق أبو الحسن عليّ بن محمّد الجرجاني في ترجمة الحافظ حمزة بن يوسف من تاريخ جرجان[1].

ونقله الذهبي في أحوال محمّد بن بابشاذ في الصفحة ٣١ من المجلّد الثالث من الميزان[2]، وقد عدّه طامّةً من الطامّات التي لا تنضبط، وجزم بأنّ سلمة بن شبيب لا يحتمله، فهو مكذوب عليه. ثمّ قال:

والظاهر أنّه دسّ على ابن بابشاذ هذا، فروى حديثاً موضوعاً راجَ عليه ولم يهتدِ.

**الثاني**: هارون بن أحمد بن محمّد بن خلف بن محمّد بن أسلم بن زيد بن أسلم، أبو القاسم القطّان؛ إذ حدَّث إملاءً من لفظه في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد بن إسماعيل الآدمي المقرئ سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أحمد بن منصور الرمادي، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله، فلمّا ضمّني وإيّاه الفراش، قلت: يا رسول الله، ألست أكرم أزواجكَ عليكَ؟ قال: «بلى يا عائشة»، قلت: فحدّثني عن أبي بفضيلة. قال: «حدّثني جبرائيل» الحديث بطوله.

---

١. حكاه عنه السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٩١.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٤٨٨ ـ ٤٨٩، الرقم ٧٢٦٣.

أخرجه من هذا الطريق أبو بكر الخطيب في ترجمة هارون بن أحمد القطّان ص ٣٥ من المجلّد ١٤ من تاريخه[١]، ثمّ قال:

لا يثبت هذا الحديث، ورجال إسناده كلّها ثقات.

ولعلّه شبّه لهذا الشيخ القطّان أو أُدخل عليه، مع أنّي قد رأيته من حديث محمّد بن بابشاذ البصري عن سلمة بن شبيب، عن عبد الرزّاق، وابنُ بابشاذ راوي مناكيرَ عن الثقات. انتهى.

**قلت**: والذهبي ترجم هارون بن أحمد في أوّل حرف الهاء من ميزانه[٢]، فقال:

هارون بن أحمد أبو القاسم القطّان، رديء المذهب، روى حديثاً باطلاً؛ كأنّه المسكين أُدخل عليه ولا يشعر، وهو عن الرمادي، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن عائشة، عن النبيّ: «حدّثني جبرائيل: إنّ الله لمّا خلق الأرواح، اختار روح أبي بكر، وجعل ترابها من الجنّة ـ إلى أن قال ـ: وإنّ الله حتم على نفسه أن يكون ضجيعي في حفرتي وخليفتي على أُمّتي، وعقدت خلافته برايةٍ بيضاء، فمن أراد أن يتبرّأ من الله فليتبرّأ منكِ يا عائشة».

وهنا قال الذهبي: قال الخطيب: رواته ثقات إلّا القطّان، وله إسناد آخر باطل. انتهى.

**الثالث**: أبو القاسم عمر بن محمّد بن عبدالله بن حاتم البزّاز الترمذي؛ إذ حدّث عن جدّه أبي بكر محمّد بن عبدالله بن مرزوق بن دينار الخلّال، عن عبّاس أبي الفضل الشكلي، عن عبد الصمد أبي العبّاس الهاشمي، عن الحسين بن علي الآدمي، عن أبان بن يزيد، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن

---

١. تاريخ بغداد ١٤: ٣٥ ـ ٣٦، الرقم ٧٣٨٠.

٢. ميزان الاعتدال ٤: ٢٨٢، الرقم ٩١٤٩، وليست فيه: «رديء المذهب».

ابن عبّاس، عن عائشة؛ بنحو الحديث الذي سمعته.

وأورده بهذا الإسناد أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات[١] نقلاً عن بعض من خلّط فيه. ثمّ قال: وهذا الإسناد لا يتعدّى أبا القاسم عمر بن محمّد، أو جدّه محمّد بن عبيد الله.

**قلت**: وقد تقدّم القول منّا فيهما، فراجع الطريق الثامن من طرق حديث التجلّي لأبي بكر.

**الرابع**: ما أخرجه أبو العبّاس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه شجرة العقل، عن أبي بكر أحمد بن حمد بالرقّة من حفظه، عن أبي هارون الأنصاري ببيت المقدس، عن أبي يعلى الموصلي، عن الديري، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله، الحديث بنحو ما سمعت.

أورده من هذا الطريق ابن الجوزي في كتاب الموضوعات.

ونقله السيوطي في الأحاديث الموضوعة من لآلئه المصنوعة[(١)].

---

(١) وقد كفانا أبو الفرج بن الجوزي وجلال الدين السيوطي مؤونة البحث عن بطلان هذا الحديث بطرقه الأربعة؛ إذ أورداه من تلك الطرق حاكمَيْن ببطلان كلّ واحدٍ منها جازمين بذلك[٢]. فراجع.

---

١. الموضوعات ١: ٣١١ ـ ٣١٢.

٢. راجع الموضوعات ١: ٣١١ ـ ٣١٢؛ اللآلئ المصنوعة ١: ٢٩١.

## ( ٤ )

## أبو بكر أوّل الناس إسلاماً

عن الشعبي: سُئل ابن عبّاس عن أوّل الناس إسلاماً، فقال: ذاك أبو بكر الصدّيق، أما سمعت قول الشاعر:

إذا تذكّرتَ شجواً من أخي ثقةٍ　　فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خير البريّةِ أتقاها وأعدلها　　ـ إلّا النبيّ ـ وأوفاها بما حملا

والثانيَ التاليَ المحمود مشهدُه　　وأوّل الناس منهم صدّق الرسلا

أخرجه الطبراني في الكبير، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند(١) وغيرهما بالإسناد إلى الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن بن زيد بن أُسيد بن جابر بن عديّ الطائي، عن المجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن ابن عبّاس.

وقد رواه الخطيب من هذا الطريق في ترجمة الهيثم بن عديّ الصفحة ١٥ من المجلّد ١٤ من تاريخ بغداد[1]، ثمّ نقل بالإسناد إلى يحيى بن معين أنّ هذا الحديث عن ابن عبّاس باطل، وأنّ الهيثم بن عديّ ليس بثقة.

**قلت**: وقد أجمع أهل الجرح والتعديل على سقوط الهيثم عن درجة الاعتبار، حتّى قال يحيى بن معين: الهيثم بن عديّ كوفي ليس بثقة، كان يكذب.

---

(١) ونقله عنهما السيوطي في أحوال أبي بكر الصدّيق من تاريخ الخلفاء[2].

---

١. تاريخ بغداد ١٤: ٥١، الرقم ٧٣٩٢.

٢. تاريخ الخلفاء: ٤١. راجع أيضاً المعجم الكبير ١٢: ٧١، ح ١٢٥٦٢.

وقال مرّةً ثالثة: ليس بشيء.

وقال عليّ بن المديني: الهيثم بن عديّ لا أرضاه في الحديث، ولا في الأنساب، ولا في شيء.

وقال أحمد بن عبدالله العجلي: الهيثم بن عديّ الطائي كذّاب، وقد رأيته فلم أروِ عنه.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: الهيثم بن عديّ، ساقط قد كشف قناعه.

وقال أبوزرعة الرازي: الهيثم بن عديّ، ليس بشيء.

وقال محمّد بن أحمد بن يعقوب: حدّثنا جدّي قال: كان لهيثم بن عديّ معرفة بأُمور الناس وأخبارهم، ولم يكن في الحديث بثقة، ولا كانت له به معرفة، وبعض الناس يحمل عليه في صدقه.

وقالت جارية الهيثم بن عديّ: كان مولاي يقوم عامّة الليل، فإذا أصبح جلس يكذب.

وقال أبوعبيد محمّد بن علي الآجري: سألت أبا داود عن الهيثم بن عديّ، فقال: كذّاب.

وقال أحمد بن شعيب النسائي: حدّثنا أبي قال: هيثم بن عديّ متروك الحديث.

**قلت**: وقد ترجمه الخطيب في تاريخه[1] فنقل عن أئمّة الجرح والتعديل كلّ ما ذكرناه.

وترجمه الذهبي في الصفحة ٢٦٥ من المجلّد ٣ من ميزانه[2] فنقل جرحه

---

١. تاريخ بغداد ١٤: ٥١ ـ ٥٣، الرقم ٧٣٩٢.

٢. ميزان الاعتدال ٤: ٣٢٤ ـ ٣٢٥، الرقم ٩٣١١.

وتكذيبه عن كلٍّ من يحيى وأبي داود. ونقل عن النسائي وغيره أنّه متروك الحديث، وأورد أحاديثَ من مناكيره.

**قلت**: وممّا قاله معاصروه في جرحه:

الهيثم بن عديّ في تلوّنه — في كلّ يومٍ له رحلٌ على خشبِ
فما يزال أخا حِلٍّ ومرتحلٍ — إلى الموالي وأحياناً إلى العربِ
له لسانٌ يزجّيه ليهجوهم — كأنّه لم يزل يُعدى على قشبِ
طرفت فما قربى تهمّ بها — إلّا اجتلبت لها الأنساب من كتبِ
إذا نسبت عَدِيّاً في بني ثُعَلٍ — فقدّم الدال قبل العين في النسبِ[1]

١. نقله الخطيب عن ميمون بن هارون في تاريخ بغداد ١٤: ٥٤، الرقم ٧٣٩٢.

## ( ٥ )

## حبّ أبي بكر يُحيد النار بحذافيرها ويُدخل الجنّة

أخرج أبو أحمد بن عديّ في كامله[١] عن أبي سعيد الحسن بن علي بن زكريّا بن صالح بن عاصم بن زفر بن العلاء بن أسلم العدوي البصري، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن راشد الواسطي(١)، عن هشيم، عن حميد، عن أنس: إنّ يهوديّاً أتى أبا بكر فقال: والذي بعث موسى وكلّمه تكليماً، إنّي لأُحبّك، فلم يرفع أبو بكر به رأساً تهاوناً باليهودي، فهبط جبرائيل وقال: يا محمّد، إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: قل لليهودي الذي قال لأبي بكر إنّي أُحبّك: إنّ الله أحاد عنه في النار خلّتين لحبّه أبا بكر، فأخبره فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، وما ازددت لأبي بكر إلّا حبّاً. فقال ﷺ: «هنيئاً لك، أحاد الله عنك النار بحذافيرها، وأدخلك الجنّة بحبّك أبا بكر».

**قلت**: هذا الحديث من أباطيل أبي سعيد العدوي، وقد أجمع أئمّة الجرح والتعديل على سقوطه.

قال عبدالله بن عديّ الحافظ:

إنّ أبا سعيد الحسن بن علي يضع الحديث، ويسرق الحديث، ويلزقه على قوم

(١) ضعّفه عبّاس العنبري، كما في ترجمته من الميزان[٢].

١. الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٣٨، الرقم ٤٧٤.

٢. ميزان الاعتدال ١: ٥٠٦، الرقم ١٨٩٩.

آخرين، ويحدّث عن قوم لا يُعرفون، وهو متّهم فيهم وإنّ الله لم يخلقهم. وعامّة ما حدّث به ـ إلّا القليل ـ موضوعات، وكنّا نتّهمه بل نتيقّنه أنّه هو الذي وضعها. انتهى.

وعن حمزة بن يوسف قال:

سألت الدارقطني عن الحسن بن علي أبي سعيد البصري العدوي، فقال: ذا متروك. فقلت: كان يسمّى الذئب؟ قال: نعم.

وقال حمزة:

سمعت أبا محمّد الحسين بن عليّ الصيمري يقول: الحسن بن عليّ بن زكريّا أبوسعيد العدوي، أصله بصري، سكن بغداد، كذّاب على رسول الله ﷺ، يقول على النبيّ ما لم يقل. زعم لنا أنّ خراشاً حدّثه عن أنس بن مالك أحاديث فوق العشرة، وزعم لنا أنّ عروة بن سعيد حدّثه عن ابن عون نسخة.

ـ قال: ـ وممّا حدّث به ـ لا جزاه الله خيراً ـ عن شيخ قد سمّاه لنا، عن شعبة، عن توبة العنبري، عن أنس، رفعه إلى النبيّ ﷺ: «عليكم بالوجوه الملاح، والحدق السود، فإنّ الله يستحي أن يعذّب وجهاً مليحاً في النار»، وأشياء كثيرة تبيّن كذبه على رسول الله ﷺ.

**قلت:** وقد ترجمه الخطيب في الصفحة ٣٨٢ من المجلّد ٧ من تاريخ بغداد[١]، فنقل عن أئمّة الجرح ما قد ذكرناه بعين لفظه. وذكر أنّه سرق حديث عارم بن الفضل، عن حمّاد بن زيد، فرواه عن مسدّد.

وذكر أنّه حدّث عن كامل بن طلحة، عن ابن لهيعة، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك

---

١. تاريخ بغداد ٧: ٣٨٢ ـ ٣٨٤، الرقم ٣٩١٠.

يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر».

قال الخطيب:

وهذا الحديث وضعه العدوي عن كامل بن طلحة، وإنّما يرويه ابن منصور البندار عن أبي عبدالله الزاهد السمرقندي، عن ابن لهيعة. ـ قال: ـ وأبو عبدالله الزاهد مجهول، فألزقه العدويّ على كامل، وكامل ثقة، والحديث ليس بمحفوظ عن ابن لهيعة ـ إلى أن قال: ـ وقد صنع العدوي لهذا الحديث إسناداً آخر، وقد أتى العدوي أمراً عظيماً، وارتكب أمراً قبيحاً في الجرأة بوضعه.

إلى آخر ما ذكره الخطيب، ممّا يوجب سقوط العدوي وبطلان حديثه.

وترجمه الذهبي في الصفحة ٢٣٥ من المجلّد الأوّل من ميزانه[١] فاسترسل في إسقاطه بما نقله عن الأئمّة من تكذيبه وترك حديثه، وأورد من أباطيله عدّة أحاديثَ أحدها خبر اليهودي ودخوله الجنّة بحبّه أبا بكر.

وقد رأيت متابعاً للعدوي في رواية هذا الحديث عن الحسن بن راشد الواسطي؛ إذ روى أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الموضوعات[٢] عن محمّد بن السري التمّار، عن عليّ بن أحمد البصري وأبي عبدالله غلام خليل، قالا: حدّثنا الحسن بن عليّ بن راشد، حدّثنا هشيم، عن حميد، عن أنس، أنّ يهوديّاً أتى أبابكر...، الحديث.

قال أبو الفرج: هذا حديث موضوع؛ لأنّ العدوي وغلامَ خليل وضّاعان، وعليّ بن أحمد البصري مجهول.

---

١. ميزان الاعتدال ١: ٥٠٦ ـ ٥٠٨، الرقم ١٩٠٤.

٢. الموضوعات ١: ٣١٣.

(٦)

## لأبي بكر قبّة من ياقوتة بيضاء في أعلى علّيّين، تخترقها رياح الرحمة

حديث روي بأسانيد ثلاثة:

**الأوّل**: ما رواه محمّد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثابت، أبو بكر الأشناني، عن أبي زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد، عن عبدالله بن إدريس بن يزيد الأزدي، عن شعبة بن الحجّاج، عن عمرو بن مرّة الجملي، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله اتّخذ لأبي بكر في أعلى علّيّين قبّة من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة، تخترقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها باب ينظر إلى الله عزّ وجلّ».

أخرجه مؤلّفو الفضائل في مناقب أبي بكر.

وقد رواه بهذا الإسناد إمام الحفّاظ أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب في الصفحة ٤٤١ من المجلّد الخامس من تاريخ بغداد[1]، ثمّ قال ما هذا لفظه:

> من ركّب هذا الحديث على مثل هذا الإسناد فما أبقى من اطّراح الحشمة والجرأة على الكذب شيئاً، ونعوذ بالله من الخذلان، ونسأله العصمة من تزيين الشيطان، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

١. تاريخ بغداد ٥: ٤٤١، الرقم ٢٩٦٣.

ـ ثمّ قال: ـ قال محمّد بن أبي الفوارس: قرأت على أبي الحسن الدارقطني، فقال لي: محمّد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثابت الأشناني، كذّاب دجّال. انتهى.

**قلت**: وتلك ترجمة هذا الرجل ـ أعني الأشناني واضع هذا الحديث ـ في ص ٤٣٩ إلى منتهى الصفحة ٤٤٢ من المجلّد ٥ من تاريخ الخطيب، فراجعها تعلم أنّ أحاديثه باطلة، وأنّه كان كذّاباً يضع الحديث إسناداً ومتناً، وأنّه كان مفضوحاً بذلك؛ إذ لم يكن ممّن يعرف من الصنعة، فكان يضع ما لا يحسنه، وكان يأخذ الأسانيد الصحيحة من بعض الصحف فيركّب عليها البلايا.

وقد أورد الخطيب أثناء ترجمته عدّة أحاديث من طامّاته تحذيراً منه، وتنبيهاً إلى سقوط حديثه.

وكذلك فعل الذهبي؛ إذ ترجمه في الصفحة ٨٤ من المجلّد الثالث من الميزان[1]، وقد قال في أثناء ترجمته ما هذا لفظه:

ومن طامّاته: حدّثنا يحيى بن معين، حدّثنا ابن إدريس، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن ابن أبي ليلى، عن البراء، مرفوعاً [إلى رسول الله]: «في أعلى علّيين قبّة معلّقة بالقدرة، تخترقها رياح الرحمة، لها أربعة آلاف باب، كلّما اشتاق أبو بكر إلى الله انفتح منها باب ينظر إلى الله تعالى».

**الثاني**: ما حدّث به أحمد بن نصر بن عبدالله الذارع، عن صدقة بن موسى وعبدالله بن حمّاد القطيفي، قالا: أخبرنا أحمد بن حنبل، عن عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه عبدالله بن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله ادّخر لأبي بكر الصدّيق في أعلى علّيين قبّة من ياقوتة بيضاء معلّقة بالقدرة

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٦٠٦، الرقم ٧٧٩٦.

تخترقها رياح الرحمة، للقبّة أربعة آلاف باب، ينظر إلى الله تعالى بلا حجاب».

رواه الزوزني في كتاب شجرة العقل، وأورده أصحاب السنن في باب الفضائل والمناقب.

وأخرجه بهذا الإسناد أبو بكر الخطيب في الصفحة ٤٤٥ من المجلّد ٩ من تاريخه[١] أثناء ترجمة عبدالله بن حمّاد القطيفي، ثمّ قال ما هذا نصّه:

هذا الحديث باطل من رواية الزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه، ومن حديث معمر عن الزهري، ومن حديث عبد الرزّاق عن معمر، ومن حديث أحمد بن حنبل عن عبد الرزّاق.

ـ قال: ـ لا أعلم من رواه سوى الذارع عن هذين الرجلين ـ أعني صدقة بن موسى وعبدالله القطيفي ـ وهما مجهولان، والحمل فيه عندي على الذارع، وأنّه ممّا صنعته يداه. انتهى.

**قلت**: ومن راجع ترجمة أحمد بن نصر الذارع الصفحة ١٨٤ من المجلّد ٥ من تاريخ الخطيب[٢]، أو راجعها في الصفحة ٧٦ من المجلّد الأوّل من ميزان الذهبي[٣]، وجد النصّ على أنّه وضّاع دجّال صاحب إفك وأباطيل.

**الثالث**: ما أخرجه الزوزني في كتاب شجرة العقل[٤]، عن أبي محمّد عبدالواحد بن محمّد الأزدي، عن أبي الحسن علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي، عن أبي عمرو حمزة بن القاسم، وعمرو بن عمرويه البزّار، قالا:

---

١. تاريخ بغداد ٩: ٤٤٥، الرقم ٥٠٧٣.

٢. تاريخ بغداد ٥: ١٨٤، الرقم ٢٦٣٢.

٣. ميزان الاعتدال ١: ١٦١ ـ ١٦٢، الرقم ٦٤٤.

٤. حكاه عنه السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

حدّثنا أبو جعفر محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي خيثمة، عن روح بن عبادة، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لأبي بكر الصدّيق قبّة من درّة بيضاء لها أربعة أبواب من الياقوت، تخترقها رياح الرحمة، ظاهرها من عفو الله، وباطنها من رضوان الله، كلّما اشتاق إلى الله انفتح له مصراع ينظر إلى الله عزّ وجلّ».

**قلت**: رجال هذا السند من أبي العبّاس الزوزني حتّى الذي قبل ابن أبي شيبة نكرات لا يمكن أن تُعرف، وقد بحثت عنهم فلم أقف لواحد منهم على خبر حتّى كأنّهم لم يُخلقوا، أو لعلّهم كذلك.

أمّا أبو جعفر محمّد بن عثمان بن أبي شيبة، فقد كذّبه عبدالله بن أحمد بن حنبل.

وقال ابن خراش: كان يضع الحديث.

وقال الدارقطني: يقال: إنّه أخذ كتاب غير محدّث [فنسبه إلى نفسه].

وقال البرقاني: لم أزل أسمعهم يذكرون أنّه مقدوح فيه.

وقال ابن عقدة:

سمعت عبدالله بن أُسامة الكلبي وإبراهيم بن إسحاق الصوّاف وداود بن يحيى يقولون: محمّد بن عثمان بن أبي شيبة كذّاب. وزادنا داود فقال: قد وضع ابن أبي شيبة أشياء على قوم ما حدّثوا بها قطّ.

ثمّ حكى ابن عقدة نحو هذا عن طائفة من رجال الجرح والتعديل في حقّ محمّد بن عثمان.

ومن راجع ترجمة ابن أبي شيبة في الصفحة ١٠١ من المجلّد الثالث من ميزان الذهبي[1] وجد هذا الطعن فيه.

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٦٤٢ ـ ٦٤٣، الرقم ٧٩٣٤.

وقد ترجمه الخطيب في الصفحة ٤٣ إلى الصفحة ٤٧ من المجلّد الثالث من تاريخ بغداد[١] فأسند إلى أبي العبّاس بن سعيد قال:

سمعت عبدالله بن أُسامة الكلبي يقول: محمّد بن عثمان كذّاب، أخذ كتب ابن عبدوس الرازي، ما زلنا نعرفه بالكذب.

قال: وسمعت إبراهيم بن إسحاق الصوّاف يقول: محمّد بن عثمان كذّاب، يسرق حديث الناس ويحيل على أقوام بأشياء ليست من حديثهم.

قال: وسمعت داود بن يحيى يقول: محمّد بن عثمان كذّاب، وقد وضع أشياء كثيرة يحيل على أقوام أشياء ما حدّثوا بها.

وقال: وسمعت عبد الرحمن بن يوسف بن خراش يقول: محمّد بن عثمان كذّاب بيّن الأمر، يزيد في الأسانيد ويوصل ويضع الحديث.

وقال: وسمعت محمّد بن عبدالله الحضرمي يقول: محمّد بن عثمان كذّاب، ما زلنا نعرفه بالكذب مُذْ هُوَ صبيّ.

وقال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: محمّد بن عثمان كذّاب بيّن الأمر، يقلب هذا على هذا، والعجب ممّن يكتب عنه.

وقال: وسمعت جعفر بن محمّد بن أبي عثمان الطيالسي يقول: ابن عثمان هذا كذّاب، يجيء عن قوم بأحاديث ما حدّثوا بها قطّ، متى سمع؟ أنا عارف به جدّاً.

وقال: سمعت عبدالله بن إبراهيم بن قتيبة يقول: ابن عثمان أخذ كتب ابن عبدوس وادّعاها، ما زلنا نعرفه بالتزيّد.

وقال: سمعت محمّد بن أحمد العدوي يقول: محمّد بن عثمان كذّاب مذ كان، متى سمع هذه الأشياء التي يدّعيها؟ وذكر كلاماً غير هذا في بدنه.

---

١. تاريخ بغداد ٣: ٤٦، الرقم ٩٧٩.

وقال: حدّثني محمّد بن عبيد بن حمّاد قال: سمعت جعفر بن هذيل يقول: محمّد بن عثمان كذّاب(١).

قال الخطيب:

حدّثني عليّ بن محمّد بن نصر قال: سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سألت الدارقطني عن محمّد بن عثمان بن أبي شيبة فقال: كان يقال: إنّه أخذ كتب أبي أنس وكتب غير محدّثٍ، سألت البرقاني عن ابن أبي شيبة فقال: لم أزل أسمع من الشيوخ أنّه مقدوح فيه[1].

إلى آخر ما نقله الخطيب في أحواله، فراجع.

---

(١) إلى هنا عن ابن سعيد.

---

١. تقدّم تخريجه آنفاً.

## (٧)
## لمّا ولد الصدّيق أقسم الله عزّ وجلّ أن لا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه

يروي هذا... .

**الأوّل**: ما أخرجه الخطيب في ترجمة محمّد بن محفوظ المخرمي الصفحة ٣٠٩ من المجلّد ٣ من تاريخ بغداد[١]، قال:

حدّثنا القاضي أبو العلاء محمّد بن عليّ الواسطي، حدّثنا أبو عمر عثمان بن محمّد بن أبي عيسى المقرئ، حدّثنا أبو بكر أحمد بن صالح بن عمر المقرئ، حدّثنا أبو جعفر محمّد بن محفوظ المخرمي، حدّثنا أحمد بن محمّد الهروي، حدّثنا إسحاق بن راهويه، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله: «لمّا ولد أبو بكر الصدّيق أقبل الله تعالى على جنّة عدن فقال: وعزّتي وجلالي، لا يدخلكِ إلّا من يحبّ هذا المولود» يعني أبابكر.

قال الخطيب: هذا الحديث باطل، وفي إسناده غير واحد من المجهولين. انتهى.

**قلت**: قال أبو الفرج بن الجوزي ـ بعد إيراد هذا الحديث من طريق محمّد بن محفوظ المخرمي كما سمعت ـ وتابعه محمّد بن السري التمّار، عن مسرة بن عبدالله الخادم، عن أحمد بن عصمة بن نوح، عن ابن راهويه، عن ابن عيينة،

---

١. تاريخ بغداد ٣: ٣٠٩، الرقم ١٤٠٣.

عن الزهري، عن نافع، عن ابن عمر، مرفوعاً، ثمّ قال: لكنّ التمّار ومسرة ضعيفان[١].

**قلت**: كان محمّد بن السري التمّار، كما ذكره الذهبي في ترجمته: يروي المناكير والبلايا، ليس بشيء[٢].

وأمّا مسرة بن عبدالله الخادم فصاحب أباطيل وطامّات.

ومن أراد التفصيل فعليه بترجمته في الصفحة ١٦٢ من المجلّد ٣ من الميزان، والصفحة ٢٧١ من المجلّد ١٣ من تاريخ بغداد[٣] لأبي بكر الخطيب.

**الثاني**[٤]: . . . . . . . . . . . . . . .

---

١. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣١٥. وفيه: «والتمار قد أنكروا عليه شيئاً، ولا صحّة لهذا الحديث». ولكن العبارة بعينها موجودة في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٩٣، فراجع.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٥٥٩، ح ٧٥٧٨.

٣. ميزان الاعتدال ٤: ٩٦، الرقم ٨٤٥٧؛ تاريخ بغداد ١٣: ٢٧١، الرقم ٧٢٢٨.

٤. في النسخة بياض، ويحتمل أنّ المؤلّف ﷺ لم يكتب شيئاً، أو أنّه كتب ولكنّ في مسودّة أُخرى ولم ينقلها في هذه النسخة التي اعتمدنا عليها، ونحن نعد القرّاء المحترمين أنّنا سنقوم بتحقيقها وطبعها فور وقوعها بأيدينا إن شاء الله تعالى.

## (٨)

## [حديث التخلّل]

عن رسول الله ﷺ من حديث ابن عبّاس:

«هبط عليَّ جبرائيل وعليه طنفسة وهو متخلّل بها، فقلت: يا جبرائيل، ما نزلت إليَّ في مثل هذا الزيّ؟ قال: إنّ الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلّل في السماء كتخلّل أبي بكر في الأرض».

حديث مستفيض في ألسنة العامّة، مذكور في كتب المناقب والفضائل [١].

وقد أخرجه الخطيب بهذه الألفاظ(١) بالإسناد إلى ابن عبّاس من طريق أبي بكر محمّد بن عبدالله بن إبراهيم بن ثابت الأشناني، عن حنبل بن إسحاق بن حنبل، عن وكيع، عن شعبة، عن الحجّاج، عن مقسم، عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ.

وقد عرفت ممّا أوردناه في الحديث ٦ من نصوص أئمّة الجرح والتعديل أنّ أبا بكر محمّد بن عبدالله الأشناني دجّال من الدجاجيل، وأنّه ممّن يختلق الأباطيل.

وحسبك ما ذكره الخطيب، إذ أورد هذا الحديث في ترجمته من تاريخ بغداد[٢]

(١) في الصفحة ٤٤٢ من المجلّد ٥ من تاريخه[٣].

١. راجع: تاريخ مدينة دمشق ٣٠: ٧٣، الرقم ٣٣٩٨؛ الصواعق المحرقة: ٧٤، الباب ٣، الفصل ٢.

٢ و٣. تاريخ بغداد ٥: ٤٤٢، الرقم ٢٩٦٣.

فقال ما هذا لفظه:

ما أبعد الأشناني من التوفيق، تراه ما علم أنّ حنبلاً لم يروِ عن وكيع ولا أدركه أيضاً، ولست أشكّ أنّ هذا الرجل ما كان يعرف من الصنعة شيئاً، وقد سمعت بعض شيوخنا ذكره فقال: كان يضع الحديث.

[قال: ] وأنا أقول: إنّه كان يضع ما لا يحسنه، غير أنّه أخذ أسانيد صحيحة من بعض الصحف فركّب عليها هذه البلايا، ونسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة. انتهى.

## (٩)

## [حديث الخلافة]

عن ابن عبّاس: لمّا نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح﴾[١] جاء العبّاس إلى عليّ فقال: قم بنا إلى رسول الله ﷺ، فسارا إليه فسألاه عن ذلك، فقال: «يا عبّاس، يا عمّ رسول الله، إنّ الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوه ترشدوا».

قال العبّاس: فأطاعوه والله فرشدوا.

حديث رواه أصحاب السنن ومؤلّفو الفضائل.

وأخرجه الخطيب في الصفحة ٢٩٤ من المجلّد ١١ من تاريخ بغداد[٢] ـ أواخر ترجمة أبي عمرو عثمان بن سعيد التمّار ـ فقال:

أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن الحسين بن عمر بن برهان البغدادي بصور، أخبرنا محمّد بن عبدالله بن خلف بن بخيت الدقّاق، حدّثنا أبو عمرو عثمان بن سعيد التمّار، حدّثنا أحمد بن منصور المروزي زاج سنة ستّ وخمسين ومائتين، حدّثني محمّد بن مصعب القرقساني، عن عمر بن إبراهيم بن خالد الكردي [مولى عبد الملك بن عمير القرشي]، عن عيسى بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، عن أبيه علي، عن جدّه عبدالله بن العبّاس، قال: لمّا نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح﴾.

---

١. النصر (١١٠): ١.

٢. تاريخ بغداد ١١: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، الرقم ٦٠٧١.

الحديث بلفظه الذي أوردناه.

وقد اتّفق الأئمّة على بطلانه، وأنّ البلاء فيه إنّما جاء من عمر بن إبراهيم الكردي، وكان غير ثقة، يروي المناكير عن الأثبات، كما نصّ عليه الخطيب وترجمه في الصفحة ٢٠٢ من المجلّد ١١ من تاريخ بغداد[١]، وروى ثمّة من مناكيره:

إنّ أوّل من يُعطى كتابهَ بيمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطّاب وله شعاع كشعاع الشمس. قيل: فأين أبو بكر؟ قال: تزفّه الملائكة إلى الجنّة.

**قلت**: وقد ترجمه الذهبي أيضاً فنقل عن الدارقطني القول بأنّه كذّاب. ونقل عن الخطيب أنّه غير ثقة. وأورد هذا الحديث في جملة مناكيره ثمّ قال: هذا الحديث ليس بصحيح. واستدلّ على بطلانه بحديث آخر زعم أنّه صحيح، والحقّ أنّهما موضوعان.

وممّا أورده الذهبي من مناكير الكردي حديثه بأنّ حبّ أبي بكر وشكره واجب على الأُمّة. قال الذهبي ـ بعد إيراده ـ: هذا منكرٌ جدّاً.

ومن حديثه الذي استنكره الذهبي أيضاً ما رواه عن أُسيد بن صفوان، قال: لمّا توفّي أبو بكر ارتجّت المدينة بالبكاء، وجاء عليّ باكياً مسترجعاً، ثمّ أثنى عليه. قال الذهبي: فساق أربعين سطراً يشهد القلب بوضع ذلك[٢]. انتهى.

---

١. المصدر: ٢٠٢، الرقم ٥٩٠٥.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ١٨٠، الرقم ٦٠٤٥.

# (١٠)

## [حديث الوزارة]

بينما جبرائيل عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ مرّ أبو بكر الصدّيق، فقال جبرائيل: هذا أبو بكر. قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أتعرفه يا جبرائيل؟» قال: نعم، إنّه في السماء لأشهر منه في الأرض، وإنّ الملائكة لتسمّيه حليمَ قريشٍ، وإنّه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك.

خبر رووه عن أبي هريرة من طريقين:

**الأوّل**: ما أخرجه ابن حبّان في كتاب الضعفاء[1] من طريق أبي هارون إسماعيل بن محمّد بن يوسف الفلسطيني الجيريني، عن المعلّى بن الوليد، عن أبي إسحاق الفزاري، عن مخلّد بن الحسين، عن هشام بن حسّان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: بينا جبرائيل مع النبيّ صلى الله عليه وآله إذ مرّ أبو بكر، الحديث باللفظ الذي سمعته.

وهو باطل باتّفاق أهل العلم، أورده أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات[2]، قال:

إسماعيل بن محمّد بن يوسف أبو هارون، كان يسرق الحديث، لا يجوز الاحتجاج به.

[قال:] وقال محمّد بن طاهر: كذّاب.

---

١. المجروحين ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

٢. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣١٦.

**قلت**: وقد ذكره الذهبي في الصفحة ١١٤ من المجلّد الأوّل من ميزانه[١]، فنقل نصوص أئمّة الجرح والتعديل على أنّه كان كذّاباً يسرق الحديث لا يجوز الاحتجاج به، وأشار إلى حديثه هذا ووصف إسناده إلى أبي هريرة بكونه مظلماً.

**الثاني**: ما أخرجه أبو العبّاس اليشكري في فوائده اليشكريّات من طريق أحمد بن الحسن بن أبان المضري الايلي، عن أبي عاصم الضحّاك بن مخلّد، عن زمعة بن صالح، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: هبط جبرائيل على النبيّ ﷺ فوقف مليّاً يناجيه، فمرّ أبو بكر الصدّيق فقال جبرائيل: يا محمّد هذا ابن أبي قحافة. فقال: «يا جبرائيل، أوَ تعرفونه في السماء؟» قال: إي والذي بعثك بالحقّ، لهو أشهر في السماء منه في الأرض، وإنّ اسمه في السماء الحليم. انتهى.

وهذا الحديث أورده ـ من هذا الطريق ـ أبو الفرج في كتاب الموضوعات[٢]، ثمّ نقل عن ابن حبّان القول بأنّ أحمد بن الحسن بن أبان كذّاب دجّال يضع الحديث على الثقات.

قال: وقال ابن عديّ: يسرق الحديث.

**قلت** : ومن راجع ترجمته في الصفحة ٤٢ من المجلّد الأوّل من الميزان[٣] علم أنّه ممّن لا وزن له، سرّاق كذّاب دجّال، ذو بلايا وأباطيل كثيرة.

---

١. ميزان الاعتدال ١: ٢٤٧، الرقم ٩٣٥.

٢. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٣١٦.

٣. ميزان الاعتدال ١: ٨٩ ـ ٩٠، الرقم ٣٣٠.

## (١١)

## [حديث نصب المنبر يوم القيامة]

عن رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نُصب لإبراهيم منبرٌ أمام العرش، ونُصب لي منبرٌ أمام العرش، ونُصب لأبي بكر كرسيّ، فنجلس عليها، وينادي منادٍ: يا لَكَ من صدّيقٍ بين خليلٍ وحبيب».

خبرٌ رووه في مسانيد الفضائل والمناقب، ولهم فيه سندان:

**الأوّل**: ما أخرجه الخطيب في ترجمة أبي عبدالله أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن موسى الضرير المعروف بابن أبزون المقرئ الحمزي في الصفحة ٣٨٦ من المجلّد ٤ من تاريخ بغداد[١] عن أبي عمر محمّد بن أحمد الحليمي، عن آدم بن إياس العسقلاني، عن ابن أبي ذئب، عن معن بن الوليد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل، عن النبيّ ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة... الحديث كما سمعت.

وقد تصافقوا على بطلانه؛ لأنّ محمّد بن أحمد الحليمي المذكور في هذا السند لم يكن ثقة ولا بشيء.

وقد ذكره الذهبي في الصفحة ١٩ من المجلّد ٣ من ميزانه[٢] فقال: روى عن آدم بن إياس أحاديث منكرة، بل باطلة، وجعل الحمل عليه فيها، ثمّ أورد هذا الحديث مثالاً وأُنموذجاً لأباطيله.

---

١. تاريخ بغداد ٤: ٣٨٦ ـ ٣٨٧، الرقم ٢٢٦٩.

٢. ميزان الاعتدال ٣: ٤٦٥، الرقم ٧١٨٢.

وزاد في اللسان[١] فنقل عن ابن عساكر القول بأنّه منكر الحديث مضلّ.

على أنّ أئمّة هذا الفنّ لا يعتبرون أحمد بن محمّد بن أبزون حجّة ولا يرون حديثه صحيحاً، فإنّ الخطيب حين ترجمه في تاريخه[٢] ونقل هذا الحديث من طريقه عن شيخه الحليمي ليّنه ووهّنه؛ إذ نصّ على أنّه لم يكن في الرواية بذاك، قال: وكان معه كتب طريّة غير أُصول، وكان مكفوفاً. ثمّ نقل عن محمّد بن أبي الفوارس بأنّه لم يكن يصلح للصحيح.

وعلى هذا فيكون ابن أبزون كشيخه الحليمي أو قريباً منه، ويكون هذا الحديث ساقطاً من جهة كلٍّ منهما، كما لا يخفى.

**الثاني**: ما أخرجه أبو العبّاس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه شجرة العقل[٣] عن أبي بكر أحمد بن محمّد بن موسى العنبري، عن الحسن بن عليّ بن يونس، عن أبيه، عن أبي داود سليمان بن عمرو النخعي، عن هشام بن حسّان، عن الحسن، عن عبدالله بن أُويس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يأمر الله عزّ وجلّ فيُنصب لإبراهيم الخليل عليه السلام منبر، ولِي منبر، ولكَ يا أبابكر منبر، فيتجلّى الربّ جلّ جلاله مرّةً في وجه إبراهيم ضاحكاً، ومرّةً في وجهي ضاحكاً، ومرّةً في وجهك ضاحكاً، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٤] أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه». انتهى.

وقد علم جهابذة السنن أنّ الزوزني وسلسلة شيوخه في هذا السند إلى

---

١. لسان الميزان ٥: ٥٩، الرقم ١٩٥.

٢. تاريخ بغداد ٤: ٣٨٦ ـ ٣٨٧، الرقم ٢٢٦٩.

٣. حكاه عنه السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٢٩٦.

٤. آل عمران (٣): ٦٨.

أبي داود كظلمات بعضها فوق بعض، وما منهم إلّا حيّان بن بيان.

أمّا أبو داود، فقد ترجمه الذهبي في الصفحة ٤١٩ من المجلّد الأوّل من ميزانه[١] فقال: سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذّاب. هذا عنوانه. ثمّ استرسل في نقل تكذيبه عن أئمّة الجرح والتعديل، كأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري، وقتيبة، وإسحاق، ويزيد بن هارون، وابن عديّ، وابن حبّان، وأبي معمر، والحاكم، وشريك بن عبدالله، وغيرهم.

وكذلك فعل الخطيب إذ ترجمه في الصفحة ١٥ وبعدها إلى الصفحة ٢١ من المجلّد ٩ من تاريخه[٢].

ومن راجع كلمات العلماء في حقّه علم أنّهم مجمعون على تدجيله وتضليله، ولهم في جرحه نصوص شديدة اللهجة قويّة الحجّة.

❊ ❊ ❊

هذا ما عثرنا عليه من نسخة «الفضائل الملفّقة»، ولا نسلّ أنّها ناقصة؛ فمن المؤسف عليه جدّاً أنّ النسخة الكاملة لها أحرق أو فقد في نهب داره ومكتبته مع باقي نفائسه المفقودة. ولو حصلنا على النسخة الكاملة، فسوف نقدّمها إلى الباحثين من آثاره إن شاء الله تعالى.

هذا، وقد وجد في إنهاء هذه النسخة تنبيه بخطّ ناسخها، لا نرى له ربطاً بها، وهو:

## تنبيه

كثير من السنن المأثورة في حقّ أهل البيت عليهم السلام جاء عامّاً شاملاً لكلّ فردٍ منهم، نحو قوله صلى الله عليه وآله: «إنّ لله عزّوجلّ ثلاثَ حرمات، فمن حفظهنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن

١. ميزان الاعتدال ٢١٦ ـ ٢١٧، الرقم ٣٤٩٥.

٢. تاريخ بغداد ٩: ١٥ ـ ٢١، الرقم ٤٦١٣.

لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته: حرمةَ الإسلام، وحرمتي، وحرمةَ رحمي»[١].

وقوله في حديث زيد بن أرقم: «فمن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي فليستوصِ بهم خيراً»[٢].

وفي حديث آخر: «فإنّي أُخاصمكم عنهم غداً، فمن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار»[٣].

إلى كثيرٍ ممّا جاء على هذا النسق من الوصيّة بهم كافّةً، كما جاء في آية المودّة في القربى من سورة الشورى[٤]، وآية الخمس من الأنفال[٥].

لكنّ صحاح هذا الفصل من هذا الإملاء خاصّ بالنافين منهم عن هذا الدين تحريف الضالّين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وهم الأئمّة الذين حضّ الأُمّة على الائتمام بهم، وحذّرهم من الائتمام بغيرهم، فقال: «ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله، فانظروا مَن توفدون».

---

١. كنز العمّال ١: ٧٧، ح ٣٠٨.

٢. ينابيع المودّة ١: ١١٦، الباب ٤، ح ٤٠.

٣. ذخائر العقبى: ١٨؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٥، الباب ٥٦، ح ٣٢٤.

٤. الشورى (٤٢): ٢٣.

٥. الأنفال (٨): ٤١.

( ٢٦ )

مختصر الكلام

في

# مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

## [تقدّم الشيعة في جمع الحديث وتدوين العلوم]

رجال الشيعة أقدم من غيرهم في جمع الحديث وتدوين العلوم؛ ضرورة أنّه لم يتصدَّ لذلك في العصر الأوّل أحد غير عليٍّ وأُولي العلم من خاصّته، كما سنبيّنه، وكأنَّ السرّ فيه اختلاف الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ في إباحة ذلك وعدمها، كما ذكره الإمام العسقلاني في مقدّمة فتح الباري[1] وغيره، فكرهها أميرالمؤمنين عمر بن الخطّاب وجماعة من أكابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ خشية أن يختلط بعض الحديث بالكتاب العزيز، وأباحه أميرالمؤمنين وابنه الحسن الزكيّ ـ سلام الله عليهما ـ وجماعة آخرون.

وبقي الأمر على هذه الحال حتّى أجمع أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على إباحته، وحينئذٍ ألّف ابن جريح كتابه في الآثار عن مجاهد وعطاء بمكّة. وعن الغزالي رحمه الله: أنّه أوّل كتاب صُنّف في الإسلام، أي أوّل كتاب صنّفه أهل السنّة ـ أيّدهم الله ـ وبعده كتاب معتمر بن راشد الصنعاني باليمن، ثمّ موطّأ الإمام مالك رحمه الله[2].

---

١. فتح الباري (المقدّمة): ٦.

٢. حكاه عنه ابن شهر آشوب في معالم العلماء: ٢ بزيادة.

وفي مقدّمة فتح الباري: إنّ أوّل مَن جمع الحديث الربيع بن صبيح، وكان في آخر عصر التابعين.[١]

وعلى كلٍّ فالإجماع قائم على أن ليس لهم في العصر الأوّل تأليف أصلاً.

## [أوّل مَن ألّف هو عليّ عليه السلام]

وأمّا عليٌّ وخاصّته، فإنّهم تصدّوا لذلك في القرن الأوّل، وأوّل شيء سجّله أميرالمؤمنين عليه السلام كتاب الله العزيز، فإنّه بعد الفراغ من أمر النبيّ صلى الله عليه وآله آلى على نفسهِ أن لا يرتدي إلّا للصلاة أو يجمعه[٢]، فجمعه مرتّباً على حسب ترتيبه في النزول، وأشار إلى عامِّه وخاصِّه، ومطلقه ومقيّده، ومجمله ومبيّنه، ومحكمِه ومتشابهِه، وناسخِه ومنسوخِه، ورُخَصِه وعزائمِه، وآدابِه وسننِه، ونبّه على أسباب النزول في آياتِه البيّنات، وأوضح ما عساه يشكل من بعض الجهات.

وكان ابن سيرين يقول: لو أَصبتُ ذلك الكتابَ كان فيه العلم. نقله عنه جماعة منهم ابن حجر في الصفحة الثامنة والسبعين من صواعقه[٣]، فراجع. وفي الصفحة الرابعة والسبعين منه: أنّ عليّاً جمع القرآن وعرضهُ على النبيّ صلى الله عليه وآله[٤]. والصحيح ما قلناه، وبه تواترت الأخبار عن أبنائه الأخيار عليهم السلام[٥].

---

١. فتح الباري (المقدّمة): ٦.

٢. أي حتّى يجمعه.

٣. الصواعق المحرقة: ١٢٨، الباب ٩، الفصل ٤.

٤. لم نعثر عليه.

٥. راجع: تفسير القمّي ٢: ٤٥٥؛ تفسير الصافي ١: ٤٠ ـ ٤٤، المقدّمة السادسة؛ البرهان ١: ٣٣، باب في أنّ القرآن لم يجمعه كما أُنزل إلّا الأئمّة....

ولا يخفى أنّ جماعة آخرين من أكابر الصحابة قد عنوا بجمعه ـ شَكَـر اللهُ سعيهم ـ وهذا ليس من موضوع بحثنا، وإنّما ذكرناه استطراداً.

على أنّ جَمْع أميرالمؤمنين لكتاب الله كان بالتفسير أشبهَ بما أودعه من الإشارات التي سمعتَها، فلا بأس إذاً بعدِّه ممّا نحن فيه.

وعلى كلّ حال فإنّه بعد فراغه من الكتاب العزيز ألّف كتاباً في الديات كان يومئذٍ يعرف بـالصحيفة، وكان يعلّقها على سيفه، أوردها ابن سعيد في آخر كتابه المعروف بـالجامع[1] بإسناده.

ورأيت البخاري يذكرها في مواضع من صحيحه. قال في أوائل الجزء الأوّل منه في كتاب العلم قُبيلَ كتاب الوضوء بورقتين في أوّل كتابة العلم: حدّثنا ابن سلام، قال: أخبرنا وكيع، عن سفيان، عن الشعبي، عن أبي جُحيفة قال: قلت لعليّ: هل عندكم كتاب؟ قال:« لا، إلّا كتاب الله، أو فَهْمٌ أُعطِيَه رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة». قال: قلت: وما هذه الصحيفة؟ قال:«العَقْل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر»[2]. انتهى.

وفي كتاب الفرائض من الجزء الرابع من الصحيح في باب إثم مَن تبرّأ من مواليه، قال: حدّثنا قتيبة، حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: قال عليّ عليه السلام:« ما عندنا كتاب نقرؤه إلّا كتاب الله غير هذه الصحيفة». قال: فأخرجها فإذا فيها أشياءُ من الجراحات...[3] الحديث.

وتراه صريحاً بأنّه ليس للمسلمين آنئذٍ كتاب يُتلى إلّا كتاب الله ـ عزّوجلّ ـ

---

١. الجامع للشرائع: ٦٠٨ وما بعدها.

٢. صحيح البخاري ١: ٥٣، ح١١١.

٣. المصدر ٦: ٢٤٨٢، ح٦٣٧٤.

وتلك الصحيفة، وحسبك هذا الحديث في اعتبارها وعلوّ شأوها. وقد ذكرها صاحب المشكاة[1] في باب الصيد والذبائح، وفي باب حرم المدينة[2]، فراجع.

وأيضاً ألّف أميرالمؤمنين لفاطمة كتاباً يُعرف عند أبنائهاعليهم السلام بمصحف فاطمة[3]، قد تضمّن أمثالاً وحكَماً وأخباراً وقضايا توجب لها العزاء بسيّد الأنبياء أبيهاصلى الله عليه وآله، وظنّي أنّه أقدم من صحيفة الديات، وإنّما لم يذكره فيما سمعتهُ من حديث البخاري كما ذكر القرآن المجيد والصحيفة؛ لأنّهما قد اشتملا على ما يحتاجه عموم الناس، بخلاف هذا الكتاب فإنّه خاصّ بسيّدة النساء جُعِلْتُ فداها.

واقتدى به في جمع الحديث في ذلك العصر جماعةٌ من شيعته:

[١] **منهم**: **أبورافع** مولى رسول اللهصلى الله عليه وآله وصاحب بيت مال أميرالمؤمنين، له كتاب السنن والأحكام والقضايا، رواه عن عليّ خاصّةً، وهذا الكتاب عند سلفنا في الغاية القصوى من التعظيم[4].

[٢] **ومنهم**: **ربيعة بن سميع**، روى عن أميرالمؤمنين، له كتاب في زكاة النَعَم[5].

---

١. مشكاة المصابيح ٢: ٤٢٦، الرقم ٤٠٧٠.

٢. المصدر ٢: ١٢٣، الرقم ٢٧٢٨.

٣. للمزيد راجع الكافي ١: ٢٣٨ ـ ٢٤٢، باب ذكر فيه الصحيفة والجفر و...، ح ١ ـ ٨.

٤. للمزيد راجع رجال النجاشي: ٤ ـ ٥، الرقم ١.

٥. للمزيد راجع المصدر: ٧ ـ ٨، الرقم ٣.

[٣] **ومنهم: سليم بن قيس الهلالي** صاحب أميرالمؤمنينعليه السلام، روى عنه وعن سلمان الفارسي، له كتاب في الإمامة تروي عنه الخاصّة والعامّة، وحسبُك فيه ما ذكره الإمام محمّد بن إبراهيم النعماني تلميذ ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني حيث قال في كتابه الغيبة:

وليس بين جميع الشيعة ـ ممّن حمل العلم، أو رواه عن الأئمّة ـ خلاف في أنّ كتاب سُلَيم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأُصول التي رواها أهل العلم وحَمَلة حديث أهل البيت وأقدمها... ـ إلى أن قال: ـ وهو من الأُصول التي ترجع الشيعة إليها وتعوّل عليها[١]. انتهى.

[٤ و٥] **ومنهم: سلمان الفارسي وأبوذرّ الغفاري**، على ما يظهر من ابن شهر آشوب، فإنّه قال: أوّل مَن صنَّف في الإسلام عليّ بن أبي طالب، ثمّ سلمان الفارسي، ثمّ أبوذرّ...[٢].

قلت: سمعت من بعض المَهَرة من أساتيذنا في النجف الأشرف أنّ تصنيفيهما كانا في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع عليّ عليه السلام.

[٦] **ومنهم: الأصبغ بن نباتة**، وكان من المنقطعين إلى عليّ، روى عنه عهدَه إلى الأشتر، ووصيَّته إلى ابنه محمّد، ورواهما النجاشي عنه بطريقه إليه[٣].

---

١. الغيبة للنعماني: ١٠١ ـ ١٠٢.

٢. معالم العلماء: ١، مقدّمة المؤلّف.

٣. رجال النجاشي: ٨، الرقم ٥.

[٧] ومنهم: **عبدالله بن الحرّ الفارسي**، روى عن أميرالمؤمنين، له نبذة في الحديث، رواها عن عليّ خاصّةً.

وقد تصدّى النجاشي لذكر مَن ألّف في تلك الطبقة من رجال الشيعة في كتابه الموسوم بـفهرست أسماء مصنّفي الشيعة[1]. وحيث إنّ الكتاب غير موجود عندنا اقتصرنا على ذكر مَن نستحضره منهم، ومنه يُعلم ما أردناه.

[٨] ومنهم: **عبيدالله بن أبي رافع** كاتب عليّ عليه السلام، كان من خواصّ شيعته، له كتاب قضايا أميرالمؤمنين عليه السلام، وكتاب تسمية مَن شهد الجمل وصفّين والنهروان معه عليه السلام.

[٩] ومنهم: **عليّ بن أبي رافع**، كان ثقة صدوقاً من أفاضل التابعين، صحب أميرالمؤمنين فكان من خيار شيعته، وكان ذا حفظ كثير، له كتاب في فنون الفقه، الوضوء والصلاة، وسائر الأبواب، وكان أهل البيت يعظّمون هذا الكتاب ويرجعون شيعتهم إليه، فعن موسى بن عبدالله بن الحسن قال: سأل أبي رجل عن التشهّد فقال: هات كتاب ابن أبي رافع، فأخرجه وأملاه عليه[2].

وفي الروضات: والظاهر أنّ أوّل فقه صُنّف في الشيعة كتاب عليّ بن أبي رافع[3].

قلت: بل سبقه والده أبورافع إلى ذلك، فألّف كتاب السنن والأحكام والقضايا، كما سمعت.

---

١. وهو الكتاب المعروف اليوم برجال النجاشي.

٢. رجال النجاشي: ٦ ـ ٧، الرقم ٢.

٣. روضات الجنّات ٤: ١٨٠، الرقم ٣٧٢.

وكان الواجب عند ذكر كتابه أن نشير إلى نبذة من أحواله، والآن نقول ـ قضاءً لما فاتنا ـ: كان أبورافع مولىً للعبّاس بن عبدالمطّلب، واسمه أسلم أو إبراهيم، أعتقه رسول الله ﷺ بعد أن وهبه العبّاس إيّاه، وهو من السابقين الأوّلين، صلّى إلى القبلتين وبايع البيعتين، وهاجر إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة، وشهد مع النبيّ ﷺ مَشاهده، وانقطع إلى عليّ وحده، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله، وابناه ـ عبيدالله وعليّ ـ كاتباه[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أميني على نفسي»[2].

وخرج إلى الجمل مع أميرالمؤمنين وهو شيخ له خمس وثمانون سنة، وباع داره وأرضاً كانت له في خيبر فأنفق ثمنها في نصرة الحقّ، وكان وهو في الكوفة يقول:

> الحمد لله قد أصبحت لا أحد بمنزلتي، بايعت البيعتين وصلّيت القبلتين وهاجرت الهِجَرَ الثلاث. فقيل له: وما الهجر الثلاث؟ فقال: الأُولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة، وهذه الثالثة مع أميرالمؤمنين إلى الكوفة[3].

ولازم أبا محمّد الحسن الزكيّ بعد عليّ عليه السلام ورجع معه إلى المدينة، فقسم له الحسن دار عليّ، وأقطعه أرضاً باعها ابنه عبيدالله بمائة ألف وسبعين ألفاً. وتوفّي رحمه الله في أيّام معاوية.

ولكلّ من ولديه ذرّيّة على رأيه من الانقطاع إلى أهل البيت، فلابنه عبيدالله ثلاثة أولاد: عون وعبدالله ومحمّد، ولمحمّد هذا ولد اسمه عبدالرحمن

---

١. رجال النجاشي: ٤، الرقم ١.

٢ و٣. المصدر: ٥، الرقم ١.

وكنيته أبومحمّد. والذي أعرفه لعليّ بن أبي رافع ولد واحد اسمه عبيدالله ﷺ.

[١٠] **ومنهم: أبوالأسود الدؤلي** نسبة إلى دُئِل بن بكر، وفي اسمه واسم بعض آبائه خلاف، والمعروف أنّه ظالم بن عمرو، صحب أميرالمؤمنين والحسن والحسين وزين‌العابدين، وعدّه الشيخ من رجالهم عليهم السلام، روى عنهم وعن ابن عبّاس وغيرهم[1]؛ وعلماء الإماميّة لا يرتابون في أنّه من أعاظم رجال الشيعة والمختصّين بأهل البيت، يرسلون ذلك إرسال البديهيّات[2].

وفي ص ١٠٥ من الجزء الحادي عشر من كتاب الأغاني للأُموي المرواني، قال في أخبار أبي الأسود:

إنّه من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم ـ إلى أن قال: ـ واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب، وكان من وجوه شيعته[3].

وفي ص ١٠٧ من الأغاني أيضاً قال:

وقال الجاحظ: أبوالأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس، وهو في كلّها مقدّم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأُمراء والدُهاة والنحويين والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصُلْع الأشراف والبُخْر الأشراف[4]. انتهى.

وبهذا صرّح الجاحظ، كما في الروضات نقلاً عن صاحب طبقات النحاة[5].

---

١. رجال الطوسي: ٧٠، الرقم ٦٣٦، و٩٤، الرقم ٩٣٨، و١٠٢، الرقم ٩٩٦، و١١٦، الرقم ١١٦٨.

٢. للمزيد راجع: مجمع الرجال ٣: ١٥٥؛ منتهى المقال ٧: ١١١، الرقم ٣٣٤٤؛ الكنى والألقاب ١: ٩ ـ ١٢.

٣. الأغاني ١٢: ٢٩٧، أخبار أبوالأسود الدؤلي ونسبه.

٤. المصدر: ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٥. روضات الجنّات ٤: ١٦٦، الرقم ٧٣٢؛ بغية الوعاة ٢: ٢٢.

وفي الوفيات قال في أحوال أبي الأسود:

وكان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشهد معه وقعة صفّين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً، وأسدّهم عقلاً، وهو أوّل مَن وضع النحو[١].

قلت: وله في الوقعة الأُولى(١) من وقعتي الجمل بلاء حسن ونصرة مشكورة، وهو القائل يومئذٍ لعامل أميرالمؤمنين:

يابن حنيف قد أتيتَ فانفر     وطاعنِ القوم وجالِدْ واصبِرْ[٢]

إلى آخره.

وله في تلك الأيّام مع أميرالمؤمنين وطلحة والزبير ـ رضي اللّه عنهم ـ كلام مأثور.

---

(١) كانت هذه الفتنة قبل ورود عليّ إلى البصرة، قتل فيها أربعون رجلاً من شيعته في المسجد، وسبعون آخرون في مكان آخر، أُخذ عامله عثمان بن حنيف الصحابي الأنصاري فأرادوا قتله، ثمّ خافوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه ـ كما في ص ١٠٧ و ١٠٨ من تاريخ ابن الأثير[٣] وغيره[٤]. ـ وجاء حكيم بن جبلة وجماعة من عبدالقيس وهو سيّدهم، وكان من أشدّ الناس حبّاً وأعظمهم معرفة بأميرالمؤمنين، وتبعه جماعة من ربيعة فما بارحوا الهيجاء حتّى تفانوا، واستشهد مع حكيم ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة، وفتحت البصرة ثمّ جاء عليّ عليه السلام.

فكان ما كان ممّا لستُ أذكره     فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ[٥]

---

١. وفيات الأعيان ٢: ٥٣٥، الرقم ٣١٣.

٢. الكامل في التاريخ ٣: ٢١١، حوادث سنة ٣٦.

٣. الكامل في التأريخ ٣: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، حوادث سنة ٣٦.

٤. كالطبري في تاريخه ٤: ٤٦١ ـ ٤٧٧، و ٥٠٦ ـ ٥٠٨.

٥. حكاه ابن أبي الحديد عن ابن المعتزّ في شرح نهج البلاغة ٥: ٤٥.

وفي الصفحة السادسة من طبقات العلّامة الأنباري فقيه الشافعيّة:

وكان أبوالأسود ممّن صحب أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان من المشهورين بصحبته ومحبّته ومحبّة أهل بيته، وفي ذلك يقول:

يقولُ الأَرذلونَ بنو قُشَير … طوالَ الدَهرِ لا تَنْسَ عَلِيّا

فقلتُ لهم: فكيف يكون تركي … من الأشياء ما يُحصى عَلَيّا

أُحبّ محمّداً حبّاً شديداً … وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا

فإن يكُ حبّهم رشداً أُحبّه … وفيهم أُسوة إن كان غَيّا(١)

ـ قال: ـ وكان ينزل البصرة في بني قشير، وكانوا يرجمونه بالليل؛ لمحبّته عليّاً وأهل بيته، فإذا ذكر رجمهم له، قالوا: إنّ الله يرجمك، فيقول لهم: تكذبون، لو رجمني الله أصابني[١].

وفي آخر باب الدال من حياة الحيوان للدميري قال:

إنّ جيرانه بالبصرة كانوا يخالفونه بالاعتقاد، ويؤذونه ويرجمونه بالحجارة،

---

(١) قال في الأغاني:

فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبّهم رشداً أُصبه. البيت

فقال: أما سمعتم قول الله عزّوجلّ: ﴿وإنّا أو إيّاكم لَعَلى هُدًى أو فِى ضَلالٍ مُبِين﴾[٢]. أفترى الله عزّوجلّ شكّ في نبيّه؟

ـ قال: ـ وقد روي أنّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه هذا الجواب.

ولهذه الأبيات بقيّة رواها في الأغاني[٣].

---

١. نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء: ٦، الرقم ١.

٢. السبأ (٣٤): ٢٤.

٣. الأغاني ١٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢، أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه.

ويقولون: إنّما رَجَمك الله، فيقول: كذبتم: لو رجمني أصابني. ثمّ باع الدار فقيل له: بعت دارك؟ فقال: بل بعت جاري، فأرسلها مثلاً[١].

وفي الأغاني[٢] نحوه.

وفيه أيضاً من الجزء الحادي عشر قال:

أتى أبا الأسود نَعْيُ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر ونعى لهم عليّاً، فقال في خطبته: وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أميرالمؤمنين عليّاً ـ كرّم الله وجهه ومثواه ـ في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجو فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيا لله من قتيل وأَكْرِم به وبمقتله، وروحه من روح عرجت إلى الله تعالى بالبرّ والتقى والإيمان والإحسان، لقد أطفأ منه نوراً لله في أرضه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يُشاد مثله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأميرالمؤمنين، و عليه السلام ورحمة الله يوم وُلِد، ويوم قُتِل، ويوم يبعث حيّاً. ثمّ بكى حتّى اختلفت أضلاعه، ثمّ قال: وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإنّي لأرجو أن يجبر الله به ما وَهَى، ويسدّ به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا.

ـ قال: ـ فبايعت الشيعة كلّها، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأي العثمانيّة ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية ...[٣].

إلى أن قال:

فقال أبوالأسود:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا

---

١. حياة الحيوان ١: ٣١٨.

٢. الأغاني ١٢: ٣١٨، أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه.

٣. المصدر: ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

أَفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ من ركب المطايا وخيّسها[1] ومَن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومَن حذاها ومَن قرأ المثاني والمئينا[2]
لقد علمت قريش حيث حلّت بأنّك خيرها حَسَباً وديناً[3]

وكانت له مكانة عند الناس وجرأة على الحكّام. قال لمعاوية ـ كما في حياة الحيوان ـ:

إذا لم تكن لك أمانة على ضرطة، فكيف تؤمن على أموال المسلمين ودمائهم. وقال له معاوية: ما كنت تصنع لو جعلك أبو تراب حَكَماً؟ قال: كنت أجمع ألف رجل من المهاجرين وأولادهم، وألفاً من الأنصار وأولادهم، ثمّ أقول: يا معشر الحاضرين أيّما أحقّ بالخلافة: رجل من المهاجرين، أم رجل من الطلقاء؟ فلعنه معاوية[4].

وسأله زياد ـ كما في ربيع الأبرار للزمخشري ـ عن حبّ عليّ، فقال:

إنّ حبّ عليّ يزداد في قلبي، كما يزداد حبّ معاوية في قلبك، وإنّي أُريد الله والدار الآخرة بحبّي عليّاً، وتريد الدنيا وزينتها بحبّك معاوية[5].

وهو أوّل مَن كتب في النحو بعد أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، له فيه الكتاب المختصر. قال الأزهري في أوّل التصريح:

وقد تظافرت الروايات على أنّ أوّل من وضع النحو أبوالأسود، وأنّه أخذه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

١. أي راضَها وذَلَّلها. (العرفان)

٢. المثاني: فاتحة الكتاب؛ لتثنيتها في كلّ صلاة. والظاهر أنّ المئين كناية عن مجموع القرآن. (العرفان)

٣. الأغاني ١٢: ٣٢٩، أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه.

٤. حياة الحيوان للدميري ١: ٣١٨ مع تفاوت.

٥. ربيع الأبرار ٣: ٤٨٠.

وقال الأنباري في ص ٩ من نزهة الألبّاء:

قال أبوعبيدة معمّر بن المثنّى وغيره: أخذ أبوالأسود النحو عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

وقال ابن خلّكان:

وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ ـ يعنون النحو ـ فقال: لُقّنْتُ حدوده من عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ـ ثمّ قال ـ: وإنّما سمّي النحو نحواً؛ لأنّ أبا الأسود قال: استأذنت عليّاً أن أضع نحو ما وضع[٢]. انتهى.

وفي آخر باب الدال من حياة الحيوان للدميري[٣] عين ما ذكره ابن خلّكان، وهو مذكور في أحوال أبي الأسود من كتاب الأغاني[٤].

وقال الإمام عبدالرحمن الأنباري الشافعي في أوّل طبقاته:

اعلم ـ أيّدك الله بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق ـ أنّ أوّل مَن وضع علم العربيّة وأسّس قواعده وحدّ حدوده عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأخذ عنه أبوالأسود.

قال: وسبب وضع عليّ لهذا العلم ما روى أبوالأسود قال: دخلت على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذا يا أميرالمؤمنين؟ فقال: «تأمّلت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ـ يعني الأعاجم ـ فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه» ثمّ ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب: «الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ

---

١. نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء: ٨، الرقم ١.

٢. وفيات الأعيان ٢: ٥٣٧، الرقم ٣١٣.

٣. حياة الحيوان ١: ٣١٧.

٤. الأغاني ١٢: ٢٩٩، أخبار أبي الأسود الدؤلي ونسبه.

عن المسمّى، والفعل ما أُنبئ به، والحرف ما أفاد معنى» وقال لي: «انْحُ هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك».

واعلم يا أبا الأسود، أنّ الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر. وإنّما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك الاسم المبهم.

قال: ثمّ وضعت بابَي العطف والنعت، ثمّ بابي التعجّب والاستفهام إلى أن وصلت إلى إنَّ وأخواتها ما خلا «لكنّ» فلمّا عرضتها على عليّ عليه السلام أمرني بضمّ «لكنّ» إليها، وكنت كلّما وضعت باباً، عرضته عليه إلى أن حصّلت ما فيه الكفاية. قال: «ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوتَ» فلذلك سمّي النحو...[١]. انتهى.

وروى السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر وكتابه تاريخ الخلفاء[٢] نحو ما سمعت من كلام الأنباري.

وفي أوّل شرح النهج للعلّامة المعتزلي الحنفي قال:

ومن العلوم علم النحو والعربيّة، وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود جوامعه وأُصوله، من جملتها: «الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف» ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم.

قال: وهذا يكاد يلحق بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط[٣].

والذين صرّحوا بهذا ونحوه لا أُحصيهم كثرة، وحسب مختصرنا ما ذكرناه.

---

١. نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء: ٤ ـ ٥، أوّل من وضع علم العربيّة.

٢. الأشباه والنظائر في النحو ١: ٢٧؛ تاريخ الخلفاء: ١٨١.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠.

## [عليّ أوّل مَن أشار إلى تحرّك الأرض]

ولا بأس نشير هنا إلى أمر لم تنله ـ فيما أعلم ـ أقلام الكتّاب، وهو أنّ أوّل مَن أشار إلى تحرّك الأرض على حين لم يكن عليها مَن يتصوّر ذلك إنّما هو أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، حيث قال في خطبته المعروفة بـ«خطبة الأشباح» وهي من خطب النهج في ص ١٩٠ من الطبعة المصريّة:

«فلمّا سكن هياج الماء من تحت أكنافها، وحمْلِ شواهِق الجبال الشُمَّخ البُذَّخ على أكتافها، فجّر ينابيع العيون من عرانين أُنوفها ـ إلى أن قال: ـ وعدَّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها»[١].

وهذا صريح بأنّها تتحرّك حركة معتدلة، وفيه إشارة إلى أنّ النبع بسبب الجبال كما يقوله أهل العصر.

وقال عليه السلام في ص ٤٥٤: «فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تَسيخَ بحملها»[٢].

وهذا كسابقه؛ لأنّ معناه أنّها مع حركتها سكنت من الميدان بسبب الجبال، ضرورة أنّ «على» هنا بمعنى «مع» كقولنا: أسهبت في هذا الأمر على وضوحه.

ولولا كراهة الإطناب، ومخافة الخروج عن مقصودنا في هذا الكتاب، لأطلقت عنان اليَراع فيما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام من غوامض الأمور ودقائق العلوم، وبذلك تعلم أنّ الاكتشافات التي حاز المتأخّرون بها رهان السبق إنّما هي

---

١. نهج البلاغة: ١٦٣، الخطبة ٩١.

٢. المصدر: ٤٤٥، الخطبة ٢١١.

مقتبسة من عباراته. ولا غرو فيمن كان النبيّ ـ بأبي وأُمّي ـ مربّيه ومهذّبه، والعناية الإلهيّة تمدّه وترفده، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[1] أن يكون منه ما كان.

ولأبي الأسود ديوان شعر قالوا: إنّه كبير.

ولد قبل الهجرة بستّة عشرة سنة، وتوفّي في البصرة بالطاعون الجارف سنة ٦٩[2] عن أولاد كانوا على هداه.

وهو أوّل مَن أعرب القرآن العزيز، وكان ذلك في ولاية زياد بن سُميّة، وقيل: إنّ تدوينه للعلم الذي أخذه من أميرالمؤمنين عليه السلام كان في أيّام ابن سميّة أيضاً. والحقّ ما سمعت.

وأمّا أوّل من نَقَط القرآن المجيد فيحيى بن يعمر العدواني الوشقي المضري المتوفّى سنة ١٢٩ بخراسان، البصري التابعي الشيعي بنصّ ابن خلّكان[3] وغيره[4] من علماء السنّة، وكان مقدّماً في الحديث والعربيّة، لقي جماعة من الصحابة، وأخذ النحو عن أبي الأسود.

ونقل ابن خلّكان في ترجمته عن خالد الحذّاء: أنّ ابن سيرين كان عنده مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر[5].

وهو الذي خصم الحجّاج في أنّ الحسنين عليهما السلام من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله

---

١. المعجم الكبير ١١: ٥٥، ح ١١٠٦١؛ الإرشاد للمفيد ١: ٣٣. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ٤: ٣٤٨، الرقم ٢١٨٦؛ ٧: ١٧٣، الرقم ٣٦١٣؛ ١١: ٤٨ ـ ٤٩، الرقم ٥٧٢٨.

٢. راجع تقريب التهذيب ٢: ٣٩١، الرقم ٥٢.

٣. وفيات الأعيان ٦: ١٧٣ و١٧٥، الرقم ٧٩٧.

٤. منهم ابن حجر في تهذيب التهذيب ١١: ٣٠٥، الرقم ٥٨٨.

٥. وفيات الأعيان ٦: ١٧٥، الرقم ٧٩٧.

تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّته داوُدَ وَسُلَيمانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَعِيسىٰ﴾[١]. والقصّة مشهورة[٢].

وليحيى ولد اسمه نصر الله لم يكن على رأي أبيه، وإنّما كان على رأي أهل السنّة، كما نصّ عليه الدميري في البعوضة من حياة الحيوان[٣] حيث نقل عنه كرامة لأميرالمؤمنين عليه السلام.

## فصل: الصحيفة السجّاديّة

ومن أفضل ما ألّف في ذلك العصر مصباحُ آل محمّد صلى الله عليه وآله وزبور أهل البيت، ألا وهو الصحيفة الكاملة للإمام زين العابدين سلام الله عليه، وهي كالنور على الطور، كتبها الباقر بإملاء أبيه، وكان الصادق يقبّلها ويضعها على عينيه ويقول: «هذا خطّ أبي وإملاء جدّي عليهما السلام بمشهد منّي»[٤].

وكتبها أيضاً بإملاء الإمام زين العابدين ولده الشهيد زيد، ولمّا انتهت نسخة إلى الصادق عليه السلام قال: «هذا والله خطّ عمّي زيد ودعاء جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام»[٥].

وقُوبلت مع نسخة الباقر عليه السلام فكانتا أمراً واحداً لم يجدوا حرفاً من إحداهما يخالف ما في الأُخرى.

وكان أهل البيت يصونونها إلّا عن شيعتهم؛ مخافة أن يقع هذا العلم إلى أعدائهم فينسبونه إلى غيرهم.

---

١. الأنعام (٦): ٨٤.

٢. انظر تفصيلها في حياة الحيوان للدميري ١: ١٢٠.

٣. المصدر: ١٢١.

٤ و ٥. راجع الصحيفة السجادية الكاملة، سند الصحيفة.

[١١] **ومن مصنّفي الشيعة من التابعين خندق بن بدر الأسدي**، كان من أشدّ الناس تمسّكاً بأهل البيت وأعظمهم نصحاً لهم، أنفق أيّامه في إحياء أمرهم والمناظرة في إمامتهم وإثبات أنّ الحقّ معهم، حتّى حمله ذلك على الوقوف بالموسم، فذكر فضلهم وظلم الناس لهم وغصبهم إيّاهم حقّهم ودعا الناس إليهم، فوثبوا عليه فقتلوه بعرفات، ودفن بقنونا سنة ١٠٠[١]، فترحّم الباقر عليه وساءه مقتله. له كتاب التنصيص على عليّ بالخلافة، أخبرني به سيّد أساتيذنا في النجف الأشرف أبوجعفر محمّد الموسوي النقوي، المعروف بالهندي سنة ١٣١٨، وكان إماماً في العلوم الإسلاميّة، متضلّعاً بأخبار السلف، جهبذاً في أحوالهم، وليس لي مستند في نسبة هذا الكتاب إلى خندق الشهيد إلّا قول هذا السيّد الثقة.

قال:

ومن جملة ما في هذا الكتاب أنّ رسول الله ﷺ لمّا جمع أعمامه وأُسرته لينذرهم قال: «أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟» فأحجموا جميعاً، وكان عليّ أصغرهم فقال: «أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه» فأخذ النبيّ ﷺ برقبته، ثمّ قال: «هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» فقاموا يقولون لأبي طالب وهم يضحكون: قد أمرك أن تسمع لابنك وتُطيع.

---

١. لم تتعرض كتب الرجال لخندق الأسدي سوى ما ذكره المحقّق التستري ناقلاً عن كتاب الأغاني لأبي الفرج، الذي روى عن أبي عبيدة أنّه قال: «خندق الأسدي هو الذي أدخل كثيراً في مذهب الخشبيّة». وقد نسبه التستري في رجاله إلى الكيسانيّة. أمّا إماميّته فتستفاد ممّا نقله أبوالفرج عن عمر بن شبّة قال: «فقال ـ أي خندق ـ: أيّها الناس، إنّكم على غير حقّ، قد تركتم أهل بيت نبيّكم والحقّ لهم وهم الأئمّة، فوثب عليه الناس فضربوه حتّى قتلوه، ودفن بقَنَوْنا...».

انظر: الأغاني ١٢: ١٧٤ وما بعدها، خبر كثير وخندق الأسدي؛ قاموس الرجال ٤: ٢٠٦، الرقم ٢٦٧٧.

قلت: وأخرج هذا الحديث أبوإسحاق الثعلبي في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ﴾[١] بالإسناد إلى البراء بن عازب[٢].

وأخرجه عبدالله في زوائد مسند أبيه الإمام أحمد بن حنبل بالإسناد إلى عليّ عليه السلام. ورواه الطبري في تاريخه عن ابن عبّاس[٣].

وأورده ابن الأثير في الجزء الثاني من تاريخه عند ذكر أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بإظهار دعوته[٤].

وأخرجه آخرون ذكرنا عبائرهم في كتابنا سبيل المؤمنين ـ وفّقنا الله لخدمة الدين بطبعه ـ فإنّه من أحسن ما صنّف في ذلك الموضوع.

[١٢] **ومنهم: أبوسعيد أبان بن تغلب بن رباح الجُرَيري**، كان عظيم المنزلة في أصحابنا، جليل القدر علماً وعملاً، من أوثق الناس وأفضلهم، صحب الإمام زين العابدين، فباقرَ علوم النبيّين، فأباعبدالله الصادق الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وروى عنهم علوماً جمّة وأحاديث كثيرة، وحسبه أنّه يروي عن الصادق فقط ثلاثين ألف حديث، كما صرّح به أئمّة الفنّ، وكانت له عندهم عليهم السلام حظوة وجاه كبير. قال له الباقر ـ سلام الله عليه ـ: «اجلس في مسجد المدينة وافْتِ الناس، فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»[٥].

---

١. الشعراء (٢٦): ٢١٤.

٢. الكشف والبيان ٧: ١٨٢، ذيل الآية.

٣. تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠، حوادث قبل الهجرة.

٤. الكامل في التاريخ ٢: ٦٢ ـ ٦٣، حوادث قبل الهجرة.

٥. راجع رجال النجاشي: ١٠ ـ ١٢، الرقم ٧.

وكان إذا دخل على الصادقعليه السلام، يعانقه ويصافحه ويأمر بوسادة تُثنى له، ثمّ يُقبل عليه بكلّه[١].

وقال ـ سلام الله عليه ـ لسليم بن أبي حيّة: «ائْتِ أبان بن تغلب، فإنّه قد سمع منّي حديثاً كثيراً، فما روى لك فاروه عنّي»[٢].

وقالعليه السلام لمّا أتاه نعي أبان: «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»[٣].

وكانرحمه الله مقدَّماً في كلّ فنّ من العلوم، ولا سيّما علوم الكتاب والسنّة والفقه والأدب واللغة والنحو.

له كتب، منها: تفسير غريب القرآن، وكتاب الفضائل، وكتاب صفّين، وهو أحد القرّاء المشهورين.

وله روايات عن أنس بن مالك والأعمش ومحمّد بن المنكدر وسماك بن حرب وإبراهيم النخعي وغيرهم، وكان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الخلق وأُخليت له سارية النبيّصلى الله عليه وآله، وكانت مصيبة المسلمين بفقدهرحمه الله سنة ١٤١[٤].

وعن أبي البلاد: عضّ بِبَظْر أُمّه رجلٌ من الشيعة في أقصى الأرض وأدناها، بموت أبان لا تدخل مصيبتُه عليه[٥].

وبالجملة، فإنّ عِظَم شأنه، وكِبَر خطره، وسموَّ مكانته، وثباتَ مقامه، وغزارةَ علمه، وكثرةَ عمله أُمور كفتْنا الضرورة بيانَها، وحسبه ما سمعت، وهنيئاً لمن نال من أئمّة الهدى بعض ذلك.

**[١٣] ومنهم: أبوحمزة الثمالي**، واسمه ثابت بن دينار، وكنية أبيه أبوصفيّة. كان أبوحمزة من خيار أصحابنا وشيوخهم وثقاتهم في الرواية ومعتمديهم، أخذ

---

١ ـ ٥. راجع رجال النجاشي: ١٠ ـ ١٣، الرقم ٧.

العلم من الإمام زين العابدين، فباقر علوم الأوّلين والآخرين، فابنه الصادق الأمين، وكان منقطعاً إليهم،وفي بقائه إلى زمن الكاظم ـ صلوات الله عليه ـ خلاف.

وكان مقرَّباً عندهم، فعن الصادق‌عليه‌السلام: «أبوحمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه»[١].

وعن الرضاعليه‌السلام: «أبوحمزة في زمانه كلقمان في زمانه»[٢].

وأولاده: حمزة ونوح ومنصور، قُتِلوا مع زيد بن عليّ بن الحسين‌عليه‌السلام.

له كتاب تفسير القرآن، و كتاب النوادر، وكتاب الزهد، ورسالة الحقوق رواها عن الإمام عليّ بن الحسين‌عليهماالسلام، وروى عنه دعاءه في السحر، وهو أبهر من الشمس والقمر، وتوفّي سنة ١٥٠[٣].

وله ولد على هَدْيه اسمه محمّد، ذكره أصحابنا في كتب الرجال[٤]، وذكروا له كتاباً رووه بالإسناد إليه.

وله سبط اسمه الحسين بن حمزة الليثي الكوفي، قال أصحابنا عند ذكره: إنّهُ ابن بنت أبي حمزة الثمالي، ثقة، روى عن الصادق‌عليه‌السلام وعن خاله محمّد المتقدّم، وله كتاب يرويه النجاشي[٥] وغيره[٦] بالإسناد إليه.

[١٤] **ومنهم: جابر بن يزيد** بن الحارث بن عبد يغوث بن كعب بن

---

١. المصدر: ١١٥، الرقم ٢٩٦.

٢. اختيار معرفة الرجال: ٢٠٣، ح ٣٥٧؛ خلاصة الأقوال: ٨٥ ـ ٨٦، الرقم ١٧٩.

٣. رجال النجاشي: ١١٥، الرقم ٢٩٦.

٤. راجع اختيار معرفة الرجال: ٢٠٣، ذيل الحديث ٣٥٧.

٥. رجال النجاشي: ١١٥، الرقم ٢٩٦.

٦. كالشيخ الطوسي في الفهرست: ١٠٥، الرقم ١٣٨.

الحارث بن معاوية بن وائل الجعفي الكوفي، وكنيته أبوعبدالله، وقيل: أبومحمّد، لقي الباقرين عليهما السلام، ومات في أيّام الصادق سنة ١٢٨.[١] وقيل: سنة ١٣٢.[٢]

روى عنه جماعة غُمز فيهم وضُعّفوا، منهم: عمرو بن شمر الجعفي، ومفضّل بن صالح السكوني، ومنخل بن جميل الأسدي، ويوسف بن يعقوب[٣].

ولأصحابنا قول بتضعيف جابر أيضاً[٤]. والحقّ عندي أنّه كان في نفسه ثقة صدوقاً مؤتمناً ورعاً، بل كان من أجلّ أصحابنا علماً وأشدّهم لأهل البيت نُصحاً، وكان من أجمعهم لحديثهم وأعرفهم بأسرارهم.

له كتب منها: كتاب التفسير، وكتاب النوادر، وكتاب الفضائل، وكتاب الجمل، وكتاب صفّين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أميرالمؤمنين، وكتاب مقتل الحسين.

وعن الصادق ـ جُعِلْتُ فداه ـ بسند صحيح: «رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا، لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا»(١)[٥]. وحسبك هذا في تزكيته وجلالته.

وكان يقول برجعة النبيّ والأئمّة من آله ـ ومعهم ثلّة من خواصّ المؤمنين ـ إلى دار الدنيا، على معنى إحياء الله لهم بعد موتهم وإخراجه إيّاهم من أجداثهم بأعيانهم وأشخاصهم إلى دار التكليف، ليملأوها قسطاً وعدلاً، ويطبقوها حناناً وفضلاً، ولا يبقى حينئذٍ في العالم كافر بالله أو خارج عن الملّة

---

١. رجال النجاشي: ١٢٨، الرقم ٣٣٢.

٢. رجال الشيخ الطوسي: ١٢٩، الرقم ١٣١٦.

٣ و ٤. رجال النجاشي: ١٢٨، الرقم ٣٣٢.

٥. اختيار معرفة الرجال: ١٩١ ـ ١٩٢، ح ٣٣٦.

المحمّديّة، ثمّ يميتهم مرّة ثانية، وبعدها تكون القيامة العظمى فيحشرون مع جميع الخلائق.

وعلى هذا الرأي جماعة آخرون من الشيعة، قالوا: ولهذه الرجعة في الخارج نظائر، كأهل الكهف ﴿أَو كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وهى خاوِيَةٌ على عُروشها قالَ أَنَّى يُحيى هذِهِ اللهُ بعدَ موتها فَأَماتَهُ اللهُ مائةَ عامٍ ثمّ بَعَثَه﴾[١].

**قلت**: لا ريب في أنّ رجوعهم ـ كما رجع العزير ـ ممكن عقلاً وشرعاً، لكنّ الاعتقاد بوقوع ذلك موقوف على الدليل القطعي، وقد زعموا وجوده في الكتاب والسنّة.

ولنرجع إلى أحوال جابر فنقول: وثّقه جماعة من علماء الجمهور، فعن سفيان الثوري أنّه قال: جابر الجعفي صدوق في الحديث إلّا أنّه كان يتشيّع[٢].

---

(١) هو مولى بجيلة، خرج الباقر عليه السلام فقال: «إنّه يكذب علينا». وكان يدعو إلى محمّد بن عبدالله في أوّل أمره. وقال الصادق عليه السلام: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله ـ كذا قال الإمام عليه السلام ـ دسّ في كتب أبي عليه السلام أحاديث لم يحدّث بها»[٣].

وقال الرضا: «كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد»[٤].

---

١. البقرة (٢): ٢٥٩.

٢. اختيار معرفة الرجال: ١٩٥، ح ٣٤٩.

٣. المصدر: ٢٢٤، ح ٤٠١.

٤. المصدر: ٢٢٣، ح ٣٩٩.

وعنه أيضاً: ما رأيت أورع بالحديث من جابر[1].

وعن عبدالحاكم[2] عن الشافعي:

أنّ سفيان الثوري كان يقول للشعبي: إن قلت في جابر، قلت فيك، يعني إن طعنت فيه طعنت فيك[3].

وعن ميزان الاعتدال[4]:

جابر بن يزيد الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة، ورع في الحديث، ما رأيت أورع منه، صدوق.

ثمّ ذمّه لتشيّعه.

وعن ابن مهديّ: أنّه كان ورعاً في الحديث، ما رأيت أورع منه. وعن الشعبي: أنّه صدوق. وعن يحيى بن أبي بكر: أنّه من أوثق الناس. وعن وكيع وشعبة: أنّه ثقة.

وأخرج مسلم في أوّل صحيحه عن ابن مليج قال:

سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر، عن النبيّ ﷺ كلّها[5].

وأخرج مسلم أيضاً عن زهير قال:

سمعت جابراً يقول: إنّ عندي لخمسين ألف حديث ما حدّثتُ بشيءٍ منها. ـ قال: ـ ثمّ حدّث يوماً بحديث فقال: هذا من الخمسين ألفاً[6].

---

١. اختيار معرفة الرجال: ١٩٥، ح ٣٤٩.

٢. كذا، وفي المصدر: «ابن عبد الحكم».

٣ و ٤. حكاه عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٣٧٩، الرقم ١٤٢٥ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٥. صحيح مسلم ١: ٢٠، المقدّمة.

٦. المصدر.

وأخرج أيضاً عن ابن أبي مطيع قال:

سمعت جابر الجعفي يقول: عندي خمسون ألف حديث عن النبيّ ﷺ [١].

**قلت**: وإنّما أعرضوا عن حديثه؛ لقوله بالرجعة، كما صرّح به سفيان فيما رواه عنه مسلم في أوّل صحيحه قال:

كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يُظهر ما أظهر، فلمّا أظهر ما أظهر، اتّهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس. قيل له: وما أظهر؟ قال: إيمانه بالرجعة [٢]. انتهى.

وبهذا صرّح جرير فيما روى مسلم عنه أيضاً، قال: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه شيئاً، إنّه كان يؤمن بالرجعة [٣].

وأخرج مسلم أيضاً عن مسعر قال: حدّثنا جابر قبل أن يُحدث ما أحدث [٤]. أراد أنّه كان حينئذ مقبول الرواية.

**قلت**: وأنت تعلم أنّ قوله بالرجعة من حيث هو لا يضرّ في دينه ولا يخدش في عدالته، وقصارى ما يلزمه الاشتباه، وقد ذهب جماعة من أهل السنّة ـ كالمعاصر النبهاني ـ إلى أنّ أبا رسول الله ﷺ رجع بعد موته إلى الدنيا فدان بالحقّ ثمّ مات(١)، فلم توجب مقالتهم هذه طعناً في دينهم، ومقالة جابر في النبيّ وآله أُخت هذه المقالة لا تدخل عليه أقلّ بأس؛ إذ ليس في الشريعة المطهّرة ولا في العقل ما يحكم بامتناعها.

ولعلّ في السبعين ألف حديث التي هي عند جابر ما يدلّ على مدّعاه، فكان

---

(١) والشيعة تعتقد أنّ جميع آبائه ﷺ مؤمنون من أوّل أمرهم إلى آخر عمرهم.

---

١ ـ ٤. المصدر.

من الإنصاف أن يسمعوها منه، ولا يضيّعوا على أنفسهم تلك العلوم الكثيرة بمجرّد سماعهم منه تلك المقالة التي لا تضرّ في الدين.

ومن الغريب أنّ مسلماً على إمامته يروي عند ذكره لجابر: أنّ الرافضة يقولون: إنّ عليّاً بالسحاب[1]. وإنّي لأستحي له من هذا الكلام الذي ما أنزل الله به من سلطان، وهذه كتب الشيعة الإماميّة ملأت ما بين الخافقين، فعلى الناقل عنهم شيئاً أن يدلّنا على الموضع الذي نقل عنه، كما هي عادتنا حيث ننقل عن غيرنا.

ولجابر ولد اسمهُ إسماعيل عدّه أصحابنا في الثقات[2]، روى عن الباقر والصادق عليهما السلام، له كتاب ذكره محمّد بن الحسن بن الوليد في فهرسته، رواه النجاشي بالإسناد إليه[3].

**[١٥] ومنهم: أبومخنف لوط بن يحيى** بن سعيد بن مخنف بن سليم ـ أو سالم الأزدي ـ الغامدي.

شيخ أهل السِيَر، وإمام أصحاب الأخبار بالكوفة.

ذكر الحسن بن عليّ بن داود في باب الثقات من رجاله: أنّ الكشّي عدّه من أصحاب عليّ عليه السلام.

ونقل عن الشيخ أنّ في ذلك غلطاً؛ لأنّه لم يلق أميرالمؤمنين، وإنّما كان أبوه يحيى من أصحابه عليه السلام[4].

---

١. صحيح مسلم ١: ٢٠ ـ ٢١، المقدّمة.

٢. خلاصة الأقوال: ٥٤، الرقم ٢.

٣. رجال النجاشي: ٣٢ ـ ٣٣، الرقم ٧١.

٤. رجال ابن داود: ٢٨٢، الرقم ١٢٢٩، وانظر اختيار معرفة الرجال: ١٧٠، ح ٢٨٦، و رجال الطوسي: ٨١، الرقم ٧٩٦.

قلت: لا يخفى أنّ علماءنا في الرجال يعدّون من أصحابه مخنف بن سليم الأزدي الكوفي، وهو على الظاهر جدّ يحيى، فالجمع بين كلامهم وكلام الشيخ يقتضي أن يكون كلاهما من أصحابه عليه السلام وهذا ممكن.

ونقل ابن داود عن فهرست الشيخ أنّ أبامخنف روى عن الحسن والحسين وعليّ بن الحسين صلوات الله عليهم[1].

وفي رجال النجاشي قال:

وكان ـ يعني أبا مخنف ـ يُسكن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمّد عليه السلام وقيل: إنّه روى عن أبي جعفر ولم يصحّ[2]. انتهى.

وصنّف كتباً كثيرة منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام، كتاب فتوح العراق، كتاب فتوح خراسان، كتاب الشورى، كتاب قتل عثمان، كتاب الجمل، كتاب صفّين، كتاب النهروان، كتاب الحكمين، كتاب الغارات، كتاب مقتل حجر بن عديّ، كتاب أخبار زياد، كتاب أخبار المختار، كتاب أخبار الحجّاج، كتاب أخبار محمّد بن أبي بكر، كتاب مقتل محمّد، كتاب أخبار محمّد بن الحنفيّة، كتاب أخبار يوسف بن عمير، كتاب أخبار شبيب الخارجي، كتاب أخبار مطرف بن مغيرة بن شعبة، كتاب أخبار آل مخنف بن سليم، كتاب أخبار الحريث بن الأسدي الناجي وخروجه، كتاب مقتل أميرالمؤمنين عليه السلام، كتاب قتل الحسن ـ سلام الله عليه ـ، كتاب مقتل الحسين عليه السلام[3].

ولا يخفى أنّ الكتاب المتداول في مقتله عليه السلام المنسوب إلى أبي مخنف، قد اشتمل على كثير من الأحاديث التي لا علم لأبي مخنف بها، وإنّما هي مكذوبة

١. رجال ابن داود: ٢٨٢، الرقم ١٢٢٩.

٢. رجال النجاشي : ٣٢٠، الرقم ٨٧٥.

٣. للمزيد راجع: رجال النجاشي: ٣٢٠، الرقم ٨٧٥؛ الفهرست للشيخ الطوسي: ٣٨١ ـ ٣٨٢، الرقم ٥٨٦.

على الرجل، وقد كثرت عليه الكذّابة، وهذا شاهد على جلالته.

وفي مادّة الخنيف من القاموس قال: أبومخنف لوط بن يحيى، أخباريّ شيعيّ تالف متروك[١].

**قلت:** لا يخفى أنّ المؤرّخين بأسرهم عيال عليه، وإنّما تركه حلفاء الجهل ومحاربو العلم؛ حيث ذكر في كتاب الردّة، و كتاب الشورى، و كتاب مقتل عثمان، و كتاب الجمل وصفّين ما لا يوافقهم، وأودع في كتاب السقيفة جميع ما جرى بين الصحابة وكافّة ما وقع على أهل البيت يومئذٍ، وكان بسبب قرب زمنه ينقل القضايا بجميع حذافيرها ويوردها على وجهها.

واختصرها المتأخّرون، كالإمام ابن قتيبة فيكتاب الإمامة والسياسة[٢]، والواقدي والطبري في تأريخيهما[٣]، وابن عبد ربّه في العقد الفريد[٤] حيث أتى على ذكر السقيفة، وابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي في مواضع من شرح النهج[٥]، وابن الأثير وأبيالفداء[٦] وابن الشحناء[٧] في تواريخهم، والمسعودي حيث أورد في مروج الذهب اعتذار عروة بن الزبير عن أخيه عبدالله في تهديد بني هاشم

١. القاموس المحيط ٣: ١٤٤، «خ. ن. ف».

٢. الإمامة والسياسة: ٢١ وما بعدها.

٣. الطبقات الكبرى ٢: ٢٠٦ وما بعدها؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٠٣ وما بعدها، حوادث سنة ١١.

٤. العقد الفريد ٤: ٢٥٧ وما بعدها.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢١٨ وما بعدها.

٦. الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥، حوادث سنة ١١؛ المختصر في أخبار البشر ١: ١٥٦.

٧. ابن الشحناء هو اسم مشترك بين عدّة من الرجال، ويحتمل قويّاً أن يكون مراد المصنّف هو محمّد بن محمّد بن محمود بن غازي الحلبي الحنفي المكنّى بـ«أبي الوليد» الذي يعدّ من أكابر علماء الحنفيّة في القرن التاسع، من جملة آثاره «روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر» و «السيرة النبويّة». انظر ريحانة الأدب ٨: ٤٨ ـ ٥٠؛ كشف الظنون ٣: ٣٧٧.

بالإحراق حيث تخلّفوا عن بيعته[١]، وروى الشهرستاني عن النظّام حيث ذكر الفرقة النظّاميّة في كتاب الملل والنحل[٢] نبذة من ذلك.

بل لا يوجد تأريخ فيه أحوال السلف خالٍ عن الإيماء إلى ما ذكره أبومخنف، ومن هنا حرّم بعضهم مراجعة التأريخ، وأولى له أن يحرّم مراجعة الحديث أيضاً؛ فإنّ الصحاح مشحونة من الإيماء إلى ما ذكره أبومخنف وجميع المؤرّخين، ولو حرّم العلم وأوجب العمى والجهل وألزم بالصمم، لكان أوفق لغرضه.

[١٦] ومنهم: **أبوجعفر محمّد بن الحسن بن أبي سارة مولى الأنصار**، النحوي الكوفي المعروف بالرواسي؛ لِعظَم رأسه، سكن النيل هو وأبوه قبله، ورويا عن الباقر والصادق عليهما السلام. وكان صالحاً صدوقاً، عدّه أصحابنا في الثقات من رجالهم، وهو ابن عمّ معاذ الهرّاء ـ وغلط مَن قال: إنّه ابن أخيه[٣] ـ من بيت أدب وفضل، جميع أهله من أصحابنا، فإنّ محمّداً هذا وأباه الحسن وجدّه أبا سارة وعمّه مسلماً وابن عمّه معاذاً، وجميع أولادهم من شيعة آل محمّد والمنقطعين إليهم في دينهم.

ولمحمّد هذا كتب عديدة منها: كتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الهمز، وكتاب التصغير[٤].

وعن ثعلب: أنّ الرواسي أوّل مَن وضع من الكوفيين كتاباً في النحو، وأنّه أُستاذ الفرّاء والكسائي.

---

١. مروج الذهب ٣: ٨٣.

٢. الملل والنحل ١: ٥٣ ـ ٥٨.

٣. راجع ترجمة معاذ بن مسلم الهراء بعيد هذا.

٤. رجال النجاشي: ٣٢٤، الرقم ٨٨٣؛ خلاصة الأقوال: ٢٥٦، الرقم ٨٧٦.

ويُحكى عنه أنّه قال: أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي، فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه[١].

توفّي في آخر أيّام الصادق صلوات الله عليه.

[١٧] ومنهم: **أبومسلم** ـ ويقال: أبوعليّ ـ **معاذ بن مسلم** بن أبي سارة النحوي الكوفي، واضع علم الصرف، ويعرف بالهرّاء، لبيعه الثياب الهَرَويّة، كان من ثقات مَن حَمَل العلم عن الصادق، ولا يبعد أنّه أخذ علم التصريف منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان فقيهاً، قال له الصادق: «بلغني أنّك تقعد في الجامع تُفتي الناس؟» قال: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، إنّي أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء فإذا عرفته بالخلاف لكم، أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودّتكم ومحبّته فأُخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري مَن هو فأقول: جاء عن فلان كذا وعن فلان كذا، فأُدخل قولكم فيما بين ذلك، فقال له: «اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع»[٢].

وحسبك هذا في أمانته وفقاهته. وكان الصادق يسمّيه النحويَّ[٣].

وعن السيوطي في طبقات النحاة قال:

وكان معاذ بن مسلم شيعيّاً من رواة جعفر ـ يعني الصادق جُعِلتُ فداه ـ وأعيان النحاة، وأوّل مَن وضع علم الصرف[٤]. انتهى.

---

١. انظر بغية الوعاة ١: ٨٢ ـ ٨٣، الرقم ١٣٤، نقله بتصرّف.

٢. انظر خلاصة الأقوال: ٢٧٩، الرقم ١٠٢٣؛ منتهى المقال ٦: ٢٧٢، الرقم ٢٩٩٦.

٣. ذكر ذلك الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ٦: ٢٢٥، ح ٥٣٩.

٤. بغية الوعاة ٢: ٢٩١ ـ ٢٩٢، الرقم ٢٠٠٦، نقله بتصرّف.

قال الأزهري في أوّل التصريح: واتّفقوا على أنّ أوّل مَن وضع التصريف معاذبن مسلم الهرّاء. انتهى.

وفي وفيات ابن خلّكان عند ذكره لمعاذ قال: قرأ عليه الكسائي وصنّف في النحو كثيراً، وكان يتشيّع[1]. انتهى.

وقد عرفت أنّه ابن عمّ الرواسي، وغلط الأنباري حيث قال: «إنّه عمّه»[2]. وله ولد يروي عنه، اسمه الحسين.

وكان بين معاذ والكميت الأسدي ـ شاعر أهل البيت ـ إخاءٌ في الله، ولهما حكايات تدلّ على ذلك لا يسعها مختصرنا.

ولد في أيّام يزيد بن عبدالملك، وتوفّي في السنة التي نُكِب فيها البرامكة وهي سنة ١٨٧، وفيها توفّي الفضيل بن عياض الزاهد بمكّة، والمعمّر بن سليمان بن طرخان التيمي البصري، وعمر بن عبيد الطنافسي الكوفي[3].

مات معاذ عن عمر طويل كلّه في العلم، والعمل الصالح، كان له أولاد وأولاد أولاد مات الجميع في حياته ﷺ جميعاً.

[١٨] ومنهم: **أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد** بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، كان من رجال أهل البيت وأكابر شيعتهم، عظيم المعرفة بشأنهم، شديد التمسّك بولايتهم، أجمع أصحابنا[4] على أنّه من ثقات علمائهم وعدول سلفهم،

١. وفيات الأعيان ٥: ٢١٨، الرقم ٧٢٥.

٢. نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء: ٥٢، الرقم ١٧.

٣. للمزيد راجع الكامل في التاريخ ٦: ١٨٩، حوادث سنة ١٨٧.

٤. خلاصة الأقوال: ١٤٠، الرقم ٣٨٧؛ منتهى المقال ٣: ١٨٥، الرقم ١٠٨٩.

يرسلون ذلك إرسالاً. وكان من أزهد الناس وأعفّهم وأعقلهم وأعلمهم، وقوراً حكيماً، إماماً في العلوم العربيّة، وهو الذي استنبط علم العَروض وحصره في خمسة عشر بحراً، ثمّ زاد الأخفش فيه بحر الخَبَب.

وهو الذي ضبط اللغة وحصر كلماتها، فذكر:

إنّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرير اثنا عشر ألف ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنتا عشرة مادّة.

نقل عنه ذلك حمزة بن الحسين الإصفهاني في كتابه الموازنة، وقال في كتابه التنبيه:

وبعدُ، فإنّ دولة الإسلام لم تخرج أبدَعَ للعلوم ـ التي لم يكن لها عند العرب أُصول ـ من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العَروض، لا عن حكيم أخذه، ولا عن مثال تقدّمه احتذاه، وإنّما اخترعه من ممرّ له بالصفّارين ـ يعني النخّاسين ـ من وَقْع مطرقة على طست ليس فيها حجّة ولا بيان يؤدّيان إلى غير حليتهما، أو يفسّران غير جوهرهما، فلو كانت أيّامه قديمة، ورسومه بعيدة، لشكّك فيه بعض الأُمم؛ لصنعه ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدّمتُ ذكره، ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة[كلّ][1] أُمّة من الأُمم قاطبة، ثمّ إمداده سيبويه علم النحو بما صنّف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام[2]. انتهى.

وكان الخليل من تلامذة أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيبويه، وعامّة

---

١. الزيادة من المصدر.

٢. التنبيه على حدوث التصحيف: ١٢٤ ـ ١٢٥.

الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلّما قال سيبويه: «سألته» من غير أن يذكر المسؤول، أو قال: «قال» بدون أن يصرّح بالقائل، فهو الخليل. وأخذ عنه أبوفيد مؤرج السدوسي، والنضر بن شميل، وعليّ بن نصر الجهضمي وغيرهم[١].

له كتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب النَغَم، وكتاب في العوامل، وكتاب العين في اللغة، وفي أنّ هذا الكتاب كلّه له، أو أنّ أوائله له والباقي لتلامذته خلاف.

وممّا يدلّ على علوّ نفسه ما حكي من أنّ سليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي ـ والي الأهواز وفارس في ذلك الوقت ـ كتب إليه يستدعيه لتأديب ولده، وكان قد جعل له راتباً، فأخرج الخليل لرسوله خبزاً يابساً وقال:

كُلْ فما عندي غيرُه، وما دمتُ أجده فلا حاجة لي إلى سليمان. قال الرسول: فما أبلغه؟ فأنشأ يقول:

أَبْلِغْ سُليمانَ أنّي عنه في سَعةٍ ... وفي غنى غيرَ أنّي لستُ ذا مالِ

شحّاً بنفسي أنّي لا أَرى أحداً ... يموتُ هَزْلاً ولا يبقى على حالِ

الرزق عن قدَرٍ لا الضعف ينقصه ... ولا يزيدك فيه حَولُ محتالِ

والفقرُ في النفسِ لا في المال نعرفه ... ومِثلُ ذاك الغنى في النفسِ لا في المالِ

فقطع سليمان عنه الراتب فقال الخليل:

إنّ الذي شقّ فَمي ضامنٌ ... للرزق حتّى يتوفّاني

حَرَمْتَني مالاً قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

١. انظر بغية الوعاة ١: ٥٥٨، الرقم ١١٧٢.

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه وأضعف له الراتب، فقال الخليل:

وزلّة يكثر الشيطان إن ذكرت — منها التعجّب جاءت من سليمانا

لا تعجبنّ لخير زلَّ من يده — فالكوكب النَحْسُ يسقي الأرض أحيانا

ودخل عليه ولده فوجده يقطّع بيتاً بأوزان العَروض، فقال: إنّ أبي قد جُنَّ، فقال يخاطبه:

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني — أو كنتُ أجهل ما أقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتي فَعَذَلْتَني — وعلمتُ أنّك جاهل فعذرتكا[1]

وعن كشف الغمّة عن محمّد بن سلام الجمحي، عن يونس بن حبيب النحوي العثماني تلميذ الخليل قال:

قلت له: أُريد أن أسألك عن مسألة فتكتمها عليّ؟ فقال: قولك يدلّ على أنّ الجواب أغلظ من السؤال فتكتمه أنت أيضاً. قلت: نعم، أيّام حياتك. قال: سَل. فقلت: ما بال أصحاب النبيّ ﷺ كأنّهم كلّهم بنو أُمّ واحدة وعليّ من بينهم كأنّه ابن علّة؟ ـ العلّة بلسان العامّة يقال لها: الضرّة ـ قال الخليل: من أين لي الجواب؟ فقلت: قد وَعَدْتَنيه. قال: وقد ضمنت لي الكتمان؟ قلت: أيّام حياتك، فقال: إنّ عليّاً تقدّمهم إسلاماً، وفاقَهُم علماً، وبذّهم[2] شرفاً، ورجح عليهم زهداً، وطالهم جهاداً، والناس إلى أشكالهم وأشباههم أميل منهم إلى مَن بانَ عنهم. ثمّ قال: فافهم[3].

وعن أبي زيد النحوي الأنصاري قال:

سألتُ الخليل بن أحمد: لِمَ ترك الناس عليّاً، وقربه من رسول الله قربه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟ فقال: بَهَر ـ والله ـ نوره

---

١. المصدر: ٥٥٧ ـ ٥٥٩.

٢. بذّهم بمعنى غَلَبهم. انظر لسان العرب ٣: ٧٧، «ب. ذ. هـ».

٣. كشف الغمّة ٢: ٣٧.

أنوارهم، وغلبهم على صفو كلّ منهل، والناس إلى أشكالهم أميل. أما سمعت قول الأوّل:

وكـلّ شكـلٍ لشكـله آلف　　　　أماترى الفيل يألف الفـيلا [١]

وكان يقول: إذا لم تكن هذه الطائفة ـ يعني الشيعة ـ أولياء الله فليس لله وليّ[٢].

ولد سنة ١٠٠ للهجرة بالاتّفاق، والأصحّ في وفاته أنّها كانت سنة ١٦٠ في البصرة في أيّام المهديّ العبّاسي، وفي تلك السنة توفّي عبدالله بن صفوان الجمحي أمير المدينة، والربيع بن مالك بن أبي عامر عمّ مالك بن أنس الفقيه، وكانوا أربعة إخوة أكبرهم أنس والد مالك، ثمّ أُويس جدّ إسماعيل بن أُويس، ثمّ نافع، ثمّ الربيع.

وفيها توفّي أيضاً داود بن نصير الطائي من أصحاب أبي حنيفة، وعبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود الصحابي، وشعبة بن الحجّاج وكان عمره سبعاً وسبعين سنة، وإسرائيل بن يونس السبعي[٣].

وفيها وسّع المهديّ مسجد رسول الله ﷺ.

وكان السبب في موت الخليل بن أحمد أنّه قال: أُريد أن أعمل قواعد في الحساب تمضي بها الجارية إلى البيّاع، فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد ليصلّي وهو يعمل فكره في ذلك، فصدمته سارية وهو غافل عنها، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته شهيد العلم[٤]، حشره الله مع مَن كان يتولّاه من محمّد وآله ﷺ.

---

١. الأمالي للصدوق: ١٩٠ ـ ١٩١، المجلس ٤٠، ح ١٤.

٢. بغية الوعاة ١: ٥٥٧، الرقم ١١٧٢.

٣. المصدر.

٤. المصدر.

[١٩] **ومنهم: أبوالحسن**(١) **زرارة**(٢) **بن أعين بن سنسن**، واسمه عبد ربّه[١]، لكن غلب عليه اللقب، أمره أشهر من نار على عَلَم، وفضله لا يحيط به لسان أو قلم، صحب الباقرين عليهما السلام فكان له عندهما جاه عظيم ومنزلة رفيعة.

وحسبك أنّه أحد الأربعة الذين قال فيهم الصادق سلام الله عليه: «إنّهم أُمناء الله على حلاله وحرامه»[٢].

وقال: «لولاهم لانقطعت آثار النبوّة واندرست»[٣].

وقال عليه السلام: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي إلّا زرارة، وأبوبصير ليث المرادي، ومحمّد بن مسلم، وبريد العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأُمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة»[٤].

---

(١) ويكنّى أبا عليّ أيضاً.

(٢) كان أعين بن سنسن غلاماً رومياً، اشتراه رجل من بني شيبان، فربّاه وتبنّاه وأحسن تأديبه، فحفظ القرآن وعرف الأدب فخرج أديباً بارعاً فأعتقه وقال له: استلحقك؟ فأبى. وذرّيّته مباركة ميمونة طيبة طاهرة، كلّها من شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله، وكان أبوه سنسن نصرانياً راهباً، وقيل: إنّه من غسّان، دخل بلد الروم، وكان يدخل بلاد الإسلام بأمان ابنه أعين ويرجع إلى بلاده[٥].

---

١. الفهرست للشيخ الطوسي: ٢٠٩، الرقم ٣١٢؛ مجمع الرجال ٣: ٢٩.

٢ و٣. اختيار معرفة الرجال: ١٧٠، الرقم ٢٨٦.

٤. المصدر: ١٣٦ ـ ١٣٧، الرقم ٢١٩.

٥. راجع كتاب الرجال لابن داود: ١٥٦، ذيل الرقم ٦١٩.

وقال عليه السلام: «بشّر المخبتين بالجنّة»[١] ثمّ ذكر الأربعة.

وقال ـ من حديث طويل ذكر فيه الأربعة ـ: «كان أبي ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة(١) علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سرّي وأصحاب أبي حقّاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءً صرفه بهم [عنهم]، هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتاً، بهم يكشف الله كلّ بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين»[٢]. الحديث.

وقال عليه السلام: «زرارة بن أعين وأبوبصير ليث المرادي ومحمّد بن مسلم وبُريد من الذين قال الله تعالى: ﴿والسّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولٰئِكَ المقَرَّبُونَ﴾»[٣].

وقال عليه السلام: «أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً أربعة» ثمّ ذكرهم[٤].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي [تذكر] لهم من الفضل والشرف والمنزلة والرفعة والكرامة والولاية ما لا تسعه عبارة، وهنيئاً لمن نال من أئمّة الهدى بعض ذلك.

---

(١) العيبة: زبيل من أَدَم ونحوه، وما يُجعل فيه الثياب، ومن الرجل موضع سرّه. قاموس[٥].

---

١. اختيار معرفة الرجال: ١٧٠، الرقم ٢٨٦.

٢. المصدر: ١٣٧، ح ٢٢٠.

٣. المصدر: ١٣٦، الرقم ٢١٨، والآية في سورة الواقعة (٥٦): ١٠ ـ ١١.

٤. المصدر: ١٣٥، الرقم ٢١٥.

٥. القاموس المحيط ١: ١١٣، «ع. ی. ب».

وبالجملة، فإنّ زرارة ـ كما قال فيه الصادق عليه السلام(١) ـ هو أوضح من أن يحتاج إلى إيضاح[١].

وقال صلوات الله عليه: رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي»[٢].

وفي حديث آخر: «لولا زرارة لظننتُ أنّ أحاديث أبي عليه السلام ستذهب»[٣].

وعنه عليه السلام من حديث طويل: «أمّا ما رواه زرارة عن أبي فلا يجوز لي ردّه»[٤].

وقال ـ سلام الله عليه ـ للفيض بن المختار: «فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس» وأومأ إلى زرارة بن أعين[٥].

وقال الرضا عليه السلام: «أتَرى أحداً أصدع بحقٍّ من زرارة؟»[٦].

وكان أعداء أهل البيت والمخالفون لهم يتربّصون به الدوائر لمحبّة الصادق، ويقلّبون له الأُمور، فلم يَرَ الصادق وسيلةً إلى حفظ دم زرارة ووقاية ماله وعرضه غير مذمّته والتكلّم عليه، فبلغ ذلك زرارة فوجّه إليه ولده الحسين فقال له: إنّ أبي يقرأ عليك السلام ويقول لك: جعلني الله فداك إنّه لا يزال الرجل والرجلان يقدمان فيذكران أنّك ذكرتني وقلت فيّ، فقال عليه السلام: «اقرأ أباك السلام وقل له: أنا ـ والله ـ أُحبّ لك الخير في الدنيا، وأُحبّ لك الخير في الآخرة، وأنا

---

(١) هنا حديث رواه الحسن بن داود في رجاله عند ذكر زرارة.

---

١. رجال ابن داود: ١٧٩، الرقم ٦١٩.

٢. اختيار معرفة الرجال: ١٣٦، ح ٢١٧؛ مجمع الرجال ٣: ٢٨.

٣ و ٤. اختيار معرفة الرجال: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٢١٠ و ٢١١.

٥. المصدر: ١٣٥ ـ ١٣٦، ح ٢١٦.

٦. المصدر: ١٤٣، ح ٢٢٥.

ـ والله ـ عنك راض، فما تبالي ما قال الناس بعدها»[١].

وقال عليه السلام لعبد الله بن زرارة: «اقرأ منّي على والدك السلام وقل له: إنّي أنا أعيبك دفاعاً منّي عنك، فإنّ الناس والعدوّ يسارعون إلى كلّ مَن قرّبناه وحمدنا مكانه، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كلّ مَن عِبْناه، وأنا أعيبك؛ لأنّك رجل اشتهرت بنا، فكنت بذلك غيرَ محمود الأثر عند الناس، فأحببتُ أن أعيبك ليحمدوا أمرك، ويكون ذلك دافعَ شرّهم عنك ﴿أمّا السَفينةُ فكانت لَمساكينَ يَعْمَلُونَ في البَحرِ فَأَرَدْتُ أن أَعِيبَها وكانَ وَراءهُم مَلِكٌ يَأخذُ كلَّ سَفِينةٍ غَصْباً﴾[٢] فافهم المثل ـ يرحمك الله ـ فإنّك والله أحبّ الناس إليّ، وأحبّ أصحاب أبي إليّ حيّاً وميّتاً، وإنّك أفضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر، وإنّ وراءك لملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كلّ سفينة صالحة من بحر الهدى ليأخذها غصباً، فرحمة الله عليك حيّاً ورحمته ورضوانه عليك ميّتاً، ولقد أدّى إليّ ابناك: الحسن والحسين رسالتك، أحاطهما الله وكلأهما ورعاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين»[٣]. الحديث.

وناهيك به شرفاً وفضلاً لزرارة وولديه الحسنين، وكانا من ثقات أصحابنا وعدول سلفنا.

وله أربعة أولاد غيرهما: عبيدالله وربّما سمّي عبيد، وعبدالله، ورومي، ويحيى. فهؤلاء ستّة أولاد كلّهم على رأي أبيهم وهدى أهلهم.

ولعبدالله وعبيدالله ورومي ـ المذكورين ـ كتب رواها النجاشي وغيره

---

١. المصدر: ١٤١، ح ٢٢٢.

٢. الكهف (١٨): ٧٩.

٣. اختيار معرفة الرجال: ١٣٨ ـ ١٤١، الرقم ٢٢١.

بالأسانيد إليهم[١]، وصرّح أئمّة الفنّ[٢] بأنّهم من ثقات الشيعة وأعيان محدّثيهم.

ولزرارة عدّة إخوة:

[٢٠] أحدهم: **حمران بن أعين** النحوي اللغوي، كان من أكابر علماء الشيعة ورؤساء محدّثيهم وأعيان ثقاتهم، لقي الباقرين عليهما السلام فكان من أخصّ الناس بهما وأقربهم إليهما، حتّى قيل: إنّه حواريّهما[٣]، وتواتر الثناء منهما عليه.

قال له الباقر عليه السلام : «أنت من شعيتنا في الدنيا والآخرة»[٤].

وقال: «إنّه من المؤمنين حقّاً لا يرجع أبداً»[٥].

وكان الصادق عليه السلام يقول: «حمران بن أعين مؤمن لا يرتدّ والله أبداً»[٦].

وجرى ذكره بعد موته فقال الصادق عليه السلام: «مات والله مؤمناً»[٧].

وكان من المتبحّرين في علوم القرآن، متضلّعاً في سائر الفنون، فقيهاً زاهداً عابداً، في أقصى غاية من الورع والنسك.

وله ثلاثة أولاد كانوا على رأيه وهداه: عقبة، وحمزة، ومحمّد. ولكلٍّ من حمزة ومحمّد روايات عن الصادق وغيره، ولكلٍّ منهما كتاب رواه أصحابنا[٨] بالإسناد إليهما، وكانا ثقتين.

---

١. رجال النجاشي: ٢٢٣، الرقم ٥٨٣، و٢٣٣، الرقم ٦١٨، و١٦٦، الرقم ٤٤٠؛ الفهرست للشيخ الطوسي: ٣٠٨، الرقم ٤٧٠.

٢. راجع رجال النجاشي المتقدّم آنفاً، وخلاصة الأقوال: ١٤٧ و٢٠١، الرقم ٤١٤ و٦٣١.

٣. اختيار معرفة الرجال: ٩ ـ ١٠، ح ٢٠.

٤. خلاصة الأقوال: ١٣٤ ـ ١٣٥، الرقم ٣٦١.

٥ و٦. اختيار معرفة الرجال: ١٧٦ و١٧٨، ح ٣٠٤ و٣٠٨.

٧. خلاصة الأقوال: ١٣٤ ـ ١٣٥، الرقم ٣٦١.

٨. رجال النجاشي: ١٤٠، الرقم ٣٦٥، و٣٥٩، الرقم ٩٦٥.

[٢١] الثاني من إخوة زرارة: **بكير بن أعين**، عدّه أصحابنا في الثقات من رجالهم[١]، روى عن الصادق، ومات في أيّامه عليه السلام، فقال فيه بعد موته على ما روي عنه: «لقد أنزله الله بين رسوله وأميرالمؤمنين»[٢].

وعنه: «رحم الله بكيراً، وقد فعل»[٣].

ولبكير خمسة أولاد: عبدالحميد، والجهم، وعبدالله وعبدالأعلى، وعمر.

ولعبدالحميد ثلاثة أولاد: محمّد، وعليّ، والحسن.

وللجهم بن بكير ولد اسمه الحسن(١) من ثقات أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام، له كتاب.

ولعبد الله بن بكير ولد اسمه الحسين أيضاً.

والكلّ من رجال الشيعة، بَيْدَ أنّ عبدالله بن بكير فطحي لكنّه ثقة، وهو ممّن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه[٤]، وله كتاب يرويه أصحابنا بالإسناد إليه.

---

(١) وللحسن هذا ولد اسمه سليمان، من أجلّ أصحاب الهادي عليه السلام، وكان مرجعاً للشيعة، ولهُ ولد اسمه محمّد بن سليمان بن الحسن بن الجهم، كان من ثقات أصحاب العسكري، وله كتب عديدة منها: كتاب الآداب والمواعظ، وكتاب الدعاء، وكتاب المسائل التي سألها الإمام العسكري عليه السلام وأجوبتها منه ـ سلام الله عليه ـ. توفّي محمّد المذكور سنة ٣٠١هـ. وكانت ولادته سنة ٢٣٧ [٥].

---

١. منهم العلّامة في خلاصة الأقوال: ٨٣، الرقم ١٧٠.

٢ و٣. اختيار معرفة الرجال: ١٨١، ح ٣١٥ و٣١٦.

٤. اختيار معرفة الرجال: ٣٧٥، الرقم ٧٠٥. وقد ورد عند تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام.

٥. راجع: رجال النجاشي: ٥٠، الرقم ١٠٩؛ رجال الطوسي: ٣٣٤، الرقم ٤٩٧٩؛ خلاصة الأقوال: ١٠٦، الرقم ٢٥١.

[٢٢] الثالث من إخوة زرارة: **عبدالملك بن أعين**، ويكنّى أبا الضريس، كان مخلصاً في ولاية أهل البيت، من أعيان الشيعة، توفّي في أيّام الصادق عليه السلام، فرفع يده الشريفة ودعا له واجتهد في الدعاء وترحّم عليه.

وفي بعض الأخبار أنّه قال عند ما بلغه موته: «اللهمّ إنّ أبا الضريس كنّا عنده خيرتك من خلقك، فصيّره في ثقل محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة»[١].

ولعبد الملك بن أعين ولدان: أحدهما: الضريس، وكان عالماً فاضلاً صالحاً ثقة، روى عنه جماعة من الفضلاء، وكان زوجاً لابنة عمّه حمران[٢]. والثاني: حسن، ولحسن هذا ولد اسمه عليّ، والكلّ من خيرة أصحابنا.

[٢٣] الرابع من إخوة زرارة: **عبدالرحمن بن أعين**، كان من ثقات أصحاب الباقرين[٣]، له كتاب رواه النجاشي[٤] وغيره[٥] بالإسناد إليه.

وهؤلاء الأربعة من إخوة زرارة كبراء معروفون، وله إخوة سواهم غير مشهورين.

قال ابن فضّال ـ فيما رواه أبوعليّ عنه ـ:

خلّف أعين بن سنسن: حمران، وزرارة، وبكيراً، وعبدالملك، وعبدالرحمن، وملكاً، وموسى، وضريساً، ومليكاً، وقَعْنَباً. فذلك عشرة أنفس، وكان مليك وقعنب يذهبان مذهب أهل السنّة، مخالفَيْن لإخوتهم[٦]. انتهى.

---

١. المصدر: ١٧٥، ح ٣٠١.

٢. خلاصة الأقوال: ١٧٢، الرقم ٥٠٥.

٣. اختيار معرفة الرجال: ١٦١، ح ٢٧٠ ـ ٢٧١.

٤. رجال النجاشي: ٢٣٧، الرقم ٦٢٧.

٥. الفهرست للشيخ الطوسي: ٣١٢، الرقم ٤٧٩.

٦. رسالة أبي غالب الزراري: ١٣٧ ـ ١٣٨.

ولهـم أخت يـقال لهـا: «أُمّ الأسـود بـنت أعـين» كـانت مـن الصـالحات المستبصرات بشأن أهل البيت عليهم‌السلام فللّه أعين ما أَبْركَ نسله، وأنفعهم للمسلمين.

والآن نرجع إلى تمام القول في زرارة فنقول:

كان قارئاً صيّتاً إماماً في التفسير والعلوم العربيّة وغيرها، فصيحاً أديباً شاعراً جامعاً لخِلال الفضل والدين، صاحب حجّة قاطعة، وبرهان لا يردّ، بحيث لا يقوم أحد بحجّته، ولا يجرأ على مناظرته، ومتكلّمو الشيعة تـلامذته لكـنّه أشـغلته العبادة عن الكلام، وكان وسيماً جسيماً، ذا حلم راسخ، وحكمة بالغة، وسكينة ووقار، وكان يخرج إلى الجمعة وعليه برنس أسود، وبين عينيه سـجّادة، وفـي يده الشريفة عصا، فـيقوم له النـاس سـماطين يـنظرون إليـه؛ لحُسـن هـيئته، وبهاء منظره.

وله مصنّفات منها كتاب الاستطاعة والجبر[١].

توفّي سنة ١٥٠[٢]، وفيها مات الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت(١)، ومعمّر بن راشد، وعمر بن ذرّ أحد المرجئة، وعـبدالمـلك بـن عـبد العـزيز بـن جـريج، ومحمّدبن إسحاق بن يسار صاحب المـغازي، ومقاتل بن سليمان المفسّر وكان ضعيفاً في الحديث.

---

(١) مات في الحبس، فإنّ المنصور لمّا بلغه مبايعة أبي حنيفة لمحمّد بن عبدالله بن الحسن وأنّه من جملة شيعته وأنّه يعتقد موالاة أهل البيت، حبسه حبس الأبد حتّى مات. كذا قال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل عند ذكر الجاروديّة[٣].

---

١. المصدر: ١٣٦.

٢. راجع: رجال النجاشي: ١٧٥، الرقم ٤٦٣؛ خلاصة الأقوال: ١٥٢ ـ ١٥٣، الرقم ٤٤١.

٣. الملل والنحل ١: ١٥٨.

[٢٤] **ومنهم: أبو القاسم بُرَيد بن معاوية العجلي**، حواريّ الباقرين، صلوات الله وسلامه عليهما[١]، أمره أشهر من أن يحتاج إلى بيان، وفضله أكثر من أن يحيط به قلم أو لسان، وحسبك ما سمعت في أحوال زرارة[٢] من ثناء الصادق عليه، وإليك الآن بعض ما لم نورده هناك:

فعن جميل بن درّاج قال: سمعت أبا عبدالله [الصادق]عليه السلام يقول: «أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة بن أعين»[٣]. انتهى.

وذكرهمعليه السلام فيما رواه عنه ابن سرحان فقال: «هؤلاء القوّامون بالقسط، هؤلاء القوّامون بالصدق، هؤلاء السابقون السابقون، أُولئك المقرّبون...»[٤].

إلى غير ذلك ممّا ورد فيهم رضي الله عنهم.

وبريد أحد الجماعة الذين أجمعت العصابة على تصديقهم وانقادت لهم بالعلم، واتّفقت على أنّهم أفقه الأوّلين[٥].

روى عنه جماعة من أهل الفضل وأصحاب التصانيف المعروفة عند الإماميّة كعليّ بن خالد الأسدي، وعمر بن أُذينة، وهشام بن سالم، وأبان بن عثمان، ويحيى الحلبي، وحَريز، والقاسم بن عروة، وجميل بن صالح، والحرث بن محمّد، وعليّ بن رئاب.

---

١. رجال النجاشي: ١١٢، الرقم ٢٨٧.

٢. راجع ص ٣٨ و٣٩.

٣. اختيار معرفة الرجال: ٢٣٨، ح ٤٣٢.

٤. المصدر: ٢٣٨، ح ٤٣٣.

٥. المصدر، ح ٤٣١.

وكان بريد وجيهاً عند عموم المسلمين، ذكره الدار قطني في المختلف والمؤتلف، وذكر أنّه يروي حديث خاصف النعل عن النبيّ صلى الله عليه وآله[١].

وبالجملة، هو من أفضل من حمل علوم الثقلين، ومن أوثق مَن روى عن الباقرين الصادقين عليهما السلام.

له كتاب يرويه أصحابنا مسنداً إليه، وكانت وفاته في أيّام الصادق عليه السلام. وقيل: بل في السنة التي توفّي فيها تِرْبُه زرارة بن أعين، وهي سنة ١٥٠ بعد وفاة الصادق عليه السلام بسنتين[٢].

**[٢٥] ومنهم: أبوجعفر محمّد بن مسلم بن رباح** الكوفي الطائفي الثقفي، وجه أصحابنا وعين أعيانهم، شأنه في العلم والعمل أشهر من أن يذكر، وأوصافه الحميدة أكثر من أن تُحصى وتحصر، فلا يبلغ الواصف ـ وإن أطنب ـ ولا يصف البليغُ ـ وإن أسهب ـ بعض شؤونه علماً وحلماً وفضلاً ونُبلاً ونُسكاً وزهداً وورعاً، ووقاراً وهدىً وسداداً، وإحاطة في العلوم، وجمعاً لمكارم الأخلاق، وحكمة في جميع الأُمور.

وقد عرفت[٣] أنّه أحد الأربعة الذين اختصّهم الله بمزيد الفضل، وبخع لهم[٤] الأوّلون في العلم والعمل، وحسبك أنّه سمع من الباقر عليه السلام ثلاثين ألف حديث، وسأل الصادق عليه السلام ستّة عشر ألف مسألة[٥].

---

١. المؤتلف والمختلف ١: ١٧٢، باب بُريد وبَريد و... .

٢. خلاصة الأقوال: ٨١ ـ ٨٢، الرقم ١٦٤.

٣. في ترجمة بُريد العجلي المتقدّمة.

٤. أي انقاد وأذعن له الأوّلون.

٥. اختيار معرفة الرجال: ١٦٢ ـ ١٦٥، ح ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨.

وكان عليه السلام يرجع فضلاء الشيعة إليه، حتّى قال لعبدالله بن أبي يعفور: «فما يمنعك من محمّد بن مسلم؛ فإنّه سمع من أبي عليه السلام وكان عنده وجيهاً؟»[1].

وسئل الإمام أبوحنيفة رحمه الله ـ كما في كتاب الكشّي ـ عن امرأة ماتت والولد يتحرّك في بطنها، فقال: ما عندي في هذا شيء، عليكم بمحمّد بن مسلم الثقفي[2].

وكان رجلاً ميسّراً جليلاً رئيساً في أُمور الدين والدنيا مطاعاً في قومه، ومع ذلك كلّه لمّا أمره الباقر عليه السلام بالتواضع، أخذ قوصرة من تمر مع الميزان، وجلس على باب الجامع ينادي عليه، فأتاه قومه وقالوا: فضحتنا، فقال: إنّ مولاي عليه السلام أمرني بأمرٍ فلن أُخالفه، فقالوا له: أمّا إذا أبيْتَ فاقعد في الطحّانين، ثمّ سلّموا إليه رحى، فقعد على بابه وجعل يطحن؛ ولذا كان يدعى بالطحّان.

وكأنّه رحمه الله إذ أمره الإمام بالتواضع خاف أن يكون في نفسه شَوْب من كِبْر، ففعل ما فعل من حمل القوصرة والميزان ونداله على التمر في الطريق وجلوسه مع جلالته ورئاسته على باب الرحى؛ استئصالاً لشأفة التعزّز، واستظهاراً في النزاهة والترفّع، ومجاهدة للنفس في سبيل إخلاصها لله تعالى. ولا غرو فيمن كان الباقر مربّيه، والصادق مزكّيه أن يكون فوق ذلك[3].

وكان على تهالكه في ولايتهما يرى أنّه من المقصّرين في ذلك، ولمّا شهد هو وأبوكريبة عند القاضي شريك بن عبدالله النخعي، نظر في وجهيهما مَلِيّاً، ثمّ قال: جعفريّان، فاطميّان، فبكيا فقال: ما يُبكيكما؟ فقالا: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من إخوانهم؛ لما يرون من سُخف ورعنا،

---

١ ـ ٣. اختيار معرفة الرجال: ١٦٢ ـ ١٦٥، ح ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨.

ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا أن يكونوا من شيعته، فإن تفضّل وقبلنا، فله المنّ علينا والفضل، فتبسّم شريك(١) ثمّ قال: إذا كان الرجال فلتكن بأمثالكم[1].

وشهد محمّد بن مسلم أيضاً شهادة عند ابن أبي ليلى فردّها، فأرسل إليه الصادقعليه السلام ينكر عليه ذلك، ويزكّي محمّد بن مسلم ويفضّله، فقبل ابن أبي ليلى شهادته[2].

وله نوادر وحكايات تدلّ على عِظَم أمره، وعلوّ شأوه، وسموّ مقامه، وله كتاب يسمّى كتاب الأربعمائة مسألة.

توفّي في السنة التي قضى فيها زرارة بن أعين ـ وهي سنة ١٥٠ ـ عن نحو سبعين من ولادته، شكر الله سعيه، وألحقه بالصدّيقين.

---

(١) هو أبوعبدالله شريك بن عبدالله بن الحارث النخعي قاضي الكوفة أيّام المهديّ، وكان عالماً فقيهاً، ولد في بخارى سنة ٩٥ وتوفّي يوم السبت مستهلّ ذي القعدة سنة ١٧٧، وكان من أهل السنّة والجماعة باتّفاق من أصحابنا، ويظهر ممّا ذكره ابن خلّكان[3] في أحواله أنّه شيعي.

وشهد عنده الهيثم بن عبيدالله المعروف بأبي كهمس فقال له: كيف شهادتك وأنت تنسب إلى ما تنسب؟ قال: قلت: فما هو؟ قال: الرفض. قال: فبكيت، ثمّ قلت: قد نسبتني إلى أقوام أخاف أن لا أكون منهم ـ قال: ـ فأجاز شهادتي.

ووقع مثل ذلك لابن أبي يعفور، ولفضل بن سكرة أيضاً.

---

١. اختيار معرفة الرجال: ١٦٢، ح ٢٧٤.

٢. المصدر: ١٦٣، ح ٢٧٧.

٣. وفيات الأعيان ٢: ٤٦٤، الرقم ٢٩١.

[٢٦] ومنهم: **أبوبصير الأصغر ليث بن البختري المرادي**، ويكنّى أبا محمّد أيضاً. كان عظيم المنزلة في أصحابنا، جليل القدر عند أئمّتنا ـ صلوات الله عليهم ـ مِن أوثق مَن صدع بالحقّ، وأعلمهم بأحكام الله.

وحسبك في علوّ شأنه أنّه أحد الأربعة الذين هم أُمناء الله على حلاله وحرامه[١]، وقد سمعت في أحوال أترابه[٢] الثلاثة ما يدلّك على جلالة قدره، وعظم أمره، وثَبات مقامه، وسموّ شأوه بحيث لا مزيد عليه، يروي عن الباقرين عليهما السلام. وقيل: إنّه يروي عن الكاظم أيضاً[٣]؛ ومات في أيّامه، وله كتاب نرويه بالإسناد إليه.

أخذ عنه عبدالله بن مسكان، وهو ثقة صدوق، له كتب نذكرها في ترجمته إن شاء الله، وعاصم بن حُميد الحنّاط الحنفي، وهو أيضاً ثقة، له كتاب يعرفه علماؤنا[٤]، وعبدالكريم بن صالح الخثعمي، وكان من الواقفيّة بَيْدَ أنّه موثوق[٥]، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا[٦]، ومفضّل بن صالح وكان ضعيفاً، له كتاب نرويه بالإسناد إليه[٧].

---

١. المصدر: ١٧٠، ح ٢٨٦.

٢. هم زرارة بن أعين ومحمّد بن مسلم وبريد العجلي.

٣. الفهرست للشيخ الطوسي: ٣٨٢، الرقم ٥٨٧.

٤. رجال النجاشي: ٣٠١، الرقم ٨٢١.

٥. خلاصة الأقوال: ٣٨١، الرقم ١٥٣٢.

٦. الفهرست للشيخ الطوسي: ٣١٤، الرقم ٤٨١.

٧. المصدر: ٤٧٥، الرقم ٧٦٥.

**فائدة:** أبوبصير كنية لأربعة:

أحدهم: صاحب الترجمة. وقيل: إنّ اللفظ ينصرف إليه عند الإطلاق[١].

الثاني: يوسف بن الحارث، روى عن الباقر عليه السلام، وكان زيديّاً بتريّاً[٢].

الثالث: عبدالله بن محمّد الأسدي، وكان من ثقات أصحاب الباقر[٣].

الرابع: يحيى بن القاسم أو أبي القاسم الأسدي الحذّاء، وثّقه النجاشي، وله كتاب يعرف بكتاب يوم وليلة، روى عن الباقرين والكاظم عليهم السلام، ومات سنة ١٥٠[٤]. وقيل: إنّه من الواقفيّة[٥]، وفيه تأمّل؛ لأنّه مات قبل ظهورهم[٦]، والله أعلم بحالهم.

**تنبيه:** ربّما ورد عن المعصوم ما يشبه التضجّر من أبي بصير ومحمّد بن مسلم وزرارة وبريد وهشام وأضرابهم من أعلام الدين وسادات المسلمين، وإنّما أراد بذلك دفع شرّ الأعداء عنهم كما صرّح به الصادق عليه السلام لزرارة[٧]، فراجع أحواله تتّضح لك الحقيقة.

## تكميل: [تزييف ما نسب إلى أصحاب الأئمّة]

نقل الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٨] عن زرارة بن أعين وهشام بن الحكم

١. تعليقة الوحيد البهبهاني ضمن منهج المقال للأسترآبادي: ٣٨٤.

٢. مجمع الرجال ٦: ٢٧٩.

٣. رجال النجاشي: ٢٢٦، الرقم ٥٩٥.

٤. المصدر: ٤٤١، الرقم ١١٨٧.

٥. خلاصة الأقوال: ٤١، الرقم ١٦٨٧، وقد نَسبَ العلاّمة القول بالوقف إلى الشيخ الطوسي في رجاله.

٦. الواقفيّة ظهروا بعد الكاظم ووقفوا عليه، يعني لم يقولوا بإمامة الرضا، وقد انقرضوا. راجع منتهى المقال ٧: ٣١، الرقم ٣٢٤٧ وما بعدها.

٧. مجمع الرجال ٣: ٣٠ ـ ٣١.

٨. الملل والنحل ١: ١٨٤ ـ ١٨٧.

ومؤمن الطاق ومحمّد بن النعمان وهشام بن سالم أُموراً ترتعد منها الفرائص، وتقشعرّ الجلود، وليس ذلك قادحاً في سموّ مقامهم، وعظيم خطرهم عندالله ورسوله والمؤمنين، كما أنّ حَسَدة الأنبياء أو مصنّفي الكتب في تزوير العيوب وإلحاق التهجين لشرائعهم ما زادوا أنبياء الله إلّا رفعة، ولا أثّروا في شرائعهم إلّا انتشاراً عند أهل الحقّ، وقبولاً في نفوس المؤمنين، وبهجة عند ذوي الألباب، ونوراً لدى أُولي العقول.

وكيف يختصّ الشهرستاني وأصحابه بالاطّلاع على أقوال هؤلاء الأعلام دوننا، مع أنّهم سلفنا وفرطنا؟ قد بحثنا عن رأيهم وأخذنا من الدين بهديهم، فنحن أحرى الناس بمذاهبهم، وصحاحنا مشحونة من حديثهم، وأسفارنا مملوءة بأقوالهم في الكلام والتفسير والفقه وأُصوله، وفي أيدينا جملة أحوالهم، وتفاصيل أخبارهم، فلا يجوز مع ذلك كلّه أن يخفى علينا من أحوالهم ما ظهر لغيرنا، مع بعده عنهم في المشرب، ومخالفته لهم في المذهب، وكونهم ليسوا محلّاً لابتلائه في شيء من أُمور الدنيا والدين.

ولو رأيناهم يذهبون إلى ما عزاه الشهرستاني إليهم لبرئنا منهم، كما هي طريقتنا فيمن نراه معوجّاً عن الحقّ، أو منتهجاً نهج الغُلاة، ولقد أعرضنا عن بعض أولاد أئمّتنا ـ مع شدّة إخلاصنا لهذا البيت الطاهر ـ وكفّرنا جماعة ممّن صحبهم، وفسّقنا آخرين، وضعّفنا قوماً، وأمسكنا عن قوم آخرين كما يشهد به الخبير.

فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم، لكن أعداء أهل البيت عمدوا إلى أكابر أصحابهم فرموهم بهذه الطامّات، كي يسقطوهم من أعين الناس؛ حسداً منهم وبغياً، ثمّ جاء الشهرستاني فرأى أثراً فاتّبعه، ونِعْمَ الحكم الله يوم فصل الخطأ.

وإن تعجب فعجبٌ ما نسبه إلى الإماميّة من الأُمور المختلفة، وقسّم الاثـني عشريّة أحد عشر قسماً، والله يعلم أنّهم لم يفترقوا في أُصول الدين أو شيءٍ من العقائد، وإنّما أراد بتكثير فرقهم إطفاء نورهم، وليته أسند شيئاً من أقاويل تلك الفرق إلى كتاب يُتلى، أو شخصٍ خلقه الله تعالى، أو أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها؛ فإنّه قال: وليس لهم ألقاب مشهورة، ولكنّا نذكر أقاويلهم[١].

بالله عليك هل سمعت بفِرَق متخاصمة، ونِحَلٍ آراؤها متعاركة، لا يعرف لها في الأحياء رجل ولا امرأة، ولا يوجد لها في الخارج مسمّى ولا اسم؟

دَع هذا كلّه، وعرّج على ما ذكره الوزير الخطير والمؤرّخ الشهير جودت باشا ـ كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء الأوّل من ترجمة كتابه المطبوع[٢] في بـيروت سنة ١٣٠٨ ـ حيث قال:

إنّ أساس اعتقاد المتأوّلة ـ وهم في اصطلاح أهل هذه الديار عبارة عن الإماميّة الإثني عشريّة ـ أنّ الصلاة عهد مألوف، وهي عبارة عن الصلة ورابطة المـحبّة بين حضرة عليّ عليه السلام وتابعيه ومـحبّيه... ـ إلى أن قـال: ـ ويـقولون: إنّ المـراد بالفحشاء والمنكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ﴾[٣] رجلان هما [رجل][٤] المسلمين ـ ذكر جودت في تاريخه اسميهما الشريفين وقد ظلمهما وظلم المتأوّلة بذلك ـ وأنّ الزكاة عبارة عن التولّي والتبرّي... .

إلى آخر ما لفّقه.

---

١. الملل والنحل ١: ١٧٠.

٢. اسمه: تاريخ جودت، ترجمه عن اللغة التركية عبدالقادر أفـندي الدنـا. لمـزيد الاطّـلاع راجـع مـعجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة ١: ٧٢٠ ـ ٧٢١.

٣. العنكبوت (٢٩): ٤٥.

٤. كذا في الأصل، ولعلّ الصحيح: «من» بدل «رجل».

وهذه الطامّة لم يسبقه إلى اختلاقها أحد، مع أنّ إجماع المتأوّلة ـ الإماميّة ـ على أنّ من ترك أربع فرائض، أو أفطر أربعة أيّام في رمضان بلا عذر، يقام عليه الحدّ بالإعدام، ولا يؤخّر إلى المرّة الخامسة إجماعاً، وفي إعدامه بالمرّة الثالثة قول مشهور عندهم.

هذا في غير المنكِر، أمّا المنكر لوجوب الصلاة والزكاة أو الحجّ أو الصوم أو غيرها من الضروريّات أو الشاكّ في شيء من ذلك، فإنّه يقتل بمجرّد الإنكار.

ومن تجوّل في بلاد الإماميّة ـ كجبال عاملة والعراق وفارس والبحرين وغيرها ـ يرى مواظبتهم على الصلاة كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، أحراراً ومماليك، سفراً وحضراً، بحيث لا يتسامح فيها وفي الصوم وغيرهما من الواجبات إلّا من سرى إليه الداء من معاشرة غيرهم.

ولهم في الزكاة احتياط امتازوا به، وذلك أنّهم لا يكتفون بما يأخذه السلطان من زكواتهم حتّى يخرجوها مرّة ثانية، ويخرجون الخمس من كلّ ما يفضل عن مؤونة السنة، وامتازوا أيضاً بالاستنابة عن الميّت في الصلاة والصوم والحجّ، وأوجبوا على وليّه قضاء ما فاته من ذلك، ولو علموا أنّ في ذمّته زكاة، أخرجوها من تركته كسائر الديون.

وهذه كتبهم ـ قديمها وحديثها ـ تصرّح بجميع ما ذكرناه، وقد طبع منها في عدّة أماكن من بلاد فارس والهند اُلوف، فليطلبها مَن أرادها، ومَن اطّلع عليها رأى الإماميّة أقرب إلى الاحتياط في أغلب المسائل الفقهيّة.

والعجب من هذا الوزير الخطير كيف رضي لنفسه هذا الفحش الكبير، وهذا عصر النور، عصر التأمّل بحقائق الاُمور؟ فمَن أراد النقل عن اُمّة، فإيّاه والاعتماد إلّا على كتبها، كما هو شأننا حيث ننقل عن غيرنا.

والآن نرجع إلى موضوع الكتاب، فنقول:

[٢٧] ومنهم: **أبودُلَف القاسم بن عيسى** بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية العجلي، من آل بريد بن معاوية المتقدّم ذكره.[١]

كان أبودلف من رجال الشيعة مخلصاً لأهل البيت، متمسّكاً بولايتهم، عارفاً بشأنهم، مستبصراً بأمرهم[٢]. جواداً كريماً بَطَلاً شجاعاً سَريّاً رامياً مقدّماً ممدوحاً خطيباً بليغاً أديباً شاعراً، أخذ عنه الأُدباء والفضلاء، وكان ذا وقائع مشهورة، وأياد مشكورة.

وله من الكتب: كتاب مودّة القربى، وكتاب ميراث النبيّ ﷺ، وكتاب متعة النساء، وكتاب النزه، وكتاب سياسة الملوك، وكتاب السلاح، وكتاب البازات والصيد[٣]. وكان من قوّاد المأمون ثمّ المعتصم؛ ولذا لا نوثّقه، بَيْدَ أنّه من المتهالكين بمودّة أهل البيت والمتفانين بالإخلاص لهم.

وفي الوفيات:

أنّ أبا دلف لمّا مرض مرضَ موته، حُجب الناس عن الدخول عليه؛ لثقل مرضه، فاتّفق أنّه أفاق في بعض الأيّام، فقال لحاجبه: مَن بالباب من المحاويج؟ فقال: عشرة من الأشراف وقد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدّة أيّام لم يجدوا طريقاً؛ فقعد على فراشه واستدعاهم، فلمّا دخلوا رحّب بهم، وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك. فأمر خادمه بإحضار بعض الصناديق، وأخرج منه عشرين كيساً، في

١. تقدّم في ص ٤٦ ـ ٤٧، الرقم ٢٤.

٢. راجع وفيات الأعيان ٤: ٧٣، الرقم ٥٣٨.

٣. انظر الفهرست لابن نديم: ١٤٨.

كلّ كيس ألف دينار، ودفع لكلّ واحد منهم كيسين، ثمّ أعطى كلّ واحد منهم مؤونة طريقه، وقال لهم: لا تمسّوا الأكياس حتّى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم واصرفوا هذا في مصالح الطريق. ثمّ قال: ليكتب لي كلّ واحد منكم خطّه: أنّه فلان بن فلان حتّى ينتهي إلى عليّ بن أبي طالب، ويذكر جدّته فاطمة بنت رسول الله، ثمّ ليكتب: يا رسول الله إنّي وجدت إضاقة وسوء حال في بلدي، وقصدت أبا دلف العجلي، فأعطاني ألفي دينار كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاءً لشفاعتك، فكتب كلّ واحد منهم ذلك، وتسلّم الأوراق وأوصى مَن يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه، حتّى يلقى بها رسول الله ويعرضها عليه[1]. انتهى.

ونقل هذه القضيّة غير[2] ابن خلّكان أيضاً، وهي أدلُّ شيء يدلّ على حسن خاتمته، وكان من أبعد الناس صيتاً في الجود والنوال، وله نوادر بيّضت صحف التاريخ.

وقد مدحه فحول الشعراء كأبي تمّام وعليّ بن جبلة، وهما شيعيان، وكذا بكر بن النطّاح، وفيه يقول:

يا طالباً للكيمياء وعلمه — مَدْحُ ابن عيسى الكيمياءُ الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلّا دِرْهم — ومدحتَهُ لأتاكَ ذاك الدرهمُ

فأعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم، ثمّ دخل عليه بعد أيّام يسيرة وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأبلّة، فأنشده :

بِكَ ابتعتُ في نهر الأَبلّة قريةً — عليها قُصَيْرٌ بالرُخام مَشِيدُ
إلى جنبها أُختٌ لها يعرضونها — وعندك مالٌ للهِبات عَتيدُ

---

١. وفيات الأعيان ٤: ٧٧ ـ ٧٨، الرقم ٥٣٨.

٢. لم نعثر عليه.

فقال: كم ثمن هذه الأُخت؟ قال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، ثمّ قال له: تعلم أنّ نهر الأبلّة عظيم، وفيه قرى كثيرة، وكلّ أُخت إلى جنبها أُخرى، وإن فتحت هذا الباب، اتّسع عليّ الخرق، فاقنع بهذه ونصطلح [إلى قرطاس][1] عليها، فدعا له وانصرف.

وقال محمّد بن هاشم يخاطب أبا دلف:

وتيقّن الشعراء أنّ رجاءهم — في مأمن بك من وقوع الياسِ
ما صحّ علم الكيمياء لغيرهم — فيمن عرفنا من جميع الناسِ
تعطيهم الأموال في بِدَرٍ إذا — حملوا الكلام إليك في قرطاسِ[2]

وكان لبني هاشم مولى اسمه أحمد بن صالح، وكان أديباً مملقاً، فقالت له زوجته: إنّ الأدب قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك وقوسك ورمحك، وادخل مع الناس في غزواتهم، عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً، فأنشأ:

مالي ومالَكِ قد كلَّفتني شَطَطَاً — حملَ السلاح وقولَ الدارعين قِفِ
أَمِنْ رجال المنايا خِلْتِني رجلاً — أُمسي وأُصبحُ مشتاقاً إلى التَلَفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهُها — فكيف أمشي إليها بارز الكتفِ
ظننتِ أنّ نزال القرن من خلقي — أو أنّ قلبيَ في جَنْبَي أَبي دُلَفِ

فبلغ خبره أبا دلف فوجّه إليه ألف دينار.

وكان لكثرة نواله قد ركبته الديون حتّى اشتهر عنه ذاك، فدخل عليه بعض الشعراء من شيعة الكوفة فأنشد:

أيا ربَّ المنائح والعطايا — ويا طَلْقَ المُحَيّا واليدينِ
لقد خُبِّرْتُ أنّ عليك ديناً — فزد في رقم دَيْنك واقضِ دَيني

---

١. لم ترد هذه العبارة في وفيات الأعيان ٤: ٧٤. ولعلّها من زيادات النسّاخ.
٢. وفيات الأعيان ٤:٧٤ ـ ٧٥، الرقم ٥٣٨.

فوصله وقضى دينه.

وأنشد شاعر آخر من شيعة الكوفة أيضاً:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها ... على يديك تعلّم يا أبا دُلفِ
ما خطّ لا كاتباه في صحيفته ... كما تخطّط لا في سائر الصحف
باري الرياحَ فأعطى وهي جارية ... حتّى إذا وَقَفت أعطى ولم يَقِفِ

فأحسن جائزته[١].

ومدحه أبوالحسن عليّ بن جبلة بن عبدالله الأنباري، ويلقّب بالعكّوك من أبناء الشيعة الخراسانيّة من أهل بغداد، وولد بالحربيّة من الجانب الغربي سنة ١٦٠، وكان من فحول الشعراء المبرّزين، ومن شعره في مدح أبي دلف قوله من قصيدة طويلة عددها ٥٨ بيتاً[٢]، وهي من غرر الشعر وقد طبقت أرجاء البسيطة:

إنّما الدنيا أبودُلَفٍ ... بين مغزاه[٣] ومحتضرِهْ
فإذا ولّى أبودُلَفٍ ... ولّت الدنيا على أثرِهْ
يا دواءَ الأرض إن فسدت ... ومُديل اليُسر من عُسُرِهْ
كلّ مَن في الأرض من عربٍ ... بين باديه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منك مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتَخَرِهْ

ولمّا وقف المأمون عليها، امتلأ حسداً لأبي دلف، واستشاط غضباً من عليّ بن جبلة، فاستلّ لسانه من قفاه، وذلك سنة ٢١٣، وهي السنة التي مات فيها

١. انظر وفيات الأعيان ٤: ٧٥ ـ ٧٦، الرقم ٥٣٨.

٢. للمزيد راجع سير أعلام النبلاء ١٠: ١٩٢ ـ ١٩٤، الرقم ٤١.

٣. في تاريخ بغداد ١٢: ٤٢١، الرقم ٤٨٦٩ ورد عجز البيت هكذا: «عند معدله ومختصره». وفي العقد الفريد لابن عبدربّه ١: ٣٠٧: «بين مبداه ومحتضره».

عبدالله بن موسى العبسي الفقيه الذي قال فيه ابن الأثير ـ عند ذكره في حوادث تلك السنة من الجزء السادس من الكامل ـ: وكان شيعيّاً، وهو من مشايخ البخاري في صحيحه[١]. انتهى.

وقد طارت مدائح ابن جبلة لأبي دلف حتّى حفظتها العقائل، وقالت امرأة لأُخرى: هذا أبودلف. قالت: ومَن أبودلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر: إنّما الدنيا أبودلف. وأنشدت الأبيات، فبكى أبودلف أسفاً على ابن جبلة.

ولم يبق شريف حتّى حسد أبا دلف وأبغض ابن جبلة، ولمّا قصد ابن جبلة عليَّ بن طاهر إلى خراسان وقد امتدحه قال: ألست القائل: إنّما الدنيا أبودلف؟ قال: بلى. قال: فما الذي جاء بك إلينا وعدل بك عن الدنيا؟ ارجع من حيث جئت، فارتحل إلى أبي دلف، وأعلمه الخبر، فأعطاه حتّى أرضاه. وله فيه مدائح كثيرة، منها قوله:

أبودلف إن تلقه تَلْقَ ماجداً ... جواداً كريماً راجحَ الحلم سيّدا

أبودلف الخيرات أنداهُم يَداً ... وأبسطُ معروفاً وأكرمُ مَحتدا

وعن عليّ بن جبلة قال:

زرتُ أبا دلف، فكنت لا أدخل إليه إلّا تلقّاني ببرّه وأفرط، فلمّا أكثر، قعدتُ عنه حياءً منه، فبعث إليّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لِمَ هجرتنا؟ لعلّك استبطأت بعض ما كان منّا، فإن كان الأمر كذلك، فإنّي زائد فيما كنت أفعله حتّى ترضى، فدعوت من كتب لي هذه الأبيات، وهي:

هجرْتُك لم أهجرْكَ من كفرِ نعمةٍ ... وهل يُرتجى نيلُ الزيادة بالكفرِ

ولكنّني لمّا أتيتُكَ زائراً ... فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ

---

١. الكامل في التاريخ ٦: ٤١١، حوادث سنة ٢١٣.

فــهـا أنــا لا آتــيكَ إلّا مُسـلّماً أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهرِ
فــإن زدْتَــني بـرّاً تـزايـدتُ جـفوةً ولم تَلْقَني طـولَ الحـياة إلى الحشـرِ

وقال: فلمّا أوصلها معقل إلى أبي دلف قال: لله درّه ما أشعره وما أرقّ معانيه. ثمّ دعا بدواة فكتب إليّ:

أَلا رُبّ ضـيف طـارق قـد بسطته وآنسـته قـبل الضـيافة بـالبُشرِ
أتــاني يُـرَجّيني فـما حـالَ دونـه ودون القِرى من نائلي عنده ستري
وجــدتُ له فــضلاً عـليّ بـقصده إليّ وبــرّاً يســتحقّ بــه شكـري
فــلم أَعُــد إن أدنــيتُه وابـتدأته بِــبِشْرٍ وإكــرامٍ وبــرٍّ عــلى بـرِّ
وزوّدتــــه مــــالاً قــليلاً بــقاؤه وزوّدني مدحاً يـدوم عـلى الدهـرِ

ثمّ وجّه هذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك، حيث قلت فيه: إنّما الدنيا أبودلف[١]. انتهى.

ولأبي دلف شعر كثير يدلّ على مكارم أخلاقه، فمنه قوله:

أَجــودُ بـنفسي دون قـومي دافـعاً لما نابهم قِـدماً وأغشـى الدواهـيا
وأقـتحمُ الأمـرَ المـخوفَ اقـتحامُهُ لأُدركَ مَـجْداً أو أُعــاودَ ثــاويا[٢]

وكان فارساً شجاعاً، ذكر المؤرّخون أنّه لحق أكراداً قطعوا السابلة، فطعن فارساً إلى أن وصلت إلى فارس آخر فنفذ فيه السنان فقتلهما، وفي ذلك يقول بكر بن النطّاح:

قالوا ويـنظم فـارسَيْنِ بـطعنةٍ يـومَ الهـياج ولا تـراه كَـلِيلا
لا تعجبوا فلو أنّ طول قـناته مِيلٌ إذاً نَظمَ الفوارسَ مـيلا[٣]

---

١. الأغاني ٢٠: ٢٤ ـ ٢٥، أخبار عليّ بن جبلة.
٢. انظر الكامل في التاريخ ٦: ٤١٤، حوادث سنة ٢١٤.
٣. وفيات الأعيان ٤: ٧٥، الرقم ٥٣٨.

ومدائحه كثيرة، ومناقبه شهيرة، وكان مواظباً على صلاة الليل، وحجَّ بيت الله مرّاتٍ عديدةً، وكان كثيراً ما يختلف إلى قبر الحسينعليه السلام، لا يسع مختصرنا بعض فضائله، وفيما ذكرناه كفاية.

وكانت وفاته سنة ٢٢٥ ببغداد في أيّام أبي الحسن الهادي، وكان معاصراً له وللرضا والجوادعليهما السلام، وفي تلك السنة مات أبوالحسن عليّ بن محمّد المدائني المؤرّخ المشهور عن ثلاث وتسعين سنة، وفيها مات أبوعمر صالح بن إسحاق الجرمي النحوي[١].

[٢٨] ومنهم: **أبومحمّد هشام بن الحكم**. كان من أحذق أهل زمانه في علم الكلام والفلسفة الإلهيّة، إماماً في الفقه والحديث، مقدّماً في التفسير واللغة وجميع العلوم العربيّة، وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر، روى عن الصادق والكاظمعليهما السلام، وكان من أوثق أصحابهما وأورعهم، وله عند أهل البيت عليهم السلام جاه لا يحيط به وصف، ومكانةٌ لا يسمو إليها فكر، وقد فاز منهم بثناء يبقى مدى الدهر ذِكرُه، ويسمو به في الملأ الأعلى قدره.

وأنا لا أستحضر عبارة تنهض ببيان علوّ محلّه في العلم، وسموّ شأنه في العمل، وتفرّدِه بجميع غايات الفضل، وجمعِه أشتات كلّ فخر.

وما عسيت أن أقول وهمّة القول تنخفض عن بلوغ أدنى معانيه، أم كيف أصف بعض شؤونه وجهد الوصف يخسأ عن فضائله ومعاليه!

---

١. لمزيد الاطّلاع حول ترجمة أبي دُلف راجع تاريخ بغداد ١٢: ٤١٦، الرقم ٦٨٦٩؛ الكامل في التاريخ ٦: ٤١٣، حوادث سنة ٢١٤.

ولد بالكوفة ونشأ بواسط، وكان يختلف إلى بغداد للتجارة، ثمّ انتقل إليها في آخر عمره، وكان قبل اجتماعه بالصادق عليه السلام يرى في الدين رأي الجهميّة[1] بحيث يُعدّ من علمائهم، ثمّ لقيه عليه السلام فكانت بينهما مسائل ألزمته بترك ذلك المذهب، ودانَ بالحقّ واستبصر بهدى آل محمّد صلى الله عليه وآله، ولحق بالصادق ففاق جميع أصحابه[2].

وله كتب عديدة، منها: كتاب التوحيد، وكتاب الإمامة، وكتاب علل التحريم، وكتاب الفرائض، وكتاب الدلالة على حدوث الأجسام، وكتاب الردّ على الزنادقة، وكتاب الردّ على أصحاب الاثنين، وكتاب الردّ على الدهريّة وأصحاب الطبائع، وكتاب الوصيّة والردّ على منكريها، وكتاب اختلاف الناس في الإمامة، وكتاب المجالس في الإمامة، وكتاب الشيخ والغلام في التوحيد، وكتاب التدبير في الإمامة ـ وهو من جمْع عليّ بن منصور من كلامه ـ وكتاب الميزان، وكتاب في عدم جواز إمامة المفضول، وكتاب الميدان، وكتاب في القدر والجبر، وكتاب الحَكَمين والردّ على الخوارج، وكتاب الردّ على طلحة والزبير، وكتاب القدر، وكتاب الألفاظ، وكتاب الاستطاعة، وكتاب المعرفة، وكتاب الثمانية أبواب، وكتاب نقض مسائل اختلف فيها مع مؤمن الطاق، وكتاب ردّ مسائل كانت بينه وبين هشام بن سالم الجواليقي، وكتاب الأخبار، وكتاب الردّ على المعتزلة، وكتاب الردّ على أرسطاليس أثبت فيه التوحيد[3].

أنفق عمره في نصرة أهل البيت منذ عرفهم، وكان من أعرف أهل العلم بآداب

---

١. الجهميّة أصحاب «جهم بن صفوان» وهو من الجبريّة الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ وقتل بمرو في آخر ملك بني أُميّة، وكان السلف كلّهم من أشدّ الرادّين عليه، وله بِدع ومذاهب رديئة. (العرفان)

٢. للمزيد راجع اختيار معرفة الرجال: ٢٥٥ ـ ٢٥٧، ح ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

٣. رجال النجاشي: ٤٣٣، الرقم ١١٦٤.

المناظرة، ذا برهان ساطع لا لبس فيه، وحجّةٍ قاطعة لا ملتمس لردّها، يقطع مَن يباريه بأيسر سعيه، وكان سريع الانتقال، حاضر الجواب، بليغاً بأساليب الكلام، مستحضراً لنكات المحاورات، شديداً على أهل الخلاف، بحيث لم يُبْقِ لهم قولاً إلّا زيّفه، ولا حجّةً إلّا دحضها؛ ولذا تقوّلوا عليه الأقاويل، ورموه بالأباطيل ﴿ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره﴾[١].

وله مناظرات تبهر العقول مع كلٍّ من أهل السنّة والنُصّاب والمعتزلة والخوارج والغلاة وغيرهم لا يسعها مختصرنا، وهو صاحب القضيّة مع عمرو بن عبيد، وهي مشهورة ذكرها الكشّي في فهرسته[٢] وعلم الهدى في غرره[٣]، وله حكايات مع أهل البيت عليهم السلام، ونوادر كثيرة مع غيرهم تدلّ على أنّ عِظَم خطره، وكِبَر شأنه، وغزارة علمه، وصالح عمله، وثَبات جَنانه، وبلاغة بيانه، ونيّر ذُكائه، وبالغ حكمته ممّا لا يقدَّر بكم، ولا يوصف بكيف.

وقد عرفت[٤] أنّ ما رمي به من الطامّات إنّما هو ظلم واختلاق ناشئ عن الحسد له، والبغض لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ونحن أعرف الناس بمذهبه، وهذه أسفارنا مشحونة من علومه، وهو من أوثق سلفنا، وأجلّ فرطنا، له في نصرة مذهبنا ما سمعت من المصنّفات الفائقة المشتملة على جانب من علوم أهل البيت، فلا يجوز مع ذلك كلّه أن يخفى علينا من أقواله ما ظهر لغيرنا.

على أنّ ما نقله الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من عبارة الرجل لا يدلّ

---

١. التوبة (٩): ٣٢.

٢. اختيار معرفة الرجال: ٢٧١، ح ٤٩٠ ـ ٤٩٤.

٣. أمالي المرتضى ١: ١٧٦ ـ ١٧٧، المجلس ١٢.

٤. راجع ذيل ترجمة أبي بصير ص ٥١ ـ ٥٢.

على قوله بالتجسيم، وإليك ما ذكره الشهرستاني بالحرف قال:

وهشام بن الحكم صاحب غور في الأُصول، لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه؛ وذلك أنّه ألزم العلّاف فقال: إنّك تقول: الباري عالم بعلم وعلمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالِمين، فلِمَ لا تقول: هو جسم لا كالأجسام؟[١]

ولا يخفى أنّ هذا الكلام إن صحّ عنه، فإنّما هو بصدد المعارضة مع العلّاف، وليس كلّ من عارض بشيء يكون معتقداً له؛ إذ يجوز أن يكون قصده الاختبار وإدراك مبلغ العلّاف من العلم، كما أشار الشهرستاني بقوله: فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه.[٢]

على أنّه لو فرض ثبوت ما يدلّ على التجسيم عن هشام، فإنّما يمكن ذلك عليه قبل استبصاره، إذ عرفت أنّه كان من الجهميّة ثمّ استبصر، فكان من أعلام الفرقة الجعفريّة، ولم يعثر أحد منّا على شيء يخالف مذهب أهل البيت أُصولاً وفروعاً، مع أنّا قد استفرغنا الوسع والطاقة في البحث عن ذلك.

وأمّا ما نقله الشهرستاني[٣] عنه من القول بأُلوهيّة عليّ عليه السلام، فشيء يُضحك الثكلى، وهذا كلام هشام في التوحيد ينادي بتقديس الله وتنزيهه وعلوّه عمّا يقول الظالمون، وذاك كلامه في الإمامة والوصيّة يعلن بأنّ عليّاً من عباد الله المظلومين المقهورين، العاجزين عن حفظ حقوقهم، المضطرّين إلى أن يضرعوا لخصومهم، الخائفين المترقّبين الذين لا ناصر لهم ولا معين.

وكيف يشهد الشهرستاني لهشام بأنّه صاحب غور في الأُصول، وأنّه لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، وأنّه دون ما أظهره للعلّاف من قوله له: «فلِم

---

١ ـ ٣. الملل والنحل ١: ١٨٥.

لا تقول: إنّ الله جسم لا كالأجسام» ثمّ ينسب إليه القول بأنّ عليّاً هو الله تعالى، أليس هذا تناقضاً واضحاً؟ وهل يليق بمثل هشام ـ على غزارة فضله ـ أن ينسب إليه هذه الخرافة؟ أم هل يقول بألوهيّة عليّ أو غيره من المخلوقات إلّا مَن لا حظّ له في الفهم، ولا نصيب له من العقل؟ لكنّ القوم أبوا إلّا الإرجاف؛ حسداً وظلماً لأهل البيت ومَن يرى رأيهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

توفّي هشام سنة ١٩٩[١]. وقيل: سنة ١٧٩ بالكوفة[٢] متستّراً؛ لخوفه من أعدائه؛ ولتستّره قصّة مشهورة[٣].

[٢٩] ومنهم: **أبومحمّد حمّاد بن عيسى الجهني الكوفي**، سكن البصرة، كان ثقة صدوقاً ورعاً محتاطاً، قال:

> سمعت من أبي عبدالله ـ الصادق عليه السلام ـ سبعين حديثاً فلم أزل أُدخل على نفسي الشكّ حتّى اقتصرت على هذه العشرين[٤].

له كتاب الصلاة، وكتاب العِبَر والمواعظ والتنبيهات على منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان، وفي هذا الكتاب فصول من الكلام في التوحيد.

وكان من أزهد الناس في الدنيا وأشدّهم اجتهاداً في العبادة، عاصر الصادق والكاظم والرضا والجواد عليهم السلام فكان من أعرف الناس بهم، وأشدّهم تمسّكاً بولايتهم.

---

١. رجال النجاشي: ٤٣٣، الرقم ١١٦٤.

٢. اختيار معرفة الرجال: ٢٥٦، ح ٤٧٥، وراجع خلاصة الأقوال: ٢٨٩.

٣. راجع: اختيار معرفة الرجال: ٢٥٦، ح ٤٧٥؛ حاوي الأقوال ٢: ٣٢٣.

٤. اختيار معرفة الرجال: ٣١٦ ـ ٣١٧، ح ٥٧١ ـ ٥٧٢.

دخل على الكاظمعليه السلام فقال: جُعِلتُ فداك ادع الله لي أن يرزقني داراً وزوجة وولداً وخادماً والحجَّ في كلّ سنة، فقال الإمام: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وارزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحجّ خمسين سنة». قال: فلمّا اشترط خمسين، علمت أنّي لا أحجّ أكثر منها. قال: وحججت ثمانياً وأربعين سنة، وهذه داري قد رُزِقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني وخادمي قد رُزقتُ كلّ ذلك[١].

ثمّ حجّ بعد هذا الكلام حجّتين تمام الخمسين، وخرج بعد الخمسين حاجّاً فزامل أبا العبّاس النوفلي القصير، فلمّا صار في موضع الإحرام، دخل يغتسل فجاءه سيل وادي قناة فأغرقه سنة ٢٠٩[٢]، وقيل: سنة ٢٠٨[٣]، وله نيّف وتسعون سنة صرفها في العلم والعمل الصالح رحمه الله.

[٣٠] **ومنهم: حمّاد بن عثمان** بن عمر بن خالد الكوفي الفَزاري مولاهم، كان يسكن عَرْزم فنسب إليها، كان هو وأخوه عبدالله بن عثمان من ثقات أصحابنا، رويا عن الصادقعليه السلام، وروى حمّاد عن الرضا سلام الله عليه، ومات بالكوفة سنة ١٩٠، وروى عنه جماعة منهم أبوجعفر محمّد بن الوليد بن خالد الخزّاز البَجَلي[٤].

ولحمّاد كتاب يرويه النجاشي مسنداً إليه[٥] رحمة الله ورضوانه عليه.

---

١. اختيار معرفة الرجال: ٣١٦ ـ ٣١٧، ح ٥٧١ ـ ٥٧٢.

٢. المصدر.

٣. حكاه النجاشي في رجاله: ١٤٣، الرقم ٣٧٠.

٤. رجال النجاشي: ١٤٣، الرقم ٣٧١.

٥. المصدر.

[٣١] **ومنهم: أبوعبدالله حجر بن زائدة الحضرمي**، روى عن الباقرين عليهما السلام ومات في أيّام الصادق عليه السلام، قال النجاشي عند ذكره:

ثقة، صحيح المذهب، صالح، من هذه الطائفة، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا [١].

انتهى.

[٣٢] **ومنهم: أبومحمّد حذيفة بن منصور** بن كثير بن سلمة بن عبدالرحمن الخزاعي، كان من ثقات أصحابنا وعدول محدّثينا، روى عن الباقرين والكاظم عليهم السلام، له كتاب ذكره النجاشي في فهرسته [٢]، وله ولدان: الحسن ومحمّد، وهما على هَدْيه ورأيه، وهما من حملة الحديث أيضاً رحمهم الله جميعاً.

[٣٣] **ومنهم: أبوعليّ دعبل بن عليّ** بن رُزَين بن سليمان بن تميم الخزاعي الشاعر المشهور، وقيل: اسمه الحسن، وقيل: محمّد [٣]، ودعبل لقب لُقّب به، وهو شاعر مطبوع [٤]، مدّاح لأهل البيت، نائحة عليهم، هجّاء لأعدائهم، وحاله في الإيمان بالله والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه مشهورة، حتّى بغضه المخالفون وقالوا فيه: كان بذيّ اللسان مولَعاً بالهجو والحطّ من أقدار الناس، مع أنّه ما هجا إلّا المستبدّين بحقوق غيرهم المتأمّرين على الناس بالسلطة الجائرة.

ولولا أنّ دينه المتين وإباء ما بين جنبيه من نفسه الزكيّة الحرّة يمنعانه من

---

١. المصدر: ١٤٨، الرقم ٣٨٤.

٢. المصدر: ١٤٧، الرقم ٣٨٣.

٣. حكاها ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢: ٢٦٦، الرقم ٢٢٧.

٤. المطبوع هو الذي يأتي بالشعر من غير تكلّف.

التزلّف إلى المنافقين الظالمين، لكانت له الحظوة والمنزلة والكرامة عندهم، لكنّه أبى إلّا العمل بقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوماً يؤمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوادّونَ مَن حادّ اللهَ ورَسُولَه﴾[1]، فهجا أعداء الله كما مدح أولياءه، وقاسى أهوال الرعب والخطر، وتكتّم هارباً بدمه، ولم يثنه ذلك عمّا هو فيه من تعظيم أولياء الله وتنقيص أعدائه، وكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على مَن يصلبني عليها[2].

ومن جملة ما قاله في أهل البيت وأعدائهم:

وليس حيٌّ من الأحياء نعلمه ... من ذي يمانٍ ولا بَكر ولا مُضَرِ
إلّا وهُم شركاء في دمائهم ... كما تشارك أيسار[3] على جزرِ
قَتْل وأَسْر وتحريق ومنْهَبَة ... فَعَلَ الغزاةُ بأرض الروم والخَزَرِ
أربع بطوس على قبر الزكيّ إذا ... ما كنت تَربَع من دين على وَطَرِ
قبران في طوس خيرُ الناس كلِّهم ... وقبرُ شرِّهم هذا من العِبَرِ
ما ينفع الرجسَ من قُرب الزكيّ ولا ... على الزكيّ بقُرب الرجس من ضررِ
هيهات كلّ امرئ رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت أو فَذَرِ[4]

أراد بالزكيّ أبا الحسن الرضا، وهو الذي عناه بقوله: «خير الناس كلّهم» وأراد بالآخر هارون الرشيد، وقبرهما متجاوران في طوس، وإنّما استباح ما قاله في هارون بما ارتكبه من الظلم والاستبداذ وقتل النفوس المحترمة، حتّى حبس

---

١. المجادلة (٥٨): ٢٢.

٢. الأغاني ٢٠: ١٢١، أخبار دعبل بن عليّ ونسبه.

٣. جمع يسر، وهم المجتمعون على الميسر.

٤. الأغاني ٢٠: ١٨٠، أخبار دعبل بن عليّ ونسبه.

الإمام الكاظم عليه السلام سنين، ثمّ دسّ إليه السمّ فمات غريباً مظلوماً شهيداً في حبس السندي بن شاهك في بغداد لستّ خلون ـ وقيل: بقين[1] ـ من رجب سنة ١٨٣، وله خمس وخمسون سنة[2]، ومشهده الشريف في الكرخ من بغداد كالشمس في رابعة النهار.

وقال دعبل في المعتصم من جملة أبياته:

بكى لشتات الدين مكتئب صَبٌّ ... وفاضَ بفَرْط الدمعِ من عينه غَرْبُ
وقامَ إمامٌ لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لبٌّ
وما كانت الأنباء تأتي بمثله ... يُملَّك يوماً أو تَدِين له العُرْبُ
لقد ضاع ملكُ الناس إذ ساس ملكَهم ... وَصيفٌ وأشناس وقد عظم الكربُ[3]

ولمّا بلغه موت المعتصم قال:

الحمد لله لا صبر ولا جَلَدُ ... ولا عزاء إذا أهلُ البلا رقدوا
خَليفةٌ ماتَ لم يحزن له أحد ... وآخر قامَ لم يفرح به أحدُ[4]

وله في المتوكّل وكان يُرمي...

ولست بقائل بدعاً ولكن ... لأمرٍ مّا تعبدك العبيدُ

ولمّا مات المعتصم قال ابن الزيّات يرثيه:

قد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفونِ
لن يجبر الله أُمّةً فقدَتْ ... مثلَكَ إلّا في مثل هارونِ

---

١. قال به الإربلي في كشف الغمّة ٣: ٦، تاريخ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٢. راجع الإرشاد للمفيد ٢: ٢١٥.

٣. المصدر: ١٤٤.

٤. المصدر: ١٤٦.

فأجابه دعبل معارضاً له:

قــد قــلتَ إذ غـيّبوه وانـصرفوا فــي شـرّ قــبر لشــرّ مــلعونِ
اذهب إلى النــار والعــذاب فـما خـــلتك إلّا مـــن الشــياطينِ
ما زلت حـتّى عـقدت بـيعة مـن أضـــرّ بـــالمسلمين والديــنِ[1]

وقال في المأمون:

أَيسُومني المأمون خـطّة جـاهل أَوَما رأى بـالأمس رأسَ مـحمّدِ
إنّـي مـن القـوم الذيـن سـيوفهم قــتلَتْ أخـاك وشـرّفتك بـمقعدِ
شادوا بذكرك بعد طـول خـموله واستنقذوك من الحَضِيض الأوهدِ

أشار في هذه الأبيات إلى قضيّة طـاهر بـن الحسـين الخـزاعـي وحـصارِه بــغداد وقــتلِه مـحمّد الأمـين بـن هـارون، وبـذلك ولي المأمـون الخـلافة؛ والقضيّة مشهورة.

وقال دعبل في إبراهيم بن المهديّ، وهو أخو الرشيد، من جملة أبيات له:

إن كـــان إبـراهـيم مـضطلعاً لهـا فَلَتَصْلُحَنْ مـن بـعده لمـخارقِ[2]
ولتــصلحنّ مـن بـعد ذاك لزلزل ولتــصلحنّ مـن بـعده للـمارقِ
أنّـــى يكـــون وليس ذاك بكـائن يَرِثُ الخلافةَ فاسقٌ عن فـاسقِ[3]

وهجاؤه في الظالمين والمنافقين كثير، ومـدحه لأوليـاء الله أكـثر، ولو أراد الدنيا، لفعل ما فعله ابن الجهم وأشباهه، فإنّه أقدر منهم وأشعر.

---

١. المصدر: ١٤٤ ـ ١٤٥.

٢. مُخارق وزلزل مغنّيان في ذلك العصر. والمارق، لعلّه اسم مغنّ ثالث كما ذكره ابن خلّكان في وفيات الأعيان ١: ٤٠، الرقم ٩.

٣. الأغاني ٢٠: ١٨١.

وكان الرشيد كلفاً به، مغرماً بشعره، محسناً إليه، كما نصّ عليه العبّاسي في معاهد التنصيص[1]، وكان يحبّ أن يصطفيه لنفسه، ويقدّمه على شعراء وقته، فأبى إلّا مقاطعة الظالمين، والحطّ من قدر الفاسقين، وهذه من مناقبه.

ولمّا أنشد الرضا قصيدته المشهورة، وبلغ فيها إلى قوله:

لقد خفْتُ في الدنيا وأيّام سعيها ... وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الإمام عليه السلام: «آمنك الله يوم الفزع الأكبر» ولمّا وصل إلى قوله:

وقبر ببغدادَ لنفسٍ زكيّةٍ ... تضمّنها الرحمن بالغرفات

قال الرضا عليه السلام:

«أَفَلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟!».

قال: قل جُعِلْتُ فداك. فقال:

«وقبر بطوس يالها من مصيبة ... توقّد في الأحشاء بالحُرقاتِ

إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً ... يفرّج عنّا الهمّ والكرباتِ»

ولمّا انتهى إلى قوله:

خروج إمام لا محالة خارج ... يقومُ على اسم الله والبركاتِ

يميّز فينا كلّ حقّ وباطل ... ويجزي على النعماء والنقماتِ

بكى الإمام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه فقال: «يا خُزاعي نطقَ روحُ القدس على لسانك في هذين البيتين»[2].

---

١. معاهد التنصيص ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٢. للمزيد راجع: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٢ ـ ٣٧٦، باب ما روي عن الرضا عليه السلام في النصّ على القائم و...، ح ٦؛ فرائد السمطين ٢: ٣٣٧ ـ ٣٣٨، ح ٥٩١؛ ينابيع المودّة ٣: ٣٠٩، الباب ٨٠، ح ١.

ونقل العبّاسي عن دعبل حيث ذكره في معاهد التنصيص فقال:

وحدّث دعبل قال: دخلتُ على عليّ بن موسى الرضا فقال:« أنشدني شيئاً ممّا أحدثت» فأنشدته:

مدارسُ آياتٍ خَلَت من تِلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْفرُ العَرَصاتِ

حتّى انتهيت إلى قولي فيها:

إذا وُتِرُوا مَدّوا إلى واتريهم أَكُفّاً عن الأوتارِ مُنقَبِضاتِ

قال: فبكى عنده حتّى أُغمي عليه، فأومأ إليَّ خادم كان على رأسه: أن اسكت، فسكتُّ فمكث ساعة ثمّ قال لي: «أَعِد».

فأعدتُ إلى أن انتهيت إلى هذا البيت، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأُولى، وأومأ الخادم إليَّ أيضاً: أن اسكت، فسكتُّ ساعة أُخرى، ثمّ قال لي: «أَعِد» فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها فقال: «أحسنت أحسنت» ثلاثَ مرّات، ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دُفِعت إلى أحدٍ بعدُ، وأمَر لي مَن في منزله بُحليّ كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعتُ كلّ درهم منها بعشرة اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أوّل ما استفدته.

ـ قال: ـ ثمّ إنّ دعبلاً استوهب من عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه ؛ ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إيّاها، وبلغ أهل قمّ خبرها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصباً وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلّا فأنت أعلم، فقال لهم: إنّي والله لا أُعطيكم إيّاها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا، فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفرد كُمٍّ من بطانتها، فرضي بذلك[1].

انتهى بلفظه.

---

١. معاهد التنصيص ٢: ١٩٨ ـ ١٩٩.

قال أبوالفرج في ترجمة دعبل من الجزء الثامن عشر من كتاب الأغاني:

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ ـ صلوات الله عليه ـ وقصيدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة، من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا بخراسان[1].

ثمّ ذكر نحو ما سمعت.

ولدعبل من المؤلّفات: كتاب طبقات الشعراء، و كتاب مناقب العرب ومثالبها.

وكانت ولادته سنة ١٤٨، وتوفّي قتيلاً سنة ٢٤٦ بالطيب، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز[2].

وعمّه أبوالشيص كان من فحول الشعراء المشهورين، اسمه محمّد بن رُزين بن سليمان الخزاعي، وهو من الشيعة أيضاً، بَيْدَ أنّ أفعاله غير مرضيّة غفر الله ذنوبه.

نقل صاحب معاهد التنصيص عن ابن المعتزّ:

أنّ أبا خالد العامري قال له: مَن أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشيص، فكذِّبه، والله لكان الشعر أهونَ عليه من شرب الماء على العطشان[3]...

مات سنة ١٩٦ سامحه الله.

وله ابن يقال له: عبدالله، شاعر مُجيد لا أعلم منه إلّا أنّه كان يرى في الدين رأي أهل بيته، وكلّهم شيعة عليهم السلام.

ولم نتعرّض لتوثيق دعبل وعدمه؛ لأنّ ذلك خارج عن محلّ الابتلاء؛ لكونه ليس من حَمَلة الدين ولا من رواة الحديث، وقد نقل عنه أُمور تنافي الوثاقة، والله أعلم.

---

١. الأغاني ٢٠: ١٢٠، أخبار دعبل بن عليّ ونسبه.

٢. راجع وفيات الأعيان ٢: ٢٧٠، الرقم ٢٢٧.

٣. معاهد التنصيص ٤: ٨٧ ـ ٨٨.

[٣٤] ومنهم: **أبويوسف يعقوب بن إسحاق** المعروف بابن السكّيت النحوي اللغوي. كان إماماً في العلوم العربيّة، مبرَّزاً في جميع فنونها، ثقةً صدوقاً ورعاً، له عند أهل البيتعليهم السلام جاه ومنزلة، وكان من أبرار شيعتهم، وقد سفك دمه في محبّتهم، صحب الجواد التقيّ والهادي النقيّعليهما السلام وكانا يقرّبانه ويختصّانه، وله عن الجواد ـ سلام الله عليه ـ رواية ومسائل، وكان متفانياً في حبّهم، متهالكاً في التمسّك بحبلهم، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، ولا يراقب سطوة معتد غاشم، حتّى كان من أمره ماذكره المؤرّخون.

قال ابن خلّكان في أوائل ترجمة ابن السكّيت من الوفيات:

وكان ـ يعني ابن السكّيت ـ يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب مَن يرى تقديم عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

[قال أحمد بن عبيد: شاورني ابن السكّيت في منادمة المتوكّل فنهيته، فحمل قولي على الحسد، وأجاب إلى مادُعي إليه من المنادمة][1] فبينما هو مع المتوكّل يوماً جاء المعتزّ والمؤيّد، فقال المتوكّل: يا يعقوب، أيّما أحبّ إليك: ابناي هذان، أم الحسن والحسين؟ فغضّ ابن السكّيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ بما هما أهله، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحُمل إلى داره، فمات بعد غد ذلك اليوم[2]. انتهى.

قلت: وذكر هذه القضيّة بهذه الكيفيّة جماعة، منهم ابن الأثير في آخر حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين، من الجزء السابع من تاريخه الكامل[3].

---

١. مابين المعقوفين زيادة أضفناها من المصدر.

٢. وفيات الأعيان ٦: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، الرقم ٨٢٨.

٣. الكامل في التاريخ ٧: ٩١، حوادث سنة ٢٤٥.

وقال ابن خلّكان في آخر ترجمة ابن السكّيت:

وقد روي في قتله غيرُ ما ذكرته أوّلاً، فقيل: إنّ المتوكّل كان كثير التحامل على عليّ بن أبي طالب وابنيه: الحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ وكان ابن السكّيت من المغالين في محبّتهم والتوالي لهم، فلمّا قال له المتوكّل تلك المقالة، قال ابن السكّيت: والله، إنّ قنبراً خادمَ عليّ خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكّل: سُلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات، وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين. وقيل: سنة ستّ وأربعين. وقيل: سنة ثلاث وأربعين ـ والله أعلم بالصواب ـ وبلغ ثمانياً وخمسين سنة[١]. انتهى.

رفع الله درجته كما شرّف خاتمته.

له كتب عديدة، منها: كتاب الألفاظ، و كتاب الأضداد، وكتاب ما اتّفق لفظه واختلف معناه، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب المذكّر والمؤنّث، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الطير والنبات، وكتاب الوحش والحشرات، وكتاب الجبال والأرضين والأودية، وكتاب الأصوات، وكتاب الزبرج، وكتاب الأمثال، وكتاب الأجناس وهو كبير، وكتاب الفرق، وكتاب السرج واللجام، وكتاب الإبل، وكتاب النوادر، و كتاب معاني الشعر الكبير، وكتاب معاني الشعر الصغير، وكتاب فعل وافعل، وكتاب سرقات الشعراء، وكتاب المختار من شعر الشعراء، جمع فيه طائفةً من شعر امرئ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، وأبي داود، وبشير بن أبي حازم، وأوس بن حجر، وعلقمة الفحل، وطرفة، وعنترة، وعمرو بن كلثوم، والحارث اليشكري، والفرزدق، والأخطل، وجرير، وعامر بن الطفيل، والسليك بن السلكة، وجامع بن مرحبة، وعمرو بن أحمر، وحسّان بن ثابت.

---

١. وفيات الأعيان ٦: ٤٠٠ ـ ٤٠١، الرقم ٨٢٧.

وله كتاب إصلاح المنطق، وهو ممّا لا نظير له، نقل ابن خلّكان عن بعض العلماء أنّه:

ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل إصلاح المنطق ـ قال: ـ ولا شكّ أنّه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة، ولا نعرف في حجمه مثله في بابه، وقد عنى به جماعة، فاختصره الوزير أبوالقاسم الحسين بن عليّ المعروف بابن المغربي، وهذّبه الخطيب أبوزكريّا التبريزي، وتكلّم على الأبيات المودَعَة فيه لابن السيرافي، وهو كتاب مفيد[1]. انتهى.

وكان ابن السكّيت كاتباً بليغاً شاعراً مُجيداً، ومن شعره قوله:

إذا اشتملَتْ على اليأس القلوبُ ... وضاقَ لما به الصدرُ الرحيبُ

وأوطنتِ المكارهُ واستقرّت ... وأرْسَتْ في أماكنها الخطوبُ

ولم تَرَ لانكشاف الضرّ وجهاً ... ولا أغنى بحيلته الأرِيبُ

أتاك على قنوتك منه غوثٌ ... يَمُنّ به اللطيفُ المستجيبُ

وكلّ الحادثاتِ إذا تناهت ... فموصول بها فرجٌ قريبُ

وله :

يُصاب الفتى من عَثْرةٍ بلسانه ... وليس يُصاب المرء من عثرة الرِجْلِ

فعثرته في القول تُذهِب رأسه ... وعثرته بالرجل تَبْرى على مَهْلِ[2]

وله:

نفسي ترومُ أُموراً لستُ مدركَها ... ما دمتُ أحذرُ ما يأتي به القدرُ

ليس ارتحالُكَ في كسب الغِنى سَفَراً ... لكن مُقامك في ضُرٍّ هو السفرُ[3]

---

١. المصدر: ٤٠٠.

٢. المصدر: ٣٩٧ و ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

٣. المصدر: ٣٩٧ و ٣٩٩ ـ ٤٠٠

ومع شهرته لا حاجة إلى الإطالة في ذكر فضله.

**[٣٥] ومنهم: أبوتمّام حبيب بن أوس الطائي** فحل الشعراء وإمامهم، وكعبة أهل الأدب وسيّدهم، لا يُقاس به أحد من الناس في ديباجة لفظه، ونصاعة شعره، وحسن أُسلوبه، وتفنّنه بأنواع البديع.

له ديوان الحماسة الذي دلّ على غزارة فضله، وحسن اختياره، وله مجموع آخر سمّاه فحولَ الشعراء، جمع فيه طائفة كبيرة من شعراء الجاهليّة والمخضرمين والمسلمين، وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء.

وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه لاحق، قيل: إنّه كان يحفظ أربعة عشرة ألف أُرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع[١].

وكان من شيعة أهل البيت، والآخذين من فروع الدين وأُصوله بهديهم، عارفاً بحقّهم، مستبصراً بشأنهم، وهذا ممّا لا ريب فيه، يرسله أصحابنا إرسالاً، ذكره صاحب أمل الآمل في علماء جبل عامل فقال: وكان شيعيّاً فاضلاً أديباً منشئاً، له كتب[٢]. انتهى.

وذكره النجاشي فقال:

كان إماميّاً، وله شعر في أهل البيت عليهم السلام كثير ـ قال: ـ وذكر أحمد بن الحسين أنّه رأى نسخة عتيقة لعلّها كُتبت في أيّامه أو قريباً منه، وفيها قصيدة يذكر فيها الأئمّة عليهم السلام حتّى انتهى فيها إلى أبي جعفر الثاني الجواد ـ سلام الله عليه ـ لأنّه توفّي في أيّامه. ـ قال: ـ وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: وحدّثني أبو تمّام الطائي وكان من رؤساء الرافضة[٣]. انتهى.

---

١. المصدر ٢: ١٢، الرقم ١٤٧.

٢. أمل الآمل ١: ٥٠، الرقم ٤١.

٣. رجال النجاشي: ١٤١، الرقم ٣٦٧.

وذكره العلّامة في خلاصته فقال: «كان إماميّاً...»[١] إلى آخر ما سمعت عن النجاشي.

وذكره صاحب روضات الجنّات فقال: كان من الإماميّة الحقّة[٢].

وعن مناقب ابن شهر آشوب أنّ له شعراً غير موجود في ديوانه يذكر فيه الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام[٣].

**قلت**: وفي ديوانه ما هو نصّ في تشيّعه، وإليك أبياتاً من قصيدته الرائيّة، وهي ثلاث وسبعون بيتاً، فمنها:

وكوّفني ديني على أنّ منصبي ... شآم ونجري آية ذكِر النحرُ[٤]

لقد أسمع الداعيكم لو سمعتم ... صراخاً ولكن في مسامعهم وقرُ[٥]

ومنها:

ويوم الغدير استوضحَ الحقَّ أهلهُ ... بفيحاءَ لا فيها حجابٌ ولا سترُ

أقامَ رسولُ الله يدعوهم بها ... ليقربَهم عرفٌ وينآهُمُ نُكرُ

يمدّ بضبعيه ويعلم أنّه ... وليّ ومولاكم فهل لكم خبرُ

يروحُ ويغدو بالبيان لمعشر ... يروح بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرُ

فكان له جَهرٌ بإثبات حقّه ... وكان لهم في بزّهم حقّه جهرُ

أَثُمَّ جعلتم حظّه حَدَّ مُرهفٍ ... من البِيضِ يوماً حظُّ صاحبه القبرُ[٦]

---

١. خلاصة الأقوال: ١٣٢،الرقم ٣٥٣ .

٢. روضات الجنّات ٣: ٧، الرقم ٢٢٩.

٣. مناقب آل أبي طالب عليه السلام لابن شهر آشوب ١: ٣٧٦.

٤. في المصدر: «النجرُ» بدل «النحر».

٥. ديوان أبي تمّام: ١٤٦.

٦. المصدر: ١٤٣ ـ ١٤٥.

ومنها:

فعلتُم بأبناء النبيّ ورهطِه ... أفاعيلَ أدناها الخيانةُ والغدرُ

ومن قبله أحلفتم لوصيّه ... بداهية دهياءَ ليس لها قدرُ

فجئتم بها بكراً عواناً ولم يكن ... لها قبلها مثلاً عوان ولا بكرُ

أخوه إذا عُدّ الفخارُ وصهرُه ... فلا مثله أخٌ ولا مثلُه صهرُ

وشدّ به أزر النبيّ محمّد ... كما شدّ من موسى بهارونه الأزرُ

طغى مَن عليها واستبدّ برأيهم ... وقولهم إلّا أقلّهم الكفرُ

وقاسوا دجى أمرَيْهم وكلاهما ... دليلٌ لهم أولى به الشمس والبدرُ

وهلّا اتّقوا فصلَ احتجاج نبيّهم ... إذا ضمّهم بَعثٌ من الله أو حشرُ[١]

ومنها مخاطباً لعليّ عليه السلام:

أحجّةُ ربّ العالمين ووارثُ الـ ... ـنبيّ ألا عهدٌ وفيّ ولا إصرُ

ولو لم يخلّف وارثاً لعَرَتْكم ... أمورٌ تبينُ الشكَّ ساحةَ مَن تعرو[٢]

ومنها:

لكم ذُخرُكم إنّ النبيَّ ورهطَهُ ... وجيلَهم ذخري إذا التُمس الذخرُ

جعلتُ هواي الفاطميّينَ زُلفةً ... إلى خالقي ما دمتُ أو دام لي عمرُ[٣]

ولد رحمه الله في الجاسم قرية من أعمال حوران، ونشأ بمصر، وكان أسمَر طويلاً فصيحاً بليغاً، حلوَ الكلام فيه تمتمة، وهو أوّل مَن كسى الشعر رونقاً جديداً لم تهتد إليه فحول المتقدّمين، ونسجت على منواله أعاظم المتأخّرين.

---

١ و٢. ديوان أبي تمّام: ١٤٣ ـ ١٤٥.

٣. المصدر: ١٤٦.

وكان أُعجوبة في الحفظ، فعن البحتري قال:

دخلتُ على سعيد بن أسلم الطائي فأنشدتُ قصيدتي في مدحه التي أوّلها:

أأفاق صبٌّ من هوى فأفيقا [1]

وإلى جنبه شخص لا أعرفه، فلمّا فرغت منها أقبل عليَّ ذلك الشخص وقال: أما تستحي تنتحل شعري، وتنشده بحضوري، ثمّ مرّ في القصيدة فأنشدها من حفظه، فتغيّر وجه سعيد، والتفت إليّ وقال: يابن أخي قد كان في الوسائل مندوحة عن سرقة الشعر، فخرجت كاسفَ البال، وسألت عن الرجل، فقيل: إنّه أبو تمّام الطائي، فلمّا بعدت، لحقني الحاجب، وأمرني بالعود، وإذا أبو تمّام يضحك فاستدناني وقال: يا سيّدي الشعر لك، وإنّما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرّة واحدة، ولقد نعيت ليُ نفسي؛ فإنّه ما نبغ من قبيلةٍ مُجيد، أو شريف إلّا مات مَن كان قبله مثلَه، أَوَ ما سمعت قول الشاعر:

إذا مقرم منّا ذرا حدّ نابه     تخمط منّا نابُ آخر مقرمِ؟

فقلت: بل يجعلني الله فداك، ثمّ لزمتُه وكان محسناً إليَّ إلى أن مات.

وكانت وفاته في الموصل سنة ٢٣١ هـ[2]، وفي ولادته ووفاته اختلاف كثير لا محلّ لذكره، ومحاسنه لا تحصى، وبدائعه لا تستقصى، وإن أردت المزيد، فراجع ديوانه رحمه الله.

❊ ❊ ❊

قد تمّ بعون الله تعالى الجزء السادس من موسوعة الإمام شرف الدين. ويتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء السابع كتاب بغية الراغبين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

١. ديوان البُحتري ٢: ٣٥٨، سوق المكارم.

٢. روضات الجنّات ٣: ١٠، الرقم ٢٢٩.

# فهرس الموضوعات